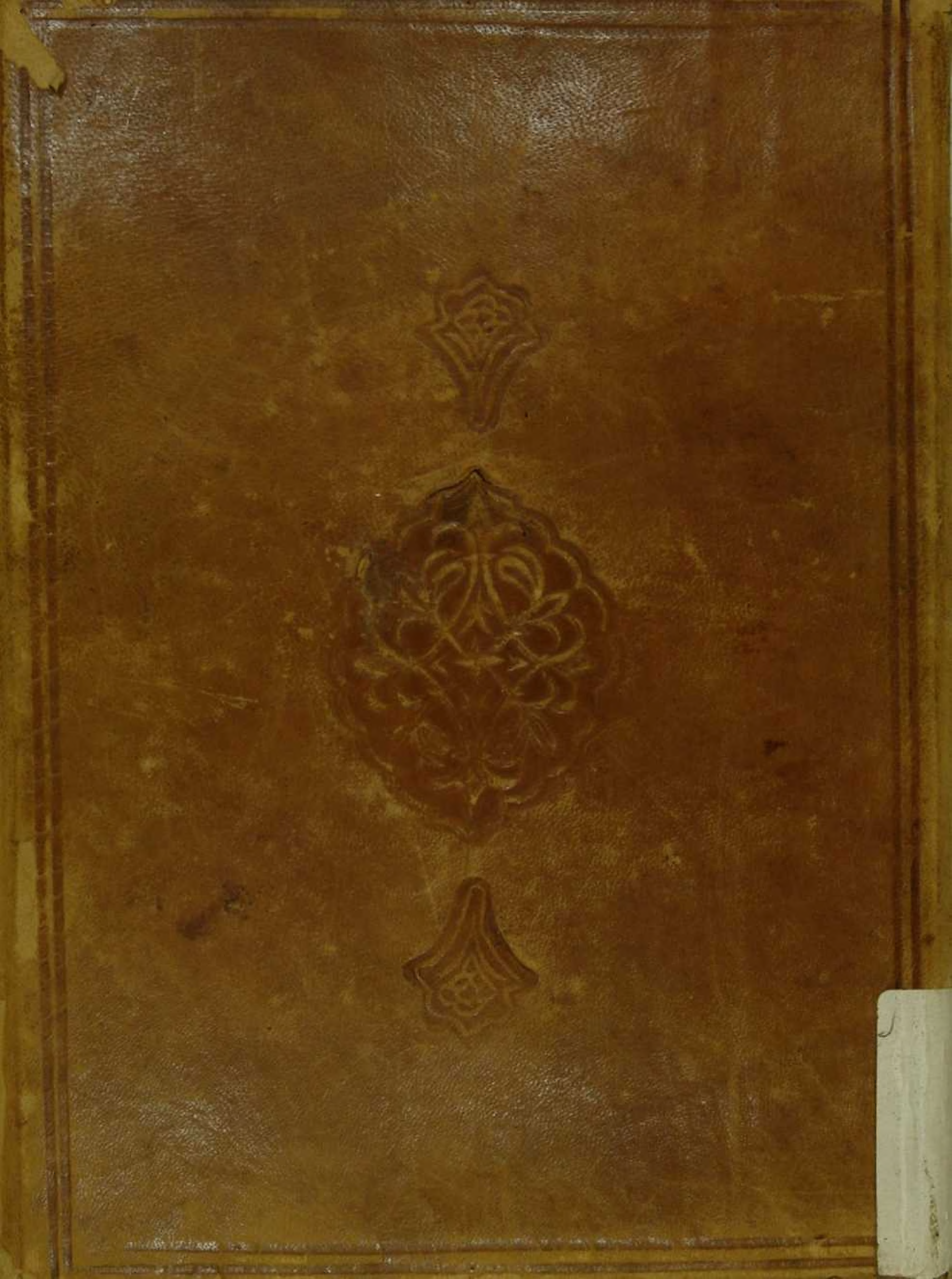


عجائب المقدور في أخبار تيمور، تأليف أحمد بن محمد،
المعروف بعربشاه سنة ٨٥٤هـ. كتب سنة ١٢٧٣هـ.
١٦٢ ق ٢٥ س ٢٢x١٦سم
نسخة جيدة، خطها نسخ معتاد. طبع.
الاعلام ١: ٢١٨، دار الكتب المصرية ٥: ٢٦٣
١- تراجم الحكام ١- ابن عربشاه، احمد بن
محمد سنة ٨٥٤هـ ب- تاريخ النسخ ج- عجائب
المقدور في نوائب تيمور.

عجائب المقدور [illegible] ٦/١

علي زكي

في ١٥ صفر ١٣٩٥ [illegible]

Ali Zeki

علي زكي

١١٢

عجائب المقدور
١



المدخل العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي على منوال ارادته وتدبيره تنسج مقاطع الامور، ومن ينبوع قضائه الى بحر قدره تجري تيار الاعاصر والدهور، اذاق بعض بني ادم باس بعض ليبلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور، وارسل عليهم في القرن الثامن من الهجرة بحار فتن اقبلت كقطع من الليل المظلم لو يدري احد ما هي فاذا هي تيمور

احمده حمد من كان على شفا حفرة من نارها فانقذه منها، واشكره شكر من ورطه فيها عداه فانجته ايادي فضله عنها، واشهد ان لا اله الا الله الحكم العدل، الذي يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي ارسله رحمة للعالمين، وجعله رسول الله وخاتم النبيين، فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون، وانبا بما كان في الازل

وبما



وبما يكون الى يوم يبعثون، واستعاذ من غلبة الدين وقهر الرجال، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، صلى الله عليه صلاة تذكي لسان الاذفر في صدور الكتب والتواريخ، وتدني لقائلها في دار الجزاء ثمرات الحسنات من اعلى الشماريخ، وعلى اله واصحابه الذين افاضوا سيول الفتح في الاقاليم فغمروها، وشيدوا اركان الاسلام واثاروا الارض بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر مما عمروها، وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا كثيرا اما بعد فلما كان في التواريخ عبرة لمن اعتبر، وتنبيه لمن افتكر، واعلام ان قاطن الدنيا على سفر، واحضار الصورة من مضى وغبر، كيف قدر واقتدر، ونهى وامر، وبنى وعمر، وختل وختر، وغلب وقهر، وكسر وجبر، وجمع وادخر، وتكبر وتجبر، وكيف عبس وبسر، وضحك واستبشر، وتقلب في اطواره من الطفولية الى الكبر، الى ان قلبته ايدي الغير، واختطفه وهو امن مما يكون مخالب القضاء والقدر، في الطف ما صفا من عيشه الكدر، وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر، ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن ادكر، وتبصرة لمن استبصر، وكان من عجب القضايا بل من اعظم البلايا، الفتنة التي يحار فيها اللبيب، ويندهش في دجى حندسها الفطن الاريب، ويتبعه فيها الحليم، ويذل فيها العزيز ويهان الكريم، قصة تيمور راس الفساق، الاعرج الدجال الذي اقام الفتنة شرقا وغربا على ساق، اقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، وتيمم حين عمته النجاسة صعيد الارض فغسل بسيف الطغيان كل اغر محجل، فتحققت نجاسته بهذا الغسل، اردت ان اذكر منها ما دريته، واقص في

ا

ذلك ما رويته، اذ كانت احدى الكبر، وام العبر، والداهية التى
لا يرضى القضاء فى وصفها بذا القدر، والله اساله الهام الصدق،
وسلوك طريق الحق، انه ولي الاجابة، ومسدد سهام المرام الى
غرض الاصابة، وهو حسبي ونعم الوكيل

فصل في ذكر نسبه، وتدريج استيلائه على الممالك وسببه

اسمه تيمور بتاء مكسورة مثناة فوق وباء ساكنة مثناة تحتا
وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة هذه طريقة املائه،
وفى التصريف زنة بنائه، لكن كرة الالفاظ الاعجمية، اذا تداولها
صولجان اللغة العربية، خرطها في الدوران على بناء اوزانها،
ودحرجها كيف شاء في ميدان لسانها، فقالوا في هذا تارة تمور واخرى
تمرلنك، ولم يجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك، وهو بالتركي الحديد
ابن ترغاي بن ابغاي، ومسقط راس ذلك الغدار، قرية تسمى خواجه
ايلغار، وهي من عمال الكش، ابعدها الله من كش، والكش مدينة
من مدن ما وراء النهر، عن سمرقند نحو من ثلث عشر شهر قيل
رؤي ليلة ولد كان شيئا شبيه الخودة تراءى طائرا في عنان الجو، ثم
سقط الى فضاء الدو، ثم انبث على الارض وانتشر، وتطاير منه
مثل الجمر والشرر، وتراكم حتى ملأ البدو والحضر، وقيل لما سقط الى
الارض ذلك السقط، كانت كفاه مملوتين من الدم العبيط، فسألوا
عن حاله الزواجر والقافه، وتفحصوا عن تاويل ذلك من الكهنة
واهل العيافه، فقال بعضهم يكون شرطيا، وقال بعض ينشأ
لصا حراميا، وقال قوم بل قصابا سفاكا، وقال آخرون بل يصير
جلادا بتاكا، وتظافرت هذه الاقوال، الى ان آل امره الى ما آل،
وكان هو وابوه من الفدادين، ومن طايفة اوشاب لا عقل لهم
ولا دين، وقيل كانا من الحشم الرجاله، والاوباش البطاله،
وكانت ما وراء النهر ماواهم، وتلك الضواحي مشتاهم،

وقيل

وقيل كان ابوه اسكافا فقيرا جدا، وكان هو شابا جلدا،
ولكنه لما كان به من القلة يتحرم، وبسبب تلك الاجرام يتحزب
ويتصرم، ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها، فضربه الراعي
في كتفه بسهم فابطلها، وثنى عليه باخرى في فخذه فاخطلها،
فازداد كسرا على فقره، ولوما على شره، ورغبة في الفساد،
وحنقا على العباد والبلاد، وطلب له في ذلك الاضراب والنظراء،
وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين القرناء، مثل عباس
وجهان شاه، وقماري وسليمان شاه، وايدكو تيمور وجاكو
وسيف الدين نحو اربعين، لا دنيا لهم ولا دين، وكان مع ضيق يده
وقلة عدده وعدده، وضعف بدنه وحاله، وعدم ماله
ورجاله، يذكر لهم انه طالب الملك، ومورد ملوك الدنيا موارد
الهلك، وهم في ذلك يتناقلون منه هذا النقل، وينسبونه الى
كثرة الخرافة وقلة العقل، ويدنونه منهم ويتقبلون اليه، ليسخروا
منه ويضحكوا عليه، شعر

ان المقادير اذا ساعدت — الحقت العاجز بالحازم

فشرع فيما يقصده، والقضاء يرشده، والقدر ينشده

لا يوئسنك من مجد تباعده — فان للمجد تدريجا وترتيبا
ان القناة التي شاهدت رفعتها — تنمو فتنبت انبوبا فانبوبا

وكان في بلد الكش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد
تلك البلاد، وعليه لكل من قصد شيئا من امر الدين والدنيا الاعتماد،
فذكر ان تيمور وهو فقير عاجز، بين عز موهوم وذل ناجز، لم
يكن له سوى ثوب قطني وانه باعه واشترى بثمنه راس ماعز،
وقصد به الشيخ المشار اليه، وعول فيما قصده عليه، وقد
ربط بطرف حبل عنق ذلك العناق، وربق عنق نفسه بالطرف
الاخر من ذلك الرباق، وجعل يتشحط على عصا من جريد،

حتى دخل على ذلك الشيخ المفيد، فصادفه وهو والفقراء مشتغلون
بالذكر، مستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر، فلا زال قائما حتى
افاقوا من حالهم، وسكتوا عن قالهم، فلما وقع نظر الشيخ عليه
سارع الى تقبيل يديه، واكب على رجليه، فتفكر الشيخ ساعة، ثم رفع
راسه الى الجماعة، وقال كأن هذا الرجل بذل عرضه وعروضه،
واستهان في طلب ما لا يساوي عند الله تعالى جناح بعوضه،
فنرى ان نمده، ولا نخرمه ولا نرده، فامدوه بالدعاء اسعافا
لما طلبه، فاشبهت قضيته قضية ثعلبه، ورجع من عند الشيخ
وخرج، وعرج بعدما عرج الى ما عرج **وقيل** انه كان في بعض
تخرماته فضل الطريق صوره، كما ضلها معنى وسيره، وكاد
يهلك عطشا وجوعا، وسار على ذلك اسبوعا، فوقع في اثناء
ذلك على خيل السلطان، فتلقاه الجشار باللطف والاحسان،
وكان تيمور ممن يعرف خصائص الخيل بسماتها، ويفرق بين هجانها
وهجينها بمجرد النظر الى هياتها، فاطلع الجشار على ذلك منه، واخذ
علم ذلك عنه، وزاد فيه رغبه، وطلب منه دوام الصحبه،
وجهزه الى السلطان مع افراس طلبها منه، واخبره بفضيلته وما
شاهده عنه، فانعم السلطان عليه، ووصى به الجشار ورده
اليه، فلم يلبث الجشار ان مات فتولى تيمور وظيفته، ولا يزال
يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته، ثم انه غاضبها في
بعض مكالمته ومقاله، فعيرته بما كان عليه من اول امره وحاله،
فسل السيف ونحا عليها تفر من بين يديه، فلم تكترث به ولم
تلتفت اليه، فضربها ضربة ازهق بها نفسها، واسكنها رمسها، ثم
لم يسعه الا الخروج والعصيان، والتمرد والطغيان، الى ان
كان من امره ما كان، وكان السلطان اسمه حسين، وهو من بيت
الملك ونافذ الكلمتين، وتخت ملكه مدينة بلخ وهي من اقصى بلاد

خراسان

خراسان، ولكن كانت بخارا وامره جارية في ممالك ماوراء النهر الى اطراف
تركستان **وقيل** كان ابوه امير مائة عند السلطان المذكور، وهو
بالجلادة والشهامة بين اضرابه مشهور، ويمكن الجمع بين هذه
الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان، وتنقل الاحوال في الحدثان،
والاصح ان اباه ترغاي المذكور كان احد اركان دولة السلطان،
ورايت في ذيل تاريخ فارسي يدعى المنتخب، وهو من بدو الدنيا
الى زمان تيمور وهو شيء عجب، نسبا يتصل منه تيمور الى جنكزخان
من جهة النساء حبائل الشيطان، ولما استولى تيمور على ماوراء
النهر وفاق الاقران، تزوج بنات الملوك فزادوه في القابه
كوركان، وهو بلغة المغول الختن، لكونه صاهر الملوك وصار له
في بيتهم حركة وسكن، وكان للسلطان المذكور من الوزراء اربعه،
عليهم مدار المضرة والمنفعه، هم اعيان الممالك، وبرايهم يقتدى
المسالك، والترك لهم قبائل وشعب، تكاد توازي قبائل العرب،
وكل واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيله، لسراج ارائه في بيوت
تعميرها فتيله طويله، قبيلة احدهم تسمى ارلات، وقبيلة الثاني
تدعى جلاير، وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين، وقبيلة الرابع
اسمها برلاس، وكان تيمور ابن رابعهم في الناس، ونشا نشا بالبيا،
مصراع هماما حازما جلدا اريبا، وكان يصاحب نظراءه من
اولاد الوزراء، ويعاشر اضرابه من فتيان الامراء، الى ان قال
لهم في بعض الليالي، وقد اجتمعوا في مكان خالي، واخذت منهم
العشرة والنشاط، وارتفعت استار الاسرار وامتد للبسط
بساط، ان جدتي فلانه، وكانت من ذوي العيافة والكهانه،
رات مناما، ما ذاقت منه احلاما، وعبرته بانه يظهر لها من
الاولاد والاحفاد، من يدوخ البلاد، ويملك العباد، ويكون
صاحب القران، وتذل له ملوك الزمان، وذلك هو انا، وقد

قرب الوقت ودنا ، فعاهدوني ان تكونوا لي ظهرا وعضدا ، وجناحا
ويدا ، وان لا تستحيلوا عني ابدا ، فاجابوه الى ما دعاهم اليه ،
وتقاسموا ان يكونوا في السراء والضراء معه لا عليه ، ولم يزالوا
يتجاذبون اطراف هذا الكلام في كل مقام ، ويتفاوضون فيض
غدير هذا النغم من غير احتشام واكتتام ، حتى آنس برقه
قاطن كل مصر وشام ، وخاض في حديثه كل قديم هجرة من خاص
وعام ، وشعر به السلطان ، وعلم ان خلافه في دوح المملكة
قد بان ، فاراد ان يرد كيده في نحره ، ويريح الدنيا من شره والعباد
والبلاد من عاره وعره ، ويعمل بموجب ما قيل شعر
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ، حتى يراق على جوانبه الدم
فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج ، وهوى الى حضيض العصيان
وهو سالم فعرج ، ويمكن انه في بعض هذه الاوقات واثناء هذه
الحالات ، توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه ، واستمده
كما ذكر فيما عول عليه ، فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنة ،
وفتحته من مستغلقات الامكنة ، انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين
الفاخوري ، وهمة الشيخ زين الدين الخوافي ، وما لقيت بركة
الا بالسيد بركه ، وسيأتي ذكر زين الدين وبركه ، ثم قال تيمور
ما فتحت ابواب السعادة والدولة علي ، ولا ضحكت عروس
فتوحات الدنيا الي ، الا من سهام سجستان ، ومن حين اصابني
ذلك النقصان ، انا في ازدياد الى هذا الاوان ، والظاهر ان بدو
امره وخروجه في تلك الفئة ، كان فيما بين الستين والسبعين
والسبع مائه ، وقال لي شيخي الامام العالم العامل الكامل المكمل ،
الفاضل فريد الدهر ، وحيد العصر ، علامة الورى استاذ
الدنيا علاء الدين ، شيخ المحققين والمدققين ، قطب الزمان ،
مرشد الدوران ، ابو عبد الله محمد بن محمد البخاري نزيل دمشق

ادام

ادام الله تعالى ايام حياته ، وامد الاسلام والمسلمين من بركاته ،
في شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائة ان تيمور ، قتل السلطان
حسين المذكور ، في شعبان سنة احدى وسبعين وسبع مائه ،
ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع
وثمانمائة على ما سياتي ، فمدة استيلائه مستقلا ستة وثلاثون
سنة وذلك خارج عن مدة خروجه وتحزبه الى حين استيلائه ،
ولما خرج صار هو وغواته يتحرمون في بلاد ما وراء النهر ، ويعاملون
الناس بالعدوان والقهر ، فتحرك لدفعهم كل ظاعن وساكن ، وضيقوا
عليهم تلك المغاني والاماكن ، فقطعوا جيحون وصغر منهم ذلك
المكان ، فاشتغلوا بالحرامية في بلاد خراسان ، خصوصا في نواحي
سجستان ، ولا تسأل عما افسدوا في معاون باورد وماجان ، فذهب
بعض الليالي وقد اضر بهم السغب ، واشتعل فيهم من الجوع اللهب ،
فدخل حائطا من حوائط سجستان ، قد آوى اليه بعض رعاء
الضان ، فاحتمل منها راسا وادبر ، فشعر به الراعي وابصر ،
فاتبعه للحين ، وضربه بسهمين ، اصاب باحدهما فخذه ، وبالاخر
كتفه ، فقدره ساعدا اذا بطل بهذا الضرب الموزون نصفه ، ثم
ادركه واحتمله ، والى سلطان هراة المسمى بملك حسين اوصله ، فبعد
ضربه امر بصلبه ، وكان للسلطان ابن رابه غير متبنى ، يدعى
ملك غياث الدين ، فشفع فيه ، واستوهبه من ابيه ، فقال
له ابوه انه لم يصدر عنك ما يدل على صلاحك ، ويسفر عن
نجابتك وفلاحك ، وهذا جغتائي حرامي مادة الفساد ، لئن
ابقي ليهلكن العباد والبلاد ، فقال ابنه وما عسى ان يصدر من
نصف ادمي ، وقد اصيب بالدواهي والمرامي ، ولا شك ان اجله
قد اقترب ، فلا تكون في موته السبب ، فوهبه اياه ، فوكل به
من داواه ، الى ان اندمل جرحه ، وبرئ قرحه ، فكان في خدمة

ابن سلطان هراه، من اعقل الخدم واضبط الكفاه. فتوفرت عنده
حرمته وارتفعت درجته وسمعت كلمته، فعصى من نواب
السلطان، نائبه المتولي على سجستان، فاستدعى تيمور ان يتوجه
اليه، فاجابه الى ذلك وعول عليه، واضاف اليه طايفه من
الاعوان، فوصل الى سجستان، وقبض على نائبها المتمادي في
العصيان، واستخلص اموال تلك البلاد، واخذ من طاعة من
الاجناد، ونادى بالعصيان بالجهر، وارتحل بمن معه الى ما وراء
النهر، وقيل بل كان في خدمة ابن السلطان، الى ان ودّع ابوه
الحياه وانتقل، واستقر ولده واستقل، فعند ذلك هرب تيمور
الى ما وراء النهر، وقد قوى منه الراس والظهر، وكان اذ ذاك قد
اجتمع عليه رفقاؤه، وانحاز اليه اصحابه المتحزبون وعشراؤه.
فارسل غياث الدين الطلب وراءهم، وقصد ان يكفي المسلمين
شرهم وعناءهم، وهيهات فقد كان سبق العذل السيف، وضيّع
اللبن في الصيف،

ذكر عبوره جيحون على فتره
وماجرى من عبرات بهذه العبره

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا، ولم
يمكنهم التواني لان الطلب كان تبعهم باغيا، فقال تيمور لاصحابه
النجا النجاء، ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق نفسه
في الماء، وتواعدوا الى مكان، وقال توجهوا من غير توان،
فمن لم يات الموعد، يُعلم انه قد فُقد، فتهافتوا وخيولهم في ذلك
الماء العجاج، والتيار الزخار والامواج، تهافت الفراش على
السراج، ولم يعلم واحد منهم حال الاخر، ولا اطلع من تقدّم
منهم على امر من تاخر، وكابدوا احوال الموت، وشاهدوا اهوال
الفوت، فنجوا ولم ينقص منهم واحد، واجتمعوا الى ذلك الموعد،

وذلك

وذلك بعد ان امنت منهم البلاد، واطمأن في مسالكها كل رائح وغاد،
فجعلوا يتجسسون الاخبار، ويتتبعون الاثار، ويحاربون الله
ورسوله، ويؤذون عباده ويقطعون سبيله، ولم يزل على
ذلك يجري ويمشي، الى ان وصل مدينة قرشي،

ذكر ماجرى له من خبطه
في دخوله الى قرشي وخلاصه من تلك الورطه

فقال يوما لاصحابه، وقد اضر به الدهر واضرى به، واخصب منهم
ربع الفساد واعشب، ان بالقرب منا مدينة نخشب، مدينة ابي
تراب النخشبي رحمة الله عليه مدينة مصونة، مسورة مكنونة،
لئن ظفرنا بها لتكونن لنا ظهرا وملاذا، وملجأ ومعاذا، وان
حاكمها موسى لو حصلناه، واخذنا ماله وقتلناه، لتقوينا بماله
من خيول وعدد، وحصل لنا فرج بعد شده، وانا اعلم لها من
ممر الماء دربا، هين الدخول واسعا رحبا، فشمروا ذيلهم، وتركوا
في مكان خيلهم، واستعملوا في نيل مرادهم ليلهم، ودخلوا حبس
المدينه وقصدوا بيت الامير، ورفعوا ايديهم فصادفوا بايديهم
الحصير، وكان الامير في البستان خارج البلد، فاخذوا ما وجدوا
له من اسلحة وعدد، وركبوا خيله، وقتلوا من وجدوا من الاكابر
غيله، فاجتمع عليهم اهل البلد، وارسلوا الى الامير فادركهم
بالمدد، فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا، فلم يجدوا لهم سوى
الاستسلام ناصرا، وقال له اصحابه لقد القينا بانفسنا الى حقيقة
الهلاك من هذا المجاز، فقال لا عليكم ففي مثل هذه المواطن
يمتحن الرجل ويراز، فاجمعوا كيدكم ثم ايتوا صفا، واندفعوا
نحو باب المدينة يدا واحدة زحفا، حاطمين على العدو، من
غير توان ولا هدو، فاني اظن انه لا يثبت لكم شي، ولا يقف
امامكم حي، فامتثلوا امره ورفعوا الصوت، وقصدوا الباب

خائضين غمار الموت ، وهجموا على العساكر هجوم الليث ، واندفقوا ولا اندفاق الغيث ، ففتح لهم عند فتح الباب ، لامر يريده مسبب الاسباب ، فلم يلوا ما مهم احد على احد ، ولا نفعه ما هو فيه من العُدد والعَدد ، ثم انثنوا الى مكانهم سالمين ، ولم يزالوا على ذلك عائثين عابثين ، واجتمع عليهم اصحابهم ، وانحاز اليهم في الفساد اضرابهم ، فسادوا نحوا من ثلاث مائة ، وممن يتحيز اليهم من اهل الشرفئة ، فارسل السلطان اليهم عسكرا غير مكترث بهم فكسروه ، واستولوا على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما ادخروه

قلت شعر

لاتحقرن شان العدو وكيده ... فلربما صرع الاسود الثعلب

وقيل

ان البعوضة تدمي مقلة الاسد ... وقيل فربما قمرت بالبيدق الشاة

ذكر من اسر في فتنة ذلك الجاف
واستعبده من احرار ملوك الاطراف

وارسل تيمور الى ولاة بلخشان ، وكانت الولاية بها لاخوين وهما بها مستقلان ، تلقيا ذلك عن ابيهما ، وكان السلطان نزعها من ايديهما ، ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره ، واسترهن اولادهما عنده فصارا اسيري قهره ، فلما راسلهما تيمور على طاعته ، اجاباه ودخلا تحت كلمته ،

ذكر نهوض المغل على السلطان
وكيف تضعضعت منه الاركان

ثم ان المغل نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين ، فاستعد لهم وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين ، فانكسر السلطان ، فراسلهم ايضا ذلك الجان ، واسم حاكمهم قمر الدين خان ، فاجابوا مراده ، واتفقوا ما اراده ، وسلطوه على السلطان يستخلص من يده بلاده ، ووا عدوه بمصاهرتهم ، وامدوه بمظاهرتهم ، ورجعوا الى

بلادهم

بلادهم ، وقد سلموه زمام قيادهم ، فقويت بذلك شوكته ، وسكنت القلوب هيبته ، فلم يسع السلطان ، الا بذل الجهد والامكان ، في اطفاء نائرته ، وقطع دابرته ، فجعله نصب عينيه ، وتوجه بنفسه اليه ، بعسكر جرار ، كالبحر الزخار ، حتى انتهى الى مكان يسمى قا غلغار ، وهو صُد كان بينهما مضيق ، هو الجادة العظمى والطريق ، يسير المار في ذلك مقدار ساعة ، وفي وسط الدرب باب اذا اغلق واحمى فلا شيء مثله في المناعة ، وحواليه جبال كل منها عرنينه قد شمخ ، وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ ، فصح ان يقال فيه انفه في السماء ، واسته في الماء ، فاخذ العسكر فم ذلك الدربند ، من جهة سمرقند ، وتيمور على الجانب الاخر ، وهو كالمضايق والمحاصر

ذكر الحيلة التي صنعها
والخديعة التي ابتدعها

فقال تيمور لاصحابه اني اعرف هنا جادة خفية ، مسالكها ابية ، لا نطاها الخطا ، ولا يهتدي اليها القطا ، فهلم نسري ليلنا ، ونقود في المسرى خيلنا ، فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون ، فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون ، فاجابوا الى ذلك ، وشرعوا في قطع تلك الوعور والمسالك ، وساروا ليلهم اجمع ، وبلغ الفجر المطلع ، فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش ، فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش ، ولم يمكنهم الرجوع ، واذنت الشمس بالطلوع ، فوصلوا الى العسكر وقد اخذ في التحميل ، وعزم على الرحيل ، فقال اصحابه بئس الراي فعلنا ، في قبضة العدو حصلنا ، ووقعنا في الاشراك ، والقينا بايدينا انفسنا الى الهلاك ، فقال تيمور لا ضرر ، توجهوا نحو العسكر ، وانزلوا بمرأى منهم عن خيلكم ، واتركوها ترعى وافضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم

شعر

فتراموا عن خيلهم كانهم صرعى ، وتركوا خيولهم ترعى
واذا السعادة لاحظتك عيونها ، نم فالمخاوف كلهن امان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل ، واقتد بها الجوزاء فهي عنان

فجعل العسكر يميزهم ، ويخال انهم من حزبهم ، حتى اذا استراحوا ، ركبوا خيولهم وصاحوا ، ووضعوا السيوف في اعدائهم ، راكبين اكتافهم من ورائهم ، فقتلوا قتلا ذريعا ، وغادروهم جريحا وصريعا ، وعم الخطب المدلهم ، ولم يعلم احد البلاء كيف دهم ، واتصل الخبر بالسلطان ، وقد خرج التلافي عن حيز الامكان ، فهرب الى بلخ ، وقد سلخ من المملكة اي سلخ ، وشرع تيمور في النهب والغارات والسلب ، ثم ضبط الاثقال ، وجمع الاموال ، ولم يراع الناس والمداره ، واطاعوه وهم ما بين راض وكاره ، فاستولى على ممالك ما وراء النهر ، وتسلط على العباد بالغلبة والقهر واخذ في ترتيب الجنود والعساكر ، واستخلاص الحصون والدساكر ، وكان نائب سمرقند واحد الاركان ، شخصا يدعى علي شير من جهة السلطان ، وكاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين ، ويكون معه على السلطان حسين ، فرضي علي شير بذلك ، وقاسمه الولايات والممالك وتوجه اليه ، وتمثل بين يديه ، فزاد في اكرامه ، وبالغ في احترامه ،

ذكر توجهه الى بلخشان واستنصاره بمن فيها على السلطان

ثم انه ترك علي شير بعد ما ركن اليه ، وقصد بلخشان فاستقبله ملكاها وتمثلا بين يديه ، واتحفاه بالهدايا والخدم ، وامداه بالجيوش والحشم ، فساروا وهما معه من بلخشان ، قاصدين بلخ لمحاصرة السلطان ، فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان ، فاخرج اولادهما الذين كانوا عنده في الرهان ، فضرب اعناقهم بمرأى من

ابويهم ، ولم يرق لهم ولا من عليهم ، ثم انه ضعف حاله ، وقل عنه خيله ورجاله ، فنزل مستسلما للقضاء والقدر ، راضيا بما ذهب في قضاء الله مما حلا ومر ، فقبض عليه تيمور ، وضبط الامور ، ثم رد اميري بلخشان اليها مكرمين ، وتوجه الى سمرقند ومعه السلطان حسين ، وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين ، بعد ما خلا من الهجرة سبع مائة سنين ، ووصل الى سمرقند واتخذها دار ملكه ، وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته وسلكه ، ثم انه قتل السلطان ، واقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من ذرية جنكيزخان ، وقبيلة جنكيزخان هم المتفردون باسم الخان والسلطان ، لانهم هم قريش الترك لا يعلو احد ان يتقدم عليهم ، ولا يتمكن احد من انتزاع ذلك الشرف من ايديهم ، ولو قدر احد على ذلك ، لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك ، فرفع سيورغاتمش دفعا للمطاعن وقطعا للسان سنان كل طاعن ، وانما لقب تيمور الامير الكبير وان كان في امره كل مامور منهم وامير ، والخان في اسره كالحمار في الطين ، وشبه الخلفاء بالنسبة في هذا الزمان الى السلاطين ، واستمر يعلي شير نائبا في سمرقند وكان يكرمه ، ويستشيره في اموره ويقدمه

ذكر وثوب توقتامش خان سلطان الدشت وتركستان

ثم ان توقتامش خان سلطان الدشت والتتار ، لما راى ما جرى بين تيمور والسلطان ، فاردم قلبه وغار ، وذلك لعلة النسب والجوار ، وهيأ العسكر الجرار ، والجيش الزخار ، وتوجه الى مصاف تيمور من جهة سغناق واترار ، فخرج اليه تيمور من سمرقند ، وتلاقيا باطراف تركستان قريبا من نهر خجند ، وهو

نهر سيحون، وسمرقند بين نهري سيحون وجيحون، فقامت بين
العسكرين سوق المحاربه، ولم يتفق بينهم فيها سوى معاملات
المضاربه، ولازالت رحا الحرب تدور، الى ان انطحن عسكر
تيمور، فبينا عسكره قد انفل، وعقد جنوده انحل، واذا برجل
يقال له السيد بركة قد اقبل، فقال له تيمور وهو في غاية الضرر،
يا سيدي السيد جيشي انكسر، فقال له السيد لا تخف، ثم نزل السيد
عن فرسه ووقف، واخذ كفا من الحصباء، وركب فرسه الشهباء
، ونفخها في وجه عدوهم الردي، وصرخ بقوله يا غي قاجدي،
فصرخ بها ايضا تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدي، وكان عباسي
الصوت، فكانه دعا الابل الظماء بحوت حوت، فعطفت
عساكره عطفة البقر على اولادها، واخذت في المجالدة مع اضدادها
وانداده، ولم يبق في عسكره من جذع ولا قارح، الا وهو يقول
يا غي قاجدي صايح، ثم انهم كروا كرة واحده، بهمة متعاقدة،
ونهمة متعاضدة، فرجع جيش توقتاميش منهزمين، وولوا
على اعقابهم مدبرين، فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف،
وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف، وغنموا الاموال
والمواشي، واسروا اوساط الرؤس والحواشي، ثم راجع تيمور
الى سمرقند، وقد ضبط امور تركستان وبلاد نهر خجند، وعظم
لديه السيد بركه، وحكمه في جميع ما استولى عليه وملكه،
وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا
بمصر حجاما، فذهب الى سمرقند وتسيدها وعلا قدره وتسامى،
ومن قائل انه كان من اهل المدينة الشريفة، ومنهم من يقول انه
من اهل مكة المنيفة، وعلى كل حال فانه كان من اكبر الاعيان، في
بلاد ما وراء النهر وخراسان، لا سيما وقد امد تيمور بهذه النجده،
وخلصه بهذه اللطيفة المصادفة للقضاء والقدر من هذه الشده،

وقال له تيمور تمن علي، واحتكم لدي، فقال له يا مولانا الامير
ان اوقاف الحرمين الشريفين في الاقاليم كثيره، ومن جملة ذلك اندخود
في ممالك خراسان، وانا واولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان،
واذا اقيم اصل ذلك وخصمه، وعلم قصبه وخصبه، وضبطت
اوقافه، ومصارف ذلك ومصارفه، ما كانت حصتي وحصة
اولادي، اقل من هذه القصبة في هذا الوادي، فاقطعني
اياها فاقطعه اياها، مع مضافاتها واعمالها وقراها، وهي
الى الآن في يد بني اولاده، واسباطه واحفاده،

ذكر علي شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفة والشرور

ثم ان تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفه، وانحاز الى كل
منهما طائفه، فاغتاله تيمور وختله، ثم قبض عليه وقتله،
فصفت الممالك والولايات لتيمور بعض الصفا، وهرول الى
طاعته من الناس كل وجه وراس كالناقي التائب وقفا

ذكر ما جرى لدعار سمرقند والشطار مع تيمور وكيف اجلاهم دار البوار

صوا، الدعار

وكان في سمرقند طائفة من الشطار كثيرون، وبهم انواع
فمنهم مصارعون ومناقفون وملاكمون ومعالجون، وهم
فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن، والعداوة والمقاتلة بينهم
قائمة على ممر الزمن، ولكل طائفة منهما رؤس، وظهور
واعضاد وضروس، وكان تيمور مع ابهته يخافهم، لما كان
يظهر له عنادهم وخلافهم، فكان اذا قصد جانبا، اقام له
في سمرقند نائبا، فاذا ابعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة
طائفه، فخلعوا النائب او خرجوا مع النائب واظهروا
المخالفه، فما يرجع تيمور الا وقد انفرط نظامه، وتخبطت

اموره وتشوش مقامه . فيحتاج الى التجديد وتمهيد ، وتخريب
وتشييد ، فيقتل ويعزل ، ويعطي ويخزل ، ثم يتوجه لتمهيد
ممالكه ، وتوطيد مسالكه ، فيعودون الى عكرهم ، ويؤوبون الى
خبثهم ومكرهم ، وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار ،
فضاق تيمور ذرعا بالاشرار والدعار ، فاعمل الحيلة في اغتيالهم ،
وكف اذاهم واستيصالهم ، فصنع سورا ، ودعا اليه الخلائق
كبيرا وصغيرا ، وصنف الناس اصنافا ، وجعل لكل ذي عمل الى
عامله مضافا ، وميز اولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة ،
وفعل معهم ما فعله انوشروان بن كيقباد بالملاحدة ، وارصد له
في احد الاطراف ارصادا ، وقرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه
دمارا ، ويكون ارساله اليهم على قتله شعارا ، ثم انه جعل يدعو
رؤس الناس ، ويسقيهم بيده الكاس ، ويخلع عليهم افخر اللباس
واذا انقضت النوبة من اولئك الدعار الى احد ، سقاه كاسه
وخلع عليه واشار ان يتوجه به الى نحو الرصد ، فاذا وصل اليهم
خلعوا عنه خلعته بل وثوب الحياة فهتكوه ، وسكبوا عسجده كله
في بوطة الفناء فسبكوه ، الى ان اتى على آخرهم ، واستوفى بذلك
قطع دابرهم ، ومحا آثارهم ، واطفا نارهم ، فصفت له المشارع ،
وخلا ملكه عن مجاذب ومنازع ، ولم يبق له في ما وراء النهر مانع ولا مدافع

فصل في تفصيل ممالك سمرقند وما بين نهري بلخشان وخجند

فمن ذلك سمرقند وولاياتها ، وهي سبعة تومانات ، وقد كان
وجهاتها ، وهي تسعة تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف
مقاتل ، وفي ما وراء النهر من المدن المشهورة ، والاماكن المعتبرة
المذكورة ، سمرقند وسورها قديما على ما زعموا اثنا عشر فرسخا ،
وكان ذلك على عهد السلطان ، جلال الدين قبل جنكيزخان ، وذا

حلة سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور وسماها دمشق
ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم ، والناس الى الآن يخزون
سمرقند العتيقة ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي
بسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة ، ومن مدن ما وراء النهر
مرغينان ، وهي كانت التخت قديما وبها كان ايلك خان ، ومنها خرج
الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية رحمه الله
تعالى ، وخجند وهي على ساحل سيحون ، وترمذ وهي على ساحل جيحون ،
ونخشب وهي قرشي المذكورة ، والكش وبخارا واندكان وهي اماكن
مشهورة ، وغير ذلك ومن الولايات بلخشان ، وممالك خوارزم
واقليم صغانيان ، الى غير ذلك من الاطراف الواسعة ، والاكناف
الشاسعة ، وفي عرفهم ما وراء جيحون الى جهة الشرق توران ،
وما كان في هذا الطرف الى جهة الغرب ايران ، ولما اقتسم كيكاوس
وافراسياب البلاد ، كانت توران لافراسياب وايران لكيكاوس
ابن كيقباد ، وعراق هو مغرب ايران

ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر بعد استقصائه ممالك ما وراء النهر

ولما صفت له ممالك ما وراء النهر ، وذلت لاوامره جوامح الدهر ،
شرع في استخلاص البلاد ، واسترقاق العباد ، وجعل ينسج
بانامل الحيل الاشراك والاوهاق ، ليصطاد بذلك ملوك
الاقاليم وسلاطين الافاق ، فاول ما صاهر المغول وصافاهم ،
وهادنهم وداهم ، وتزوج بنت قمر الدين ملكهم ، وصار آمنا
من تبعتهم ودركهم ، وهم جيرانه من جهة الشرق ، ولا تباين بينه
وبينهم ولا فرق ، اذ العلة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة
حاصلة للجهتين ، والملة وهي التورة الجنكيزخانية متماثلة في كلا
الدولتين فامن شرهم ، وكفي كيدهم وضررهم

ذكر تصميمه العزم وقصده الاطراف واولاً ممالك خوارزم

فحين امن مكرهم، وسدّ بالمبالغة ثغرهم، صمم العزم، على التوجه الى
ممالك خوارزم، وهم مجاوروه غرباً بالشام، ومباينوه بتمشية
قواعد الاسلام، وتختهم مدينة جرجان، وهي من اعظم البلدان،
وهذه المملكة ذات مدن عظيمه، وولايات جسيمه، تختها مجمع
الفضلاء، ومحط رحال العلماء، ومقر الظرفا والشعراء، ومورد
الادبا والكبراء، ومعدن جبال الاعتزال، وينبوع بحار اهل
التحقيق من ارباب الهدى والضلال، نِعمها كثيره، وخيراتها
غزيره، ووجوه فضائلها مستنيره، واسم سلطانها حسين
صوفي، وهو من الاعتقادات الباطلة عوفي، ومدن ما وراء
النهر وضع بعضها قريب من بعض، لانها كلها مبنيه باللبن والاجر
على الارض، واهل خوارزم كاهل سمرقند في اللطافه، وافضل
من اهل سمرقند في الحشمة والظرافه، يتعاطون الشاعرة والادب،
ولهم في فنون الفضل والمحاسن اشيا عجب، خصوصاً في معرفة
الموسيقا والانغام، ويشترك في ذلك الخاص منهم والعام،
ومما هو مشهور عنهم، ان الطفل في المهد منهم، اذا بكى او قال
آه، فان ذلك يكون في شعبة دوكاه، فلما وصل تيمور الى خوارزم
كان حسين صوفي غائباً عنها، فنهب حواليها وما وصلت يده اليه
منها، ولم يقدر عليها، فلم يكترث بها ولا التفت اليها، ثم لمّ اطراف
حاشيته، وعاد الى مملكته،

ذكر عوده ثانياً الى خوارزم

ثم انه شدّ حزام الحزم، وكرّ ثانياً الى خوارزم، باستعداد تام
وجيش طام، وكان سلطانها ايضاً غائباً، واقام لجميلة بكرها
خاطباً، فحاصرها، وضاجرها، وشدّ على اعناق سالكها

التلابيب، وكاد ان يتشبث باذيال الامنه المخاليب، فخرج اليه رجل من
اعيانها، وكان تاجراً وله قدم صدق عند سلطانها، يقال له حسين
سوريج، والتمس ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج، وان يبذل له ما
طلب، في مقابلة ما يريد من اسير وسلب، فطلب منه حمل مائتي
بغل فضه، ترفع الى خزائنه نضه، فلم يزل يراجعه، ويلاطفه
ويبالغه، حتى صالحه على ربع سؤاله، وقام المصالح بذلك من ماله
وصلب حاله، ووزن له ذلك في الحال، واخذ تيمور في الترحال،
وكف عن الاذى شياطين جنده، وعزم على التوجه من سمرقنده

ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه الذي خلصه من الصلب وراوده فيه اباه

ثم انه راسل سلطان هراة ملك غياث الدين الذي كان معنيه،
عملاً بقوله كتب الله على كل نفس خبيئته، وطلب منه الدخول في ربقة
الطاعه، وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه، والا
قصد دياره، وبلغ دماره، فارسل ملك غياث الدين يقول
صحبة الرسول، اما كنت خادماً لي واحسنت اليك، واسبلت
ذيل احساني ونعمتي عليك، فخنت وقتلت، وفتكت وفللت،
وفعلت فعلتك التي فعلت، وذلك بعد ان نجيتك من الضرب
والصلب، فان لم تكن انساناً يعرف الاحسان فكن كالكلب، فعبر
جيحون وتوجه اليه، فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف بين
يديه، فارسل الى حشمه وسكان قراه، فاجتمعوا بهم ومواشيهم
حول هراه، وحفر خندقاً حول البساتين، محيطاً بالرعاع
وضعفة المساكين، وحصر نفسه في القلعه، وحسب ان يكون
له بذلك منعه، وذلك لركاكة رايه اولا واخراً وجمود قريحته،
وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته،

قلت شعر،

من لم يصادف سعده تقديره ،، يخطفه في تدبيره تدميره ،،

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار، ولكن احاطت به العساكر دائرًا
ما دار، ومكث تيمور في الامن والدعه، وعدوه في الضيق بعد
السعه، واضطربت الروس والحواشي، وماتت الانعام
والمواشي، وغص البلد بالزحام، وهلكت الخواص والعوام،
واضناهم السغب، وعلاهم الصراخ والصخب، فارسل اليه
السلطان يطلب منه الامان، وعلم انه اختنق بسعيه، وانه
اعانه اولا فبلي به، فذكره سابقة العرفان، وما اسداه اليه من
احسان، وطلب منه تاكيد الامان بالايمان، فحلف له تيمور انه
يحفظ له الذمام القديم، وان لا يراق له دم ولا يمزق له اديم،
فخرج اليه، ودخل عليه، ومثل بين يديه، فدخل تيمور الى المدينه
، وصعد الى قلعتها الحصينه، وصحبته السلطان، وقد احاطت
به جنود هراه والاعوان، فاشار واحد من ابطال صاحب هراة
على السلطان، ان يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه، وقال له ما
معناه، انا افدي المسلمين بنفسي ومالي، واقتل هذا الاعرج
ولا ابالي، فلم يجبه الى اشارته، واستسلم لقضا الله تعالى وارادته
، وقال ان لله تعالى تصريفًا في عباده، ولا بد ان ينفذ فيهم سهم
مراده، ولا مفر من القضا، ولا مجير عما قدره الله تعالى وقضى

شعر

واذا اتاك من الامور مقدر وفررت منه فنحوه تتوجه

وهذا سر لا بد من ظهوره، فلا تبحث عن حقيقة اموره، فمن
غالب القضاء غلب، ومن ناهب الزمان سلب، ومن ناوي
تيار المقدور غرق، ومن سلك بالغفلة في مشارب اللهو شرق
وذكر في ذلك الوقت مقالة ابيه له واطلع على تحقيقه، ولكن
السهم خرج فما امكن رده الى فوقه

ذكر اجتماع ذلك الجانى

بالشيخ

بالشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي

وكان في بعض قدماته خراسان سمع ان في قصبة خواف رجلا قد
منحه الله تعالى الالطاف، عالمًا عاملًا، كبيرًا فاضلًا، ذا كرامات
ظاهره، وولايات باهره، وكلمات زاهره، ومقامات طاهره،
ومكاشفات صادقه، ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقه
يدعى الشيخ زين الدين ابا بكر، لطائر اجتهاده في حظيرة القدس على
وكر، فقصد تيمور رؤيته، وتوجه اليه وجماعته، فقالوا
للشيخ ان تيمور قادم عليك، وواصل اليك، يقصد رؤيتك،
ويرجو بركتك، فلم يفه الشيخ بلفظه، ولا رفع لذلك لحظه،
فوصل تيمور اليه، ونزل عن فرسه ودخل عليه، والشيخ مشغول
بحاله على عبادته، جالس في فكره على سجادته، فلما انتهى اليه، قام
الشيخ فاخذ وذب تيمور منكبا على رجليه، فوضع الشيخ على
ظهره يديه، وقال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهري لكسر عنة
كلته ارض، ولقد تصورت ان السماء وقعت على الارض، وانا
بينهما رضضت اي رض، ثم انه جلس بين يدي ذلك المنتخب على
ركبتي الادب، وقال له بالملاطفة في المحاوره، على سبيل الاستفهام
لا المناظره، يا سيدي الشيخ لم لا تامرون ملوككم بالعدل والانصاف
وان لا يميلوا الى الجور والاعتساف، فقال له الشيخ امرناهم
وتقدمنا بذلك اليهم، فلم ياتمروا فسلطناك عليهم، فخرج من فوره
من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبه، وقال ملكت الدنيا ورب
الكعبه، وهذا الشيخ هو الموعود بذكره، ثم ان تيمور قبض على ملك
هراه، واحاط على ما ملكت يداه، وضبط ولاياتها جانبًا جانبًا
وقرر لكل جانب نايبا، وتوجه الى سمرقند قافلًا بما امكنه،
وحبس السلطان في المدينه، واوصد عليه بابها، ووكل
بحفظه اصحابها، واضاف اليهم اشدة الحفاظ، الزبانية الشداد

صوابه أشد مرض



الغلاظ، وذلك لحلفه ان لا يريق دمه، وان يحفظ له ذمه.
فلم يُرق له دما، ولكنه قتله في الحبس جوعًا وظما،

ذكر عوده الى خراسان
وتخريبه ولايات سجستان

ثم عاد الى خُراسان، وقد عزم على الانتقام من سجستان، فخرج
اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح، فاجابهم الى ذلك على ان يمدوه
بالسلاح، واخرجوا اليه ما عندهم من عُدده، ورجوا بذلك
الفرج من تلك الشده، فحلّفهم وكتب عليهم قسامات بالغه، ان
مدينتهم غدت من السلاح فارغه، فلما تحقق ذلك منهم وضع
السيف فيهم، فاضاف بهم جنود المنايا عن بكرة ابيهم، ثم خرّب
المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر، ومحاها فلم يبن لها عين ولا
اثر، ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب، وما فعل ذلك بهم الا
لانه اولا منهم أصيب، وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد
اللطيف بن محمد بن ابي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة
الجقمقية في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، ان الذين
تخلصوا من القتل من اهل سجستان، بهزيمة او غيبة او بنوع
لطيفة من الله تعالى لشانه، لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور
عنها، ارادوا ان يُجمّعوا بها فاضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه
حتى ارسلوا الى كرمان من دلهم عليه،

ذكر قصد ذلك الغدار
ممالك سبزوار
وانقيادها اليه وقدوم واليها عليه

ثم لما اثار بسجستان ما اثار، قصد بعساكره مدينة سبزوار،
وكان واليها يُدعى حسن الجوري، مستقلا بالامارة وهو رافضي،
فما امكنه الا الاطاعة، واستقباله من الهدايا والخدم بما استطاعه،

فاقره

١٧

فاقره على ولايته، وزاد في رعايته،

فصل

وكان من عادة تيمور ومكره، انه كان في اول امره، اذا نزل باحد
مُستضيفًا استنسبه، وحفظ اسمه ونسبه، وقال له اذا
بلغك اني استوليت، وعلى الممالك استعليت، فأتني بعلامة
كذا، فاني أكافيك إذا، فلما انتشر ذكره، وشاع امره، وفشا
في الدنيا خَبَرُه وخُبْرُه، هرعت الناس بالعلايم اليه، ووفدت من
كل فج عميق عليه، وكان ينزل كلا منزلته، ويحله مرتبته،

ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار
مع الشريف محمد راس طائفة الدعار

وكان في مدينة سبزوار، رجل شريف من الشطار، يدعى السيد محمد
السربدار معه جماعة من الرجال كلهم شطار، يسمون السربدارية،
يعني الشطار، وكان هذا السيد رجلا مشهورا، بالمآثر والفضائل
مذكورا، فقال تيمور عليّ به، فاني ما جئت الا بسببه، وقد كنت
متشوقا اليه، ومتشوقا العلم ما لديه، فدعوه له فدخل عليه،
فقام اليه واعتنقه، وقابله ببشرة منطلقه، واكرمه وادناه،
وقال في جملة نجواه، يا سيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك
خراسان واحويها، وأنّى أحوز ادانيها واقاصيها، وماذا افعل
حتى يتم لي هذا الامر، وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر،
فقال له السيد يا مولانا الامير، انا رجل فقير وقير، من آل
الرسول، من اين انا وهذا الفضول، واني وانه قيل لي شريف،
رجل عاجز ضعيف، لا طاقة لي بموارد المهالك، ومن انا حتى
اتشاوف لمصالح الملك، ومن داخل الملوك وخارجهم، او
عارضهم في امورهم او مازجهم، كان كالعائم في مجمع البحرين،
وكالحائم في منسطح الكبشين، والخارج عن لغته لحان، وشتان
ما بين الامون والهجان، فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقة،

دُعار

وتخبرني عن المجاز إلى هذه الحقيقة • ولولا انني تفرست فيك ذلك •
وتكهنت ان برايك تقتدي المسالك • ولولا انك اهل لهذه المعرفه •
ما فهمت لك ببنت شفه • ولا استغنيت عنك استغناء النفه عن
الرفه • فان فراساتي اياسيه • وفهما باي كلها قياسيه • فقال
ذلك المشير • ايها الامير • اوتسمع في هذا مقالتي • وتتبع
اشارتي • فقال ما استشرتك الا لاتبعك • ولا جاريتك الا
لامشي معك • فقال ان اردت ان يصفو لك المشرب • وتنال
الممالك من غير ان تتعب • فعليك بخواجه علي ابن المويد الطوسي
قطب فلك هذه الممالك • ومركز دائرة هذه المسالك • فان
اقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه الا معك • وان ولى عنك بوجهه
فلن يفيدك غيره ولن ينفعك • فكن على استجلاب خاطره
وحضوره اليك ابلغ جاهد • فانه رجل صلب وظاهره وباطنه
واحد • وان طاعة الناس منوطة بطاعته • وافعال الكل مربوطة
باشارته • فما فعل فعلوا • فان حط حطوا وان رحل رحلوا •
وكان هذا الرجل اعني خواجه علي المذكور رجلا شيعيا • مواليا
عليا • يضرب السكة باسم الاثني عشر اماما • وكان يخطب باسمائهم
وكان شهما هماما • ثم قال السيد يا امير ادع خواجه علي فان لبى
دعوتك • وحضر حضرتك • فلا تترك من انواع الاحترام
والتوقير • والاكرام والتكبير • شيا الا واوصله اياه • فانه
يحفظ لك ذلك ويرعاه • وانزله منزلة الملوك العظام • في
التعظيم والتوقير والاحترام • ولا تدع معه شيا مما يليق
بحشمتك • فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك • ثم خرج
السيد من عند تيمور • وجهز قاصده الى الخواجه علي المذكور •
يقول له انه قد تمهد له الامور • فان جاءه قاصده فلا يتوقف
عن الطاعه • ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعه • ويكون

منشرح

منشرح البال • آمنا سطواته في الحال والمال • فاستعد خواجه علي
لقدوم الوارد • وورود القاصد • وهيا الخدمات • والتقادم
والحمولات • وضرب باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار • وخطب
باسمهما في جوامع الامصار • وقعد لامره منتجزا • واقام للطلب
مستوفزا • واذا بقاصد تيمور جاء منه بكتاب • فيه من لطف الكلام
ولين خطاب • يستدعيه مع انشراح الصدر • وتوفير التوقير •
وتكثير البر • فنهض من ساعته • ملبيا بلسان طاعته • ولم يلبث
غير مسافة الطريق • وقدم بامل فسيح وعهد وثيق • فلما اخبر
بوفوده • جهز لاستقباله اساورة جنوده • وسر سرورا شديدا •
وكانه استانف ملكا جديدا • فلما وصل قدم هدايا فاخره • وتحفا
متكاثره • وظرائف ملوكيه • وذخائر كسرويه • فعظمه تعظيما
بالغا • واولاه انعاما سابغا • واشتمل على مدرجاته من خلع
اعزازه واكرامه ذيلا سابغا • واستمر به على ولايته • وزاد في بره
وكرامته • فلم يبق في خراسان امير مدينه • ولا نائب قلعة مكينه
• ولا من يشار اليه • الا وقصد تيمور واقبل عليه • فمن اكابرهم امير
محمد حاكم باورد وامير عبد الله حاكم سرخس وانتشرت هيبته في
الافاق • وبلغت سطوته مازندران وكيلان وبلاد الري والعراق •
وامتلأت منه القلوب والاسماع • وخافه القريب والبعيد وعلى
الخصوص شاه شجاع • وكل هذا في مدة قصيره • وايام قلائل
يسيره • بخو [illegible] سنتين • بعد قتله السلطان حسين •

ذكر مراسلة ذلك الشجاع سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

ولما صفت له بلاد خراسان • واذعن لطاعته كل قاص ودان •
راسل شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم • يطلب منه الطاعة
والانقياد وارسال الاموال والخدم • ومن جملة كتابه • وفحوى

والجبارين من
خطابه. ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام. والجبارين من ملوك الانام. ورفعني على من باراني. ونصرني على من خالفني وعاداني. وقد رايت وسمعت. فان اجبت واطعت فبها ونعمت. والا فاعلم ان في قدمي ثلاث اشياء. الخراب والقحط والوباء. واثم كل ذلك عائد عليك. ومنسوب اليك. فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته ومهاداته. ومصاهرته ومصافاته. وزوج ابنته بابن تيمور. ولم يتم ذلك السرور بحدوث الشرور. فانقبضت تلك المباسطة بواسطة افناء الواسطة. وتتريب الخطابة وتخريب الاشطه.

قلت بديها مضمنا

اذا انتجبت لامر عز واسطة // فاحذر دناه وكن منه على وجل
واعلم بان طباع الانس قد جبلت // من الجفاء ومن مكر ومن دخل
فلا تثق منهم يوما بواسطة // واشرع بنفسك فيه غير متكل
فانما رجل الدنيا وواحدها // من لا يعول في الدنيا على رجل

ومذ عنان الكلام في هذا المقام. يجرنا عن المرام. ولكن ثمة رياض المحبة زاهرة. وارباض المودة عامرة. وفصول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائرة. واستمروا على ذلك من غير نزاع. الى ان توفي شاه شجاع. وكان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا. يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا. وله شعر رائق. وادب فائق. فمن شعره العربي على ما قيل

الا ان عهدي في الغرام يطول // واسباب صبري لا تزال تزول
اصون هواها كلما ذر شارق // ولكن ما بي قد يتم نحول
ومن لم يذق مر المباينة في الصبا // علمت يقينا انه لجهول

ومن شعره الفارسي

اي بكام عاشقان حسنت جميل // كي كزينم ديكري بر تو بديل
كر زيادت غافلم عيشم حرام // ور ز جورت دم زنم خونم سبيل

هركسى

هركسى تدبير كارى ميكند // ما رها كرديم با نعم الوكيل

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر. وابوه كان من افراد الناس ومن اهل البر. يسكن بنواحي يزد وابرقوه. ذا باس شديد يخافه القريب والبعيد ويرجوه. وكان قد منع بين يزد وشيراز. حرامي من عرب آل خفاجة سد على سالكي الطريقة حقيقة المجاز. يدعي جمال اللوك. افقر الغني واباد الصعلوك. لا يبالي بالرجال قلت او كثرت. ولا يكترث بكواكب النبال اذا الكواكب على راسه انتثرت. فاباد طائفة من البلاد. واهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. فكمن له ابو شجاع في بعض وهاد وبقاع. ثم قابله مواجهه. وكافحه مشافهه. ونازله فصرعه. وقطع راسه وانتزعه. فقصد براسه السلطان. فقدمه على ساير الاعوان. واقطعه اماكن عده. وقربه وجعله عدة لكل شده. وكان له عدة اولاد. واقارب واحفاد. كل منهم رئيس مطاع. فمن اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع. فصار كل منهم ذا كلمة نافذه. ويد مطيعة آخذه. ولم يكن للسلطان ولد يبقي وراءه في مورد الملك ويعقب. فلما اقبل عليه رائد المنية اجابه وولى مدبرا ولم يعقب. وكان اذ ذاك قد ثبتت اوتاد محمد بن مظفر. فتقدم في السلطنة ومن سواه تاخر. فصار في ممالك عراق العجم الملك المطاع. واستقل من غير تشاقق ونزاع. وتصرف في الممالك كيف شاء. ورداه الله خلعة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء. ومات في حياته ولده شاه مظفر المشهور. وخلف ولده شاه منصور. ثم جرى بين شاه شجاع وبين ابيه. من النزاع والشرور ما لا خير فيه. وقبض على ابيه وقهره. وفجعه بكريمتيه واعمى بصره. وتمكن من السلطنة واستقر. وكان به مرض جوع البقر. بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر. وكان كثيرا ما يدعو الله العفو.

واعدم

ان لا يجمع بينه وبين تيمور، فلما ادركه الاجل، وطوي فراش الموت
منه بساط الامل، احضر ماله من الاقارب والاولاد، وقسم عليهم
الممالك والبلاد، فولي ابنه لصلبه زين العابدين، شيراز وهي كرسي
الملك ومقصد الوافدين، واقطع اخاه السلطان احمد ولايات
كرمان، واعطي ابن اخيه شاه يحيى يزد وابن اخيه شاه منصور اصفهان
واسند وصيته بذلك الي تيمور، وخلد ذلك في رق منشور،
واشهد علي ذلك من حضر جمعه، فكان كمن سلم الرمح لابي ربيعه، ولما
ادرج الموت ثوب عمر شاه شجاع، انتشر بين اقاربه شقق الشقاق
والنزاع، فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه، واستولي
علي شيراز وفجعه بكريمتيه، وخالف عمه ونقض حبل عهده، وفعل
مع ابيه ما فعله ابوه بجده، وجعل هذه القضية عمده
والاشتغال بنقضه وابرامه يخرج عن المقصود، فانغص تيمور
وامتعض، وتجرع الغصص وارتمض، ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص

ذكر توجه تيمور مرة ثالثه الي خوارزم بالعساكر العايثه

ثم ان تيمور جدد العزم، وصمم العزم علي التوجه الي خوارزم،
وتوجه الي تلك البلاد، من خراسان علي طريق استراباد، وكان
سلطانها ايضا غائبا، فاراد ان يولي عليهم من جهته نائبا، فخرج
اليه حسن المذكور وصالحه، واشترى منه الشرور والمقابحه، وقال
له يا مولانا الامير، كلنا عندك اسير، ولكن سلطاننا غايب
واذا اقيم علينا من جهتك نائب، ثم رجع الينا السلطان، فلا
بد ان يقع بينهما شنان، واذا كان الامر كذا، فربما يصل الي منه
اذي، فيكون ذلك سبب تاكيد العداوه، ويزداد بينكما الجفا
والقساوه، فيغيض حنقك علي المسلمين، ويقع فساد والله
لا يحب المفسدين، وهب ان حسين صوفي صار نائبك، ثم كل

الخلق

15

الخلق يجب عليه ان يراعي خدمتك وجانبك، ورايك اعلي، واتباع
مرسومك اولي، فسمع تيمور كلامه، وقبل قوله وقوض للرحيل
خيامه، وكان لحسين المذكور ابن غير فالح، له عمل غير صالح،
فكان ذلك بخطيته من خطايا السلطان، وذاع ذلك في المكان،
وفاح ذفره في انف الزمان، فلم يتقيد بذلك الفعل القبيح حسن،
وقال ان لي علي السلطان منا واي منن، حيث حميت بلده من كل
ظلوم كفار، وبذلت في ذلك مالي وجاهي ثلاث مرار،
فلا بد ان يقابل هذه المصالحه، بالعفو عن جريمة ولدي
والمسامحه، فلما آب السلطان من سفره، واطلع علي حقيقة
الامر وخبره، قبض علي حسن وولده وقتلهما، والقاهما بين
يدي اسد قهره فاكلهما، وخرب ديارهما، ونقل الي خزائنه
شعارهما ودثارهما، ثم لم يلبث حسين صوفي ان توفي، وولي
بعده ولده يوسف صوفي، وكان تيمور قبل ذلك قد صاهرهم
وناصرهم علي مخالفيهم وظاهرهم، وزوج ابنه الذي يدعي جهانكير
عقيلة منهم ذات قدر كبير، واصيل خطير، ووجه مستنير،
احسن من شيرين واظرف من ولاده، وكونها من بنات الملوك تدعي
خانزاده، فولدت له محمد سلطان، وكان في نجابته واقباله
ساطع البرهان، فلما شاهد تيمور في شمائله مخايل السعاده،
وقد فاق في النجابة اولاده واحفاده، اقبل دون الكل عليه،
وعهد مع وجود اعمامه اليه، لكن عاند الدهر ذلك الظلوم، فتوفي
قبله في اق شهر من بلاد الروم، وسياتي ذكر ذلك

ذكر توجه ذلك الباقعه الي خوارزم مره رابعه

فلما سمع تيمور، ما جري علي حسن من الشرور، تحنق وشدد
الازم، ووجه ركاب الغضب الي خوارزم، واخذه وقتل

سلطانها، وهدم اركانها، وخرب بنيانها، وولى على ما بقي منها نائباً من عنده، ونقل جميع ما امكنه نقله عنها الى ممالك سمرقند، وتاريخ خراب خوارزم عذاب، كما ان تاريخ خراب دمشق خراب،

ذكر ما كان ذلك الجان
راسل به شاه ولي امير ممالك مازندران

ثم انه لما كان توجه الى خراسان، راسل شاه ولي امير ممالك مازندران، وكانت الامراء المستقلين بذلك المكان، فمنهم اسكندر الجلابي، وارشيوند وابراهيم القمي، واستدعاهم الى حضرته، كما هو جاري عادته، فاجابه بالحضور ابراهيم وارشيوند واسكندر، وتابى عليه شاه ولي ذلك الغضنفر، فلم يلتفت الى خطابه، وخشن له في جوابه

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق
وما وقع في ذلك من الشقاق
وعدم الاتفاق

ثم ارسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان، والى السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب واذربيجان، يخبرهما بورود خطابه، وصدور جوابه، ثم قال انا ثغركما، وان انتظم امري انتظم امركما، وان تزلزل منه بائقة فانها بما لكما لاحقة، فان ساعدتماني بمدد، كفيتكما هذا النكد، والا فتصيران كما قيل

شعر

من حلقت لحية جارٍ له ۞ فليسكب الماء على لحيته

فاما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه، وهادن تيمور كما ذكر وهاداه، واما السلطان احمد فاجاب بجواب مهمل، وقال هذا الاشل الاعرج الجغتائي ما عساه ان يفعل، ومن اين ومن اين للاعرج الجغتائي ان يطأ العراقين، وان بينه وبين هذه

بيانه
لأواقعنه

البلاد، لخرط القتاد، ولكم بين مكان ومكان، فلا يحل العراق كخراسان، ولئن عقدت على التوجه الى ديارنا نيته، ليحلن به منيته ولترحلن عنه امنيته، فانا قوم لنا الباس والشدة، والعدة والعدد، والدولة والنجدة، ولنا يصلح التناوح والتأبي، حتى كأنه قال فينا المتنبي

نحن قوم ملجن في زي ناس ۞ فوق طير لها شخوص الجمال

فلما علم ذلك منهم شاه ولي، وايقن ان كلا منهما عن نجدة خلي، قال اما انا فوالله لاواقعنه، بعزم صادق ونفس مطمئنة، فلئن ظفرت به لانذرن بكما في الامصار، ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار، وان ظفر بي فلا علي ما يصل اليكما، فليبرزن القضاء الطام والبلاء العام عليكما، ثم استعد للقائه، واستسلم لقدر الله تعالى وقضائه، ولما تراءى الجمعان، واتصلت المراشقة بالضرب والطعان، ثبت شاه ولي ساعة لما نابه من شره وقهره، ثم ولى الدبر لما لاحظ ما راى من كره وفره، وتبع السنة في الفرار مما لا يطاق، وتوجه الى الري اذ ما امكنه التوجه الى العراق، وكان بها امير مستقل يدعى محمد جوكار، متصرفاً بحكومته في تلك القرى والامصار، وكان كريماً شجاعاً، وملكاً مطاعاً، ومع ذلك فانه دارى تيمور، وراعى منه بعض الامور، وخاف سطوته وباسه، فقتل شاه ولي وارسل الى تيمور راسه

ذكر ما جرى لابي بكر الشاسباني
من الوقائع مع ذلك الجاني

وكان في بعض ولايات مازندران، رجل يسمى ابا بكر من قرية تدعى شاسبان، وكان في الحروب، كالاسد الغضوب، وكان قد اباد واباد، الجم الغفير من عساكر التتار، اذا انتمى في المجال لا تثبت له الرجال، واذا وضع العمامة، اقام فيهم القيامة، ولا زال يكمن بين الروابي والجبال، ويخذل الجنود والابطال،

حتى صارت تضرب به الامثال • وترعد منه الفرايص ولو في طيف الخيال • فكان القايل منهم يقول لمركوبه اذا اعلق عليه او سقاه • فما خرعن الماء او جعل من المخلاه • كأن ابا بكر الشاساني في الماء او بين العليق تراه • وقيل لم ينتضر عسكر تيمور في مدة استيلائه • مع كثرة حروبه ومصافاته وبلائه • الامن ثلاثة انفار • اضروا به وبعساكره غاية الاضرار • واوردوا كثيرا منهم موارد النار • احدهم ابوبكر الشاساني • وثانيهم سيدي علي الكردي وثالثهم امة التركماني • فاما ابوبكر هذا فذكروا انه في بعض مضايق مازندران • تغلب عليه الجغتاي من كل مكان • وسدوا عليه وجه المخلص • وشدوا حبل المقتنص • فالجأوه الى جرف مقابله جرفه مقدار ثمانية اذرع ما بين الجرف الى الجرف • كأن قعره جب التعير • او واد في قعر السعير • فنزل ابوبكر عن جواده المضمر • وطفر وطمر من احد الجرفين الى الاخر • بما عليه من السلاح والمغفر • ولم ينل منهم ضررا • اونجا كما نجا تأبط شرا • ثم اتصل بحاشيته واباديهم • ونقل الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصاديهم • ثم ما دري امره الى ماذا آل • وكيف تقلبت به الاحوال • واما سيدي علي الكردي فانه كان اميرا في بلاد الكرد • معه طائفة من الخيل الجرد • والرجال غير المرد • في جبال عاصيه • واماكن وعرة متقاصيه • فكان يخرج هو وجماعته • ومن شملته طاعته • ويترك على فم المضايق • من هو به واثق • ثم يشن على عساكر تيمور الغارات • ويدرك فيهم للمسلمين الثارات • ويقتطع من حواشيهم • وما يمكنه من مواشيهم • ثم يرجع الى اوكاره • بما قضي من اوطاره • ولم يزل على ذلك البان • في حياة تيمور وبعد ان مات • الى ان ادركته الوفاة ففات • واما امة التركماني فانه كان من تراكمة قراباغ • وله ابنان قد وضع كل منهما على قلب تيمور

اي

اي داغ • وكانت الحروب والنزال • بينهم وبين اميرانشاه وعساكر الجغتاي لا تزال • وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصي • وجانبا فات الاستقصا • الى ان غدر واحد من المنتسبين اليهم • فطلب غرتهم ودل عسكر اميرانشاه عليهم • فبيتوهم ليلا • واراقوا من دمهم سيلا • فاستشهد الثلاثة في سبيل الله • رحمهم الله •

قلت شعر

واصعب فتنة تشمت الاعداء ‏ ‏ وانكي منه تخذيل الموالي

وقيل شعر

وظلم ذوي القربي اشد مضاضة ‏ ‏ على المرء من وقع الحسام المهند

وقيل شعر

اذا كان هذا بالاقارب فعلكم ‏ ‏ فماذا الذي ابقيتم للاباعد

ذكر توجه تيمور الى عراق العجم وخوض شاه منصور غمار ذلك البحر الخضم

ولما توفي شاه شجاع • ووقع بين اهله كما مر نزاع • واستقر امر عراق العجم على شاه منصور • وخلصت ممالك مازندران وورديتها لتيمور • وكان شاه شجاع قد اوصي الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكروه وكل امره اليه • وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله من ابن عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشي عليه • فاستمد شاه منصور اقاربه • فكلهم صار محاربه • وعاد مجاذبه ومجانبه • واقام كل منهم يحفظ جانبه • فتهيأ للاقاته وحده • بنحو الفي فارس كاملي العده • بعد ان حصن المدينه • وحوطها بالاهبة المكينه • ورتب خيلها ورجلها • وحرض على التصبر والتربص اهلها • فقال لهم كابراعيانها • والرؤس من سكانها • كانا بك في المقتحم • وسد الحرب قد التحم • وقد منعناه من الوصول الينا ودافعناه عن الهجوم علينا • وربما جندلنا له رجالا • وابطلنا من

عسكره ابطالا، ثم بماذا تصنع انت بالمراكب، مع هذا الغمام
المتراكم المتراكب، وربما يحل عقدك، او يقل جندك، فلا ترى
لنفسك في الهيجاء، الا طلب الخلاص والنجاء، وتتركنا كاعل
وضم، بعد ان زلت بنا معهم القدم، ولا ينفعنا بعد تاكيد
العدا وقال الندم، ولا يجبر منا اذ ذاك هذا الكسر، الا بالقتل والنهب
والاسر، فوضع يده على دبوسه شاه منصور، وقال هذا الالف
في الكاف السادسة من اسم من يفر من تيمور، اما انا فقاتل وحده،
فان خذلني جندي قاتلت وحدي، وبذلت في ذلك جدي وجهدي
، وعاندت عليه ولدي وكبدي، فان تمت تلك قصدي، وان
قتلت فلا علي ممن بقي بعدي، وكاني انا كنت الحاضر، والخاطر
في خاطر الشاعر، حين قال،

اذا هم القى بين عينيه عزمه، وتنكب عن ذكر العواقب جانبا

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه، واراد بذلك حفظ
مدنه فضاع في ضياعه، ثم جمع رؤساء شيراز واجنادها، وافلاذ
كبدها واولادها، وقال ان هذا عدو ثقيل، وهو وان كان نحا رجيا
فهو في بلادنا دخيل، فالراي اني لا اخص معه في مكان، ولا اقاتله
بضرب او طعان، بل انتقل في الجوانب، واتسلط انا ورعاياي
عليه من كل جانب، فنصيح اكنافهم، ونقطع اطرافهم، ونواظبه
بالنهار ونراقبه بالليل، ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط
الخيل، وكلما وجدنا منه غرة، كبسنا منه القفا والغرة، فتارة
ننطحه، واخرى نرمحه، وكرة نجحه ومرة نجرحه، ونسلبه
الهجوع، ونمنعه الرجوع، فتشتد عليه المضايق، وتنسد
عليه الطرق والطرايق، غير ان القصد منكم يا احرار،
ويا نمور القفار، ونسور النفار، ان تحتفظوا بضبط الاسوار
ولا تغفلوا عنها اناء الليل واطراف النهار، فاني ما دمت بعيدا

عنكم

عنكم لا يدنوا احد منهم منكم، وان حاصركم ففيكم كفايه، واستودعكم
الله ونعم الوقايه، وغاية ما تكونون في هذه البوسا، مقدار
ما واعد الله تعالى نبيه موسى، ولله هذا الراي ما كان امتنه
ووجه هذا القصد ما كان احسنه، ثم انه خرج ذاهبا، وقصد جانبا،

ذكر دقيقة قصدت فحلت
ونقضت ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت

فبينما هو عند باب المدينة جايز، فطرقته سعلاة من مشومات
العجايز، فبدرته بالملام، واذته بالكلام، ونادت بلسان
الاعجام، انظروا الى هذا تركش حرام، رعى اموالنا، وتحكم في
دمائنا، وفارقنا احوج ما نحن اليه في مخالب اعدائنا، جعل
الله حمل السلاح عليه حراما، ولا اتيح له قصدا ولا اسعف له مراما

فقدحت زناده، وجرحت فؤاده، وتاججت نيران غضبه
واحرق اكداس تدبره شواظ لهبه، وثارت نفسه الابيه
واخذته حمية الجاهلية، حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم
وغلط فامسى وهو لغلطه ملازم، فثنى عنان عزمه، وكر
اسنان ازمه، واقسم لا يبرح عن المقاومه، ولا يرجع في مجلس
قضاء الحرب عن ملازمة المصادمه، ويجعل ذلك دابه صباحا
ومساء وعشاء، الى ان يعطي الله النصر لمن يشاء، ثم قابل
ورتب ابطاله وقاتل، وكان في عسكر شاه منصور، امير
خراساني مباطن لتيمور، يدعى محمد بن زين الدين، من المجرة
العتدين، وجل العساكر كان معه، فسار الى تيمور واكثر الجند
تبعه، فلم يبق منهم الا دون الالف، فما فر واحد منهم من
الزحف، فثبت شاه منصور، بعد ان تضعضعت منه الامور
فلم تزل نيران الهيجاء تنتطح، وزناد الحرب توري اذ تنقدح،
وشرار السهام تتطاير، وثمار الرؤس بمناجل السيوف تقطف

فتناثر حتى اقبل جيش الليل وشمر الهزيمة جند النهار الاول
فتراجع كل منهم الى وكره واعمل شاه منصور فكره فى مكره

ذكر ما نقل عن شاه منصور
مما اوقع بعسكر تيمور
من الحرب والويل تحت جنح الليل

فعمد الى فرس جفول من بين الخيول اجمح من دهر وارمح من عصر جمح واتى بها عسكر العدو وقد اخذ الليل فى الهدو
ثم ربط فى ذنبها قدرا من النحاس ملفوفة فى قطعة بلاس
وشدها شدة احكم وثاقها وصوبها نحو العدو وساقها
فجالت الفرس فى العسكر واضطربت واختلط الناس واحتربت
وانسابت جداول السيوف فى بطون تلك النحور وانسربت حتى
كأن الساعة اقتربت او السما عليهم بالشهب انقلبت والارض
بهم اهتزت وربت وشاه منصور واقف حواليهم كالبازي
المطل عليهم يقتل من شذ ويبيد من ند وصاروا كما قيل

شعر

الليل داج والكباش تنتطح ... نطاح حد ما ارى ها ينصطلح
فقائم وقاعد ومنبطح ... فمن نجا براسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فني نحو من عشرة الاف نفس
فلما قوض الليل خيامه ورفع النهار اعلامه علموا البلاء كيف
دهاهم وليت الليل لم يكن فارق دراهم ثم ان شاه منصور
اصبح وقد قل ناصره وقل موازره فانتخب من جماعته فئة
نحوا من خمس مائة فجعل يصول بهم صولة الاسد ويخوض
بهم غمار الموت فلا يلوي امامهم احد على احد ويميل يسرة
ويمنة ويثب وبصيح انا شاه منصور الصابر المحتسب
فتراهم بين يديه حمرا مستنفرة فرت من قسورة

وقصد

وقصد مكانا فيه تيمور فهرب منه ودخل بين النسا واختفى بينهن
وغطي بكسا فبادرنه وقلن نحن حرم واشرن الى طائفة من
العسكر المصطدم وقلن هناك بغيتك وبين اوليك
طلبتك فالوى راجعا وتركهن مخادعا وقصد حيث اشرن
اليه وقد احاطت به جموع العساكر وحلقت عليه فلت بديهه

شعر

وما جزاعناق الرجال سوى النسا ... واي بلاء ما لهن به ابلى
وكم نار شر احرقت كبد الورى ... ولم يك الا مكرهن لها اصلا

وكان على فرس فاقتحما لا فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا
وفرسه السبوح كانت تقاتل معه وتصدم وتكدم من يقرب
منها فى تلك المعمعه وكانه كان ينشد معنى ما قلته فى مرآة الادب

شعر

يد الله قوتني فغلت يداهم ... وهذي يدي فيهم بسيفين تضرب
فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال افترقت امامه يمينا وشمالا
وان كانوا كلهم من اهل الشمال

شعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى ... فاعظم ما يجني عليه اجتهاده
حتى انهكته الحرب وكلت يداه من الطعن والضرب وجدلت
الابطاله وقلت خيله ورجاله وتغيرت من كل جهة احواله
وسدت طرايقه وشدت مضايقه وخربت شقاشقه
وطرست فيالقه وخمدت بوارقه وهمدت بيادقه وجمح
نجاحه وقص جناحه وخف مراحه واثقلته جراحه
وسكنت همهمته وسكت غمغمته فانفرد عن اصحابه
وقد اذاه الجراح واودي به ولم يبق معه فى ذلك البحر
سوي نفرين احدهما يدعى توكل والاخر مهتر فخر واخذه
الدهش وغلب عليه العطش ونشف الرهج والوهج كبده

ابطاله

وطلب شربة ماء فما وجده • ولو وجد ما يبل به ريقه • لما قدر
احد ان يقطع عليه طريقه • فراى الاولى • طرح نفسه بين
القتلى • فاطرح بينهم نفسه • ورمى اهبته وسيب فرسه •
وقتل توكل ونجا فخر الدين • وبه من الجراح نحوا من سبعين •
وعمر بعد ذلك حتى بلغ تسعين • وكان من الابطال والمصارعين
فتراجع جيش تيمور وتضام • وانتعش بعد ان بلغ موارد
الحمام • وذلك بعد ان قتل منهم ما لا يعد • وافنى ليلا ونهارا
ما لا يحصى ولا يحد • وطفق تيمور في القلق • والضجر والارق •
لفقد شاه منصور • وعدم الوقوف على حال ذلك الاسد
الهصور • أهو في الاحيا فيخشى مكره • ام انتقل الى دار الفناء
فيومن مكره • فامر بتفتيش الجرحى • والتنقيب عنه بين القتلى
والطرحى • الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب • ويغمد حسام
الضيا من الظلام في قراب • فعندما ضم دينار البيضاء • تحت
ذيل ملاءة الضياء • ومد نساج القدرة في جو الفضا سداه •
والليل اذا سجى • ونثر على سطح هذا الاديم المينا • دراهم كواكبه
الزهراء • واشتد الظلام واتسق • عثر واحد من الجغتاي على
شاه منصور وبه ادنى رمق • فتشبث شاه منصور بذلك
الانسان • بل الشيطان الخوان • وناداه الامان الامان • انا شاه
منصور • فاكتم عني هذه الامور • وخذ مني هذه الجواهر •
وخافت في قضيتي ولا تجاهر • ولا رايتك ولا رايتني • ولا
عرفتك ولا عرفتني • وان اخفيت مكاني • ونقلتني الى اخواني
واعواني • كنت كمن اعتقني بعد ما اشتراني • ومن بعد
ما اماتني احياني • وكنت ترى مكافاتي • وتغنم مصافاتي •
ثم اخرج له من الجواهر • ما يكفيه وذريته الى يوم الاخر •
فكان في قصته • واستكشاف غصته • كالمستغيث بعمرو عند

كربته

كربته • فما عتم ان وثب على شاه منصور • وحز راسه واتى به الى
تيمور • وحكى له ما جرى بتخبير المشتري فما صدقه • ولا في كلامه
استوثقه • بل اخرج من قبايله وشعوبه • من عرفه به • فعرفوه
بشامه • كانت على وجهه علامه • فلما علم انه شاه منصور
بعينه • وتميز له صدق ذلك الرجل من مينه • تحنق وتحيف •
وتحرق لقتل شاه منصور وتاسف • ثم سال ذلك الرجل عن
محتده • وعن والده وولده • وعن قبيلته وذويه • ومحتده
ومربيه • فلما استوضح اخباره • وعلم نجاره ونجاده • ارسل
مرسومه الى متولي تلك الدارة • فقتل اهله واولاده • واعوانه
وانصاره • واهله واحفاده • واختانه واصهاره • وقتله شر
قتلة ومحا اثاره • وصادر محتده ومربيه وقتله وخرب دياره • ثم
ارسل الى اطراف ممالكه مطالعات • يذكر فيها صور تلك المصافات •
والمواقعات • وما شاهده من ثبات شاه منصور وثباته • وغشيان
وثباته
غمرات الحرب ومضاربته • وما حصل في واقعة القتال على الحديد
في صف مرسلاته • وكيف زلزلت العاديات وولولت النسا في فسح
حجراته • بعبارات هائله • وكلمات في ميادين الفصاحة والبلاغة
جائله • وهذه المطالعات تقرا في المحافل والمشاهد • وتتلى
في المصادر والموارد • يستمد منها ذوو الاداب • ويعتني بحفظها
الكتاب والصبيان في الكتاب رايت في اخبار بعض المعتنين •
انه في شوال سنة خمس وتسعين • ورد رسول صاحب بسطام •
يؤذن سلطان مصر بالاعلام • ان تيمور • قتل شاه منصور •
وانه تولى على شيراز وسائر البلاد • وارسل راسه الى حاكم بغداد
• وامره بالطاعة هو ومن معه من الجماعة • وارسل اليه خلعه
• وان يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك في الجمعة • فلبس خلعته
وائتمر • ممتثلا لما به امر • وانه علق راس شاه منصور • بعد

ما طافوا به على السور، وما الظن لله النصيحة

ذكر ما وقع من الامور والشرور بعد واقعة شاه منصور

فاستولى تيمور على ممالك فارس وارض عراق العجم، وراسل من داناه من اقارب شاه شجاع وملوك الامم، واستمال الخواطر وأمن البادي والحاضر، ورحل فجاز مدينة شيراز، وضبط احوالها، وقرر فيها خيلها ورجالها، ونادى بالامان للقاصي والدان، فلبت دعوته ملوك البلاد، ولم يسعهم معه الا الاطاعة والانقياد، فوصل اليه السلطان احمد من كرمان، وشاه يحيى من يزد وعصى سلطان ابو اسحاق في سيرجان، فانعم وخلع على من اطاعه وانقاد، ولم يتعرض لمن اظهر العناد، ولم يشتغل بينه وبين مخالفيه العصاة، واكرم من اطاعه ليوقع بذلك من عصى، وطرح على شيراز وسائر البلدان بالامان، واقام في كل بلدة من جهته نائبا وتوجه الى اصبهان، واحسن الى زين العابدين الذي هو وصيه من ابيه، ووظف له من الجوامك والادرارات ما يكفيه وذويه

ذكر ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان

فلما وصل الى اصبهان، وكانت من اكبر البلدان، مملوة بالافاضل محشوة بالاماثل، وبها شخص من علماء الاسلام، والسادة الاعلام، قد بلغ في العلم الغاية، وفي العمل والاجتهاد النهاية، افعاله مبروره، وكراماته مشهوره، ومآثره مذكوره، ومحاسنه على جبهة الايام مسطوره، وهو معتقد المسلمين، وكان اسمه امام الدين، وكان اهل اصبهان يذكرون له تيمور، ويحذرون من شره اي محذور، فيقول لهم ما دمت فيكم حيا ما

يضركم

يضركم كيده شيا، فان وافاني الاجل، فكونوا من اذاه على وجل، اتفق انه في وصول تيمور، توفي الشيخ المذكور، فاصبحت اصبهان ظلمات بعضها فوق بعض بعد ان كانت نورا على نور، فتنغصا حسراتهم، وترادفت كرباتهم، فوقعوا في الحيره، وصاروا كابي هريرة رضي الله عنه حيث يقول

للناس هم ولي في اليوم همان، فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان

فخرجوا اليه وصالحوه على حمل اموال، فارسل اليهم لاستخلاصها الرجال، فوزعوها على الجهات، وفرضوا على الحارات والمحلات، وتفرق فيهم المستخلصون، فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون، واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم، وتوصلوا الى ان مدوا ايديهم الى الحرم، فانتكوا منهم اي نكايه، فرفع اهل اصبهان الى رئيسهم الشكايه، وكثرت منهم الشكيه، وهم قوم لهم حميه، وقالوا الموت على هذه الحاله، خير من الحياة مع هذه الاستطاله، فقال لهم رئيسهم اذا قبل المساء، فاني ضارب الطبل لكن لا تحت كساء، فاذا سمعتم الطبل قد دق، فالقول قد حق، فليقبض كل منكم على نزيله، وليحتكم منكم بيمين رايه وهزيله، فاتفقوا على هذا الراي المعكوس، والامر المنكوس في الطالع المنحوس، وقصروا ايدي انظارهم السقيمه، عن قصارى هذه الامور الوخيمه، ولما تعرى العنان من ثوب نوره، وابدل الجوقافيه بسموره، ومضى هزيع من الليل، ضرب الرئيس الطبل فحل بالمستخلصين الويل، فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة آلاف، فاصبحوا وقد غرسوا في دوح العصيان اغصان الخلاف، فاثمر ذلك لهم الحور بعد الكور، وبان لهم البور فاصبحوا بورا بهذا البور، ولما سل الفجر حسامه، وحسر النهار لثامه، بلغ تيمور ذلك الصنع المشوم، فنفخ الشيطان منه في الخيشوم، فارتحل من فوره

واشتد غضبه ونثل جعبة جوره • وتوجه الى المدينة مزمجرا
مصراع مشكلا متأسدا متنمرا • فوصل اليها واخنى عليها •
وامر بالدماء ان تسفك • وبالحرمات ان تهتك • وبالارواح ان
تسلب • وبالاموال ان تنهب • وبالعمران ان تخرب • وبالزروع
ان تحرق • وبالضروع ان تخرق • وبالاطفال ان تنطح • وبالاجساد
ان تجرح • وبالاعراض ان تثلم • وبالامم ان تسلم ولا تسلم •
وان ينطوي بساط الرحمه • وينشر مسح النقمه • فلا يرحم كبير
لكبره • ولا صغير لصغره • ولا يوقر عالم لعلمه • ولا ذو ادب
لفضله وحلمه • ولا شريف لنسبه • ولا منيف لحسبه • ولا
غريب لغربته • ولا قريب لقرابته وقربته • ولا مسلم لاسلامه •
ولا ذمي لذمامه • ولا ضعيف لضعفه • ولا جاهل لركاكة رايه
وسخفه • وبالجملة فلا يبقي على احد • ممن هو داخل البلد •
واما اهل المدينة فعلموا انه ليس للجدال مجال • فضلا عن ضراب
وقتال • وان قبول الاعذار محال • وانه ليس ينجيهم من ريب
المنون • مال ولا بنون • ولا يقبل منهم في تلك الساعه • ولا
ينفعهم عدل ولا شفاعه • فتحصنوا بحصون الاصطبار •
وتدرعوا دروع الاعتبار • وتلقوا سهام القضا من حنايا
المنايا بمجن تسليم المراد • واستقبلوا ضربات القدر من
سيوف الحتوف باعناق التفويض والانقياد • فاطلق
في ميادين رقابهم عنان الحسام البتار • وجعل مقابرهم
بطون الذياب والضباع وحواصل الاطيار • ولا زالت
عواصف الفناء تحتهم من اشجار الوجود حتى حصر واعدد
القتلى فكان تحويت مرار من امة يونس بن متى • فاستشفع
بعض البصراء • بواحد من روس الامراء • وقال التقية في
البقية • والرعاية في الرعية • فقال ذلك الامير للسائل

الفقر

الفقراء • اجمعوا بعض الاطفال عند بعض القلل • ولعل ان
يلين منه عند رؤيتهم شيئا ما عسى ولعل • فامتثلوا ما به امر
ووضعوا اكثر ذمة من الاطفال عنده على الممر • ثم ركب ذلك الامير
مع تيمور واخذ به على تلك الاطفال ومر • ثم قال انظر يا مخدوم •
نظر الراحم الى المرحوم • فقال ما هولاء • الطرحا الاشقياء • فقال
اطفال معصومون • وامة مرحومون مرجومون • استجر القتل
بوالديهم • وحل غضب مولانا الامير على اكابرهم وذويهم •
وهم يسترحمون بعواطف الملوكية وصغرهم • ويستشفعون
اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم وكسرهم • ان ترحم ذلهم •
وتبقي على من بقي لهم • فلم يحر جوابا • ولا ابدى خطابا • ثم مال
بعنان فرسه عليهم • ولم يظهر انه بصر بهم ولا نظر اليهم • ومالت
معه تلك الجنود والعساكر • حتى اتى منهم على الاول والاخر •
فجعلهم طعمة للسنابك • ودقهم تحت اقدام اولئك • ثم جمع
الاموال • واوسق الاحمال • ومال راجعا الى سمرقند بما قد نال •
وكم بين هذه الامور والقضايا • من دواه وبلايا • واخبار
وحكايات وتجهيز سرايا • وتولية وعزل • وابراز هزل في صورة
جد وجد في صورة هزل • وبناء وهد • وصد ورد • وتعمير
غامر • وتخريب عامر • وتباين وتغاز • وانحراف وتواز •
ومباحثات مع علماء • ومناظرات مع كبراء • ورفع وضعاء •
ووضع شرفاء • وتمهيد قواعد • وتقريب اباعد • وتبعيد
اداني • وتبرز مراسيم الى كل قاص ودان • الى غير ذلك مما
لا يكاد يحصر • ولا يضبط بديوان ولا دفتر •

ذكر ضبطه طرف المغل والجتا
وما صدر منه في تلك الاماكن واني

ولما وصل الى سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير •

مع سيف الدين الامير • الى اقصى ما تبلغ اليه مملكته • وتنفذ فيه
كلمته • وهو وراء سيحون شرقا سوا • اخذ في نحو ممالك
المغل والجتا والخطا • نحوا من مسيرة شهر • عن ممالك ما وراء
النهر • فمهدوا هنالك الوهد والبقاع • وبنوا فيه جملة من
القلاع • واقصاها بلد يسمى اشباره • فبنوا فيه حصنا حصينا
معدا للنهب والغاره • وخطب من بنات الملوك ملكة اخرى •
وكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى • والاخرى الملكة الصغرى •
فاجابهم ملكهم الى ما سأل • واناب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل
وارتجت منه اقاليم المغل والخطا • وذلك لما بلغهم مما فتك •
في كل طرف وبتك • من بلاد الاسلام وسطا • وكان السفير في
ذلك الله داد اخو سيف الدين المذكور • وهو الذي استخلص
اموال دمشق ونزل في دار ابن مشكور • وامر تيمور ببناء مدينة
على طرف سيحون من ذلك الجانب • وعقد اليها جسرا على متن النهر
بالمراسي والمراكب • وسماها شاه رخيه • وهي في اماكن رحبه •
وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم • ووسم هذه المدينة
بهذا الوسم • انه كان على عادته • مشغولا بلعب الشطرنج مع
بعض حاشيته • وقد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل
وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل • فرمى على خصمه شاه
رخ • فذبل خصمه لذلك وارتخى • وبينا خصمه قد وقع في
الاين • اذا بمبشرين جاءا مخبرين • احدهما يبشره بولد •
والاخر يبشره بتمام عمارة البلد • فسماهما بهذين الاسمين •
ووسمهما بهذين الوسمين

ذكر عود ذلك الافعوان
الى ممالك فارس وخراسان
وفتكه بملوك عراق العجم

واستصفائه تلك الولايات والامم

ثم عاد بعد تمهيد البلاد • وتوطيد قواعد ممالك تركستان •
الى بلاد خراسان • فاستقبله الملوك والامراء • والسلاطين
والوزراء • وسارعوا اليه من كل جانب • ما بين راجل وراكب •
ملبين دعوته • حاذرين سطوته • مغتنمين خدمته • وسلكوا
الانجاد والاغوار • والاطراف والقفار • والقرى وسكانها
والبراري وقطانها • والقلاع العاصيه • وربطوا بذيل امره
كل ناصيه • ممتثلين اوامره • مجتنبين زواجره • عاقدين نطاق
عبوديته بانامل الاخلاص • تابعين رائد مرضاته على نجائب
الولاء والاختصاص • فمنهم جميع من مر ذكره من المطيعين •
ومن كانوا في الشواهق ممتنعين منيعين • ومن جملتهم اسكندر
الجلابي احد ملوك مازندران • وارشيوند الفارسكوهي
ذلك الاسد الغضبان • صاحب الجبال • الشوامخ العاصية
القلال • وابراهيم القمي صاحب النجده • والمعد لكل شده •
واطاعه السلطان ابو اسحاق من شيرجان • فاجتمع عنده من
ملوك عراق العجم سبعة عشر نفرا ما بين سلطان وابن سلطان
وابن اخي سلطان • كلهم في ممالكه ملك مطاع • مثل سلطان
احمد اخي شاه شجاع • وشاه يحيى بن اخي شاه شجاع سوى
ملوك مازندران • وسوى ارشيوند وابراهيم وملوك
خراسان • ولما سلك السلطان ابو اسحاق نمط اقاربه في الطاعة
وعمل على ذلك الطرز • خلف ببلده شيرجان نائبا يقال له
كودرز • فاتفق في بعض الايام • انه اجتمع عند تيمور •
هؤلاء الملوك العظام • فكانوا عنده • في خيمة له وهو بينهم
وحده • فاشار واحد منهم الى شاه يحيى وقد امكنت الفرصة
ان يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه • فاجابه بعض واستمع

بعض، وقال لمن رضي بذلك من لم يرض، ان لم تكفوا، وعن هذا
المقال تعفوا، اخبرته بهذه المقاله، واطلعته على هذه الحاله
فامتنعوا عن هذا الراي المتين والفكر الرصين، لاختلافهم
ولا يزالون مختلفين، وكان طالع احوالهم، اوتفرس اقوالهم
فاسرها في نفسه ولم يبدها لهم ثم مكث اياما، وجلس
للناس جلوسا عاما، وقد لبس ثيابا احمرا، ودعا هولاء
الملوك السبعة عشر طرا، ثم امر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة
صبرا، ثم لما ابادهم، ضبط بلادهم، وجمع طريفهم وتلادهم
وقتل اولادهم واحفادهم، واقام في ممالكهم اولاده، وامراءه
واحفاده، واسباطه واجناده، وسبب قتله هولاء الملوك
وفتكه، وتمزيقه ستر حياتهم وهتكه، ان بلاد العجم كانت لا تخلو
من الملوك الاكابر، ومن ورثة الملك والسلطنة كابرا عن كابر،
وهي ممالك واسعه، اطرافها شاسعه، مدنها وافره، وقراها
متكاثره، واوتاد اوتادها راسخه، وعرانين اطوادها شامخه،
ومخدرات قلاعها ناشزه، ومضمرات مكامنها ومعادنها غير
بارزه، وكواسر كاسرها كاسره، ونواشز جوارحها للظهور
ناشره، ونمور عاراتها طامره، وبيود شطارها طافره، وثعابين
ابطالها في جداول الجدال ظاهره، وتماسيح اقيالها في بحار الضراب
قاهره، فنظر تيمور بعين بصيرته، في وذيلة تامله ومراة
فكرته، فراى انه لا يزكو له ورد عارضها من شوكة عارض، ولا
يصفو ورد ثغر فايحها من شارب معارض، ولا يثبت له في
بنيان ممالكها اساس محكم، ولا ينبت له في بستان ممالكها غراس
يثمر، وكان قصده ابقاء مبانيها، واجراء اموره على ما اقتضته
التوراة الجنكيزخانية فيها، فلم يمكن عمل فلاحة لسلطنته في
بسيط ارضها، وسوق انهار اوامره في ضرايب ممالكها طولها

وعرضها

وعرضها، الا بقطع علايق انساب اكابرها، وكسر قوادم اخشاب
احسابها كاسرها، فسعى في استيصال فرعهم واصلهم، واجتهد في
اهلاك حرثهم ونسلهم، وجعل لا يسمع لهم بنبرة نطفة في ارض رحم
الا قلعها، ولا يشم منهم رايحة زهره في كم كمين الا قطعها **وقيل**
انه كان في مجلس قبيل اسكندر الجلابي وكان ذلك مجلس نشاط،
ومقام انشراح وانبساط، فسال اسكندر في ذلك المحضر،
وقال ان حكم القضا بافساد بنيتي، من تراه يتعرض لاولادي
وذريتي، فاجابه وهو في حالة الشطح، وقد حلت عليه دماغه
ووضع سراج العقل منها فوق السطح، اوله من ينازع اولادك
الشائم، انا وارشيوند وابراهيم، فان نجا من مخالبي منهم احد
فانه لا يخلص من انياب ابراهيم الاسد، وان افلت احد منهم من ذلك
البند، فانه لا مخرج له من شراك ارشيوند، وكان ارشيوند
وابراهيم غايبين، فلم يتعرض تيمور لاسكندر بعض تشين،
واراد بالابقاء عليه، وقوعه مع صاحبيه، فلما افاق اسكندر
ليم على ما قال، فقال لا مفر من قضاء الله ولا مجال، ولا عتب في ذلك
علي، انطقني بذلك الله الذي انطق كل شي، ثم ان اسكندر وابراهيم
هربا، فقبض على ارشيوند والقاه في النار زعافه فصار نبا، وهلك
حريم عمره اذ جرعه اول الرعد واقراه اخر نوح وسبا، ثم ان اسكندر
لم يرله اثر، ولا سمع عنه الى يومنا هذا خبر، وكان كبير الهامه،
طويل القامه، اذا مشى بين الناس كانه علامه، حتى قيل ان مدى
ذلك الفص المشد، كان نحوا من ثلاثة اذرع ونصف بالحديد،
وابراهيم القمي استمر على انكماشه، ثم مات على فراشه، فكان
ذلك، سبب ابادة الملوك وابناءهم الهالكه

فصل

ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة شيرجان، وقال ان مخدومي
شاه منصور موجود الى الآن، وكان هذا الكلام، فاشيا في

الخاص والعام • فكان كودرز يتوقع ظهوره • ويرجي على ذلك
اعوامه وشهوره • فحاصر تيمور قلعة شيرجان • فلم يلح له عليها
سلطان • فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان •
واضاف اليهم عساكر سجستان • وذلك بعد ان شملها العمران •
وكان نايبها يدعي شاه ابا الفتح فحاصروها نحوا من عشر سنين • وهم
ما بين ظاعنين عنها وعليها مقيمين • وهي لم تكن لا تفتح لطالبها
بابا • وعانس لا يملك خاطبها منها خطابا • وكان تيمور ولي كرمان
شخصا يدعي ايدكو من اخوان السلطان • فكان هو المشار اليه •
ومن العسكر هو المعول عليه • ولما تحقق كودرز من شاه منصور
وفاته • وخذله الانصار واعوزه الانتصار دوفاته • وكان ابو الفتح
يراسله كلما عاد • ويتكفل له عند تيمور بالشفاعه • اذعن للصلح •
واستعمل لذلك ابا الفتح • ونزل مترامياً عليهم • وسلم الحصن اليهم •
فخنق ايدكو عليه • لكون عقد الصلح لم يجر على يديه • فقتله من
ساعته • ولم يلتفت الى ابي الفتح وشفاعته • فاخبر تيمور بذلك •
وكان في بعض الممالك • فغضب عليه غضبا شديدا • ولكن فات التدارك •

فصل مما يحكى عن اياه كو هذا متولي كرمان • انه كان
بها للسلطان احمد اخي شاه شجاع ولدان صغيران • احدهما يدعى
سلطان مهدي والاخر سليمان خان • وكان سليمان خان في غاية الحسن
واللطافه • حاويا معاني الملاحة والظرافه • مغنى بالكماله مزري
بالهلال • الالفاظه رائقه والحاظه راشقه • والارواح اليه
تايقه • وارباب الالباب له عاشقه • حركاته في القلوب ساكنه •
ولفتاته للخلق فاتنه • كما قيل •

نسيم عبير في غلالة ماء ✽ وتمثال نور في اديم هواء •

وعمره اذ ذاك ستة اعوام • ولكن مفتتن به الخاص والعام •
فعزم ايدكو على اتلافهما • والحاقهما باسلافهما • ولم يكتف من ذلك

الدنيا بانها صارت يتيمه • ولا رق لامها التي حرمت د بارلكونها
مخدرة كريمه • ولم يكن له مدافع • ولا عنها ممانع • فطلب من
الجلادين من يعينه في ذلك عليه • فلم تطب نفس احد ان تمتد يده
بمكروه اليه • ومضى على ذلك مده • والخلق بسبب هذه القضية في
ضيق وشده • حتى وجدوا عبدا اسود • كانه للبلا مرصد •
وكان الشياطين له عبده • والعفاريت له جنود وحفده • وثوب
ليل القهر من سدا سواده انتسج • واصل الشجرة التي طلعها كانه
رؤس الشياطين منه جنة فؤاده نبت فنتج • يشتكا عند صدى
صوته خوار الثيران • ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة
الغيلان ✽

قلت ✽

زبانية النيران تكره وجهه ✽ وحين تراه تستغيث جهنم •

قد نزع الله من قلبه الرحمه • وجبل فؤاده على المأثمه • فارغبوه في
ان يخنقهما • ويقتلهما • وكانت عين سليمان خان رمداء • وقد سكن في
حجر ابيه وبينهما • فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته • واغتاله •
وهو راقد في حجر ابيه • فضربه في جنبه بخنجر انفذه من الجنب
الاخر • فارتفع الضجيج والولوله • ووقع العجيج في الناس والزلزله • وعم
الاتم امه الواله واهلها • وطفق الناس يبكون عليها ولها • والظاهر
ان هذه الامور • كانت باشارة تيمور • وعسكر ذلك الظلوم الكفار
ما كان يخلو عن مثل هذه الشرور والاشرار • ولو كان فاعله من
غيرهم • لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم •

حكاية لما رحل من الشام بجنوده الغزيره • كان مع واحد
منهم اسيره • كشفت ايدي النوائب قناع عصمتها ولطمتها •
وعلى يدها بنت لها رضيع فقطمتها • فلما قربوا الى حماه • جعلت
البنت تاءن انين الاواه • ولما بها من المغص المنكر • تتنكد
وتبكي • وسعهم جمال من بغداد • منطو على الفساد • محتو على

النكاد • مجبول على الغلاظة والقساوه • معمول من الفظاظة
والغباوه • ممتلئ من البلا • متضلع من الاذي • لم يخلق الله تعالي
في قلبه من الرحمة شيا فينتزع • ولم يودع لسانه لفظا من الخير
فيستمع • فاخذ تلك البنت من امها • فدار في وهمها انه انما اخذها
ليخفف من همها • وكانت راكبة علي جمل • ثم انقطع ساعة عن الثقل •
ثم وصل ويده خاليه • وقهقهته عاليه • فاستكشفت امها حالها •
فقال مالي ومالها • فهوي عقلها وهي • فطرحت نفسها وبحث نحوها •
فاخذتها وانقلبت • واتت بها وركبت • فتناولها منها مرة اخري •
علي ان لا يسومها ضرا • ثم غاب عنها ورجع • وقد صنع كما صنع •
فالفت نفسها ثانيه • وعدت اليها ثانية • وجاءت وهي
عانيه • وقطوف حتوفها دانيه • فركبت واخذتها • ووضعتها
علي كبدها التي منها فلذتها • فاخذها منها مرة ثالثه • بخبثه في
الفساد عابثه • وحلف لها يمينا حانثه • انه يحملها ويتوء •
ولا يمسها بسوء • فحملها ساعه • ثم خرج عن سنة الجماعه •
ورمي بها في بعض البطاح • ومثل بها ما فعله اليهودي بصاحبة
الاوضاح • وجاء ويده الدامغه • بالاثم ملاي ومن البنت
فارغه • وقد سلبها سلبها • وجلب اليها جلبها • فاطرحت نفسها
باكيه • ورامت الرجعي جاريه • فقال لها لا تتعبي • كفيتك همها
فارجعي واركبي • فبكت وصاحت • وانت وناحت • ووقعت
في العنا وانا كانت استراحت • والناس علي دين ملوكهم •
سالكون طرايق سلوكهم

سبب دخوله الي عراق العرب
وان كان اباده لا يحتاج الي علة وسبب

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم • ودانت له الملوك والامم •
وانتهت مراسيمه الي حدود عراق العرب • غضب السلطان احمد

صاحب

صاحب بغداد واضطرب • فجهز جيشا عرمرما • وجعل بيسهم
اميرا مقداما مقدما • يدعي سنتاني • فتوجه الجيش نحو
الجغتاي • فبلغ تيمور خبر الجيش وخبره • فسر بذلك قلبه
وانشرح صدره • فجعل ذلك سببا لها وشته • وذريعة لمحاربة
ملك العراق ومناوشته • وانفذ جيشا كرارا • بل بحرا زخارا
فتلاقيا بصدق نيه • علي مدينة سلطانيه • فصدق كل
منهما صاحبه الضرب • وسدد نحوه السنة الاسنة وسهام الحرب •
واستبحر بحر الجغتاي من افواج امواجه واصطدم • فانكسر
في قساطله فئيا تجند سنتاي فانهزم • ووصل كلهم الي بغداد •
وتشتتوا في البلاد • فالبس السلطان احمد سنتاي المقنعه •
واشهره في بغداد بعد ان ضربه واوجعه • وكف تيمور عن
عناده • وقفل متوجها الي بلاده •

ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر
وهدو ذلك البحر المائر
لتطمئن منه الاطراف فيحطها كما يريد ويدير بها الدوائر

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الي ضواحيها • وجعل يتنقل في جوانبها
ونواحيها • وبني حوالها قصبات • سماهن باسماء كبار المدن
والامهات • وقد صفت له سمرقند وولاياتها • وممالك ما وراء
النهر وجهاتها • وتركستان وما فيها من البلاد • ونائبها من جهته
يدعي خدايداد • وخوارزم التي هي فلك وسطا • وكما شعر
وهي في بحر ممالك الخطا • والمغل وهي ممالك علي حده • عن
ممالك سمرقند متباعده • واقاليم خراسان • وغالب ممالك
مازندران • ورستمدار وزاولستان وطبرستان • والري
وغزني واستراباد • وسلطانية وساير تلك البلاد • وجبال
الغور المنيعه • وعراق العجم وفارس الشامخة الرفيعه •

وكل ذلك من غير منازع، ولا مجادل ولا ممانع، وله في كل مملكة من هذه
الممالك ولد، او ولد ولد، او نائب معتمد

نموذج مما كان يغور ذلك الظلوم الكفور من عساكر في بحور ويغوص على امور ثم يغور بشرور ومن جملة ذلك غوصه ما وراء النهر وخروجه من بلاد اللور

ثم انه مع اتساع مملكته، وانتشار هيبته وصولته، وشيوع
اراجيفه في الاقطار، وبلوغ مخاويفه الاقاليم والامصار،
وثقل اثقاله، وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله، كان
يجري في جسد العالم، مجرى الشيطان من ابن ادم، ويدب في
البلاد، دبيب السم في الاجساد،

قلت

يصوب يمنة ويصعد يسره، وينوي جهة والقصد غيره
بينا يكون له في المشارق بارق فبالق، اذ لمع له في الغرب بوارق
بوائق، وبينما نعقات طبوله وضربات اعواده تقرع في حصار
العراق واصبهان وشيراز، واذا برنات اوتاره وبوقات
ابواقه تسمع في مخالف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز،
فمن ذلك انه مكث في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين
وعمارة القصور، وقد امنت منه البلاد واطمأنت الثغور،
فلما انتهت اموره، وبلغ الكمال قصوره، امر بجمع جنده الى
سمرقند، ثم امرهم ان يصنعوا لهم قلانس ابتدعها، وعلى
صورة من التركيب والتضريب اخترعها، فيلبسونها ويسيرون
، وما يدرون الى اين يصيرون، ليكون ذلك لهم شعارا، وقد
كان ارصد له في كل جهة من ممالكه خشارا، ثم رحل عن سمرقند،
واشاع انه قاصد خجند، وبلاد الترك وجند، ثم انه
اندمس، في درد ودر عسكره وانغمس، كانه في لجة بحر انغمس،
ولم يشعر احد اين عطف، ولا الى اي قصد اختطف، ولا زال

في ناوبه واباد، وجوب بلاد بعد بلاد، يجري جري الراكب،
ويسير سير الكواكب، حتى يطرح ما وقف وكل من نجائبه النجائب،
حتى نبغ من بلاد اللور، ولم يكن لاحد به شعور، وهي بلاد
عامرة، خيراتها متكاثرة، وفواكهها وافرة، اسم قلعتها بروجرد
وحاكمها عز الدين العباسي، وقلعتها وان كانت في الحضيض
لكن كانت تسامي بمناعتها حصون الجبال الرواسي، وهي مجاورة
همدان، ومناظرة عراق العرب كاذربيجان، فاحاط بالقلعة
وما حواليها، وحاصر ملكها المتولي عليها، ولما كان صاحبها بلا عدد
ولا عدد، ولا اهبة ولا مدد، وكان في صورة المتوكل المحتسب،
واتاه البلاء من حيث لا يحتسب، لم يسعه الا طلب الامان، والانقياد
له والاذعان، فنزل اليه وسلم قياده، فقبض عليه وضبط بلاده،
ثم ارسله الى سمرقند وحبسه، وضيق عليه نفسه ونفسه،
ثم بعد ذلك بمدة حلقه ورفع عنه ما نابه، وصالحه على جمل من
الخيل والبغال ورده الى بلاده واستنابه، ولما استخلص ذلك
الكفور، ولايات تلك الكفور، واصل السير الى همدان،
في اقرب زمان، فوصل اليها واهلها غافلون، فجاءها البأس بياتا
او هم قائلون، فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى، وكان
عند الملوك مصطفى، ولديهم مرتضى، فتشفع فيهم فشفعه على
ان يبذلوا مال الامان، ويشتروا باموالهم ما من عليهم به من
الارواح والابدان، فامتثلوا امره وفعلوا، ووزعوا
ذلك وجمعوه والى خزائنه نقلوا، فدعته نفسه الجانيه
ان طرح عليهم المال مرة ثانية، فخرج اليه ذلك الرجل
الجليل، ووقف في مقام الشفاعة مقام البائس الذليل،
فقبل شفاعته، ووهبه جماعته، ثم انه تمسك بمكانه وجثم
حتى تلاحق به عسكره والتأم،

ابتداء تخريب ذلك الخرب
اذربيجان وممالك عراق العرب

ولما بلغ السلطان احمد بن الشيخ اويس، ما فعله بغنم رعايا جيرانه
اللور وهمدان ذلك الاويس، علم انه لا بد له من قصد مملكته
وديارة، لانه هو باداه بالشر وطرح على شراره طائر شراره،
وان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لا مقاومة له ببحره
وتياره، وانه اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى، ولا مقابلة لسحرة
فرعون مع عصا موسى

قلت شعر

السيل يقلع ما يلقاه من شجر \ بين الجبال ومنه الصخر ينفطر
حتى يوافي عباب البحر تنظره \ قد اضمحل فلا يبقى له اثر

فاستعد للبلاء قبل نزوله، وتاهب له قبل حلوله، فتشمر
للهزيمه، وعلم ان ايابه سالما انصف الغنيمه، واقتصر من بسيط
فقه المقاتلة والمقابلة على الوجيز، وصمم على الخروج من ممالك
بغداد والعراق وتبريز، وقال لنفسه النجا النجاء، وجهز
ما يخاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر الى قلعة النجاء،
وارسل في تيمور الاشعار والهجاء، فمن ذلك ما ترجمته وهو

شعر

ليت كانت يدي في الحرب شلاء \ ورجلي في الهزيمة غير عرجاء

ثم قصد البلاد الشاميه، وذلك في سنة خمس وتسعين
وسبعمائة، في حياة الملك الظاهر ابي سعيد برقوق رحمه
الله تعالى، فوصل تيمور الى تبريز، ونهب بها الذليل والعزيز
ووجه الى قلعة النجاء العساكر، لانها كانت معقل السلطان
احمد بها ولده وزوجته والذخاير، وتوجه هو الى بغداد
ونهبها، ولم يخربها ولكن سلبها سلبها، وكان الوالي بالنجاء رجلا
شديد الباس يدعى التون، عند السلطان احمد ماموناً، وله

اليه ركون، ومعه جماعة من اهل النجده، واولى الباس والشده،
نحوا من ثلاثمائة رجل في العده، فكان ينزل بهم التون، اذا اخذ
الليل في السكون، ويشن الغارة على تلك العساكر والكامن المسكون
فوهن امر العسكر، فبلغوا تيمور هذا الخبر، فامدهم بنحو
اربعين الف مقاتل مشهور، مع اربعة امراء كبيرهم يدعى
قبلغ تيمور، فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها،
وكان قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها، فبينما هو
راجع، اذا بالنقع ساطع، فلما اطلع طلاع الخبر، قال اين المفر،
نفعل كلا لا وزر، فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه، فثبت جاشه
وحاشيته وتوكل عليه، وقال ان الروس في مثل هذا المقام
انما يكونون تحت الاعلام، فاحطموا نحو قلب هولاء اللئام،
فاما ان تبلغوا او تموتوا على ظهور الخيل وانتم كرام، اذ لا ينجيكم
من هذا الكرب، سوى الطعن الصادق والضرب

قلت

كريما مت والا مت لئيما \ فاد الله بعد الموت موته

فتعاضدوا بهمة صادقه، وعزيمة على حصول الخلاص من الله
تعالى واثقه، وقد احاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكه، وصاروا
في وسطهم كالمغزل في الفلكه، وقصدوا الراية وحامليها، ومن
يليها ودونها، فساعدهم ساعد سعد الحيان بنصرته، وحل
عنهم القبض لاخل انكيس عقلته، فسالوا على راياتهم ذات
البياض من الدماء حمره، وفتحت لجماعتهم طرابق الى عتبة
النصر، فلاح لهم فلاح، وصح لهم نجاح، فنجوا من الشرور،
وحصل لهم السرور، بعد ان قتلوا من العسكر اميرين احدهما
قبلغ تيمور، ولما وصل هذا الخبر اليه، اسودت الدنيا في
عينيه، بل انقلب الكون والمكان عليه، ثم نهض اليها بنفسه
وربض عليها بجرسه، واحاط بجوانبها، والقم الحرس افواه

مسادتها

صفة قلعة النجاء

وهذه القلعة امنع من العقاب، وارفع من السحاب، يناجي
السماك سماكها، ويباهي الافلاك استمساكها، كأن الشمس في
شرفها، ترس من الابريز على بعض شرفها، وكأن الثريا في انتصابها،
قنديل معلق على بابها، لا يحوم طائر الوهم عليها، فانى يصل طائش
السهم اليها، ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال الخيال والافكار، فضلا
ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار، وكان التون
قد تربى في ترائب ترابها، واهل مكة اخبر بشعابها، فصار كالجي
الليل الساجي، وارصد لسراق الشياطين عيونه الرواجم، هبط من
تلك القلال، وسرى سرى طيف الخيال، ودب دبيب الشبح في اللحم،
والماء في العود والنار في الفحم، من دروب لم تتوهمه الظنون، بكون
من لا تراه العيون، بحيث لا يشعر به الحرس، ولا يبصره العسس،
ولا يزال يتلو عليهم آيات الاغفاء، وينفث بطلسماته الاستخفاء،
ويتقرب ويترقب، حتى يلوح له في الحي مضرب، فيفتك ويسلب،
وينهب ويهرب، فيكر سالما، ويفر غانما، فلم يزل ذلك دابهم
ودابه، حتى اعجز تيمور واصحابه، فلم ير تيمور اوفق من الارتحال،
لضيق المجال، وعسر المنال، فارتحل عنها بعد ان رتب عليها الحصار
اليزك، واستمر الحصار مدة طويلة والقضا يقول له اصبر فانها
لن تتحرك، قيل انها مكثت في الحصار اثني عشر سنه، وسبب اخذه
لها ان التون المذكور، كان له اخ بالفسق مشهور، تحصل بينه
وبين ام السلطان طاهر، خيانة اوجبت عليه ما يجب على العاهر،
فاطلع على ذلك طاهر بن السلطان احمد، فقبض عليهما وقتلهما سالكا
في ذلك الراي الاحمد، وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا، قد
خرج منها وقصد للغارة جانبا، فلما رجع التون اغلقوا باب القلعة
عليه، ورموا باخيه من فوق السور اليه، واخبروه خبره، وعجره

وبجره

وبجره، فقال جزاكم الله احسن الجزاء، وجعل حظكم من الخيرات اوفر
الاجزاء، لو كنت عالما لما فعله لعاملته بما هو اهله، وفعلت به ما
يجب فعله، ويحل به من الزمان دواهيه، ولاريتكم العبر فيه،
والاشهرته في خلق الله تعالى وبريته، ونادت عليه هذا جزاء من يخون
ولي نعمته، ثم طلب الدخول، فقطعوه عن الوصول، فقال اما اخي
فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه، واما انا فعلي على الوفاء بعهدكم
من الازل والى حين وفاه، ولم ازل موالي وليكم، ومعادي عدوكم،
فان طردتموني فالى اين اذهب، وان رددتم رغبتي فيكم ففيمن
ارغب، فقالوا انما ادركتك الحمية، ولحقتك العصبية، فتذكرت
اخاك، وتفكرت شدتك بعد رخاك، فنقمت، وانتقمت
واعوججت بعدما استقمت، وتكدر منك ما صفا، وناهيك قصة
الاخوين مع ذات الصفا،

وقلت شعر

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه، ولكنه يبقى به عقدة الربط

فانشاهم ايمانا واثقة، ان كلماته وعهوده صادقة، فقالوا له لا
تطل فما جنيت، ما لك عندنا مقيل ولا مبيت، فارجع من حيث
جئت، وهذا آخر العهد منك غضبت ام رضيت، فاخذ يذم
دهره، ويأكل يده ندامة وحسره، على انه انفذ عمره، في طاعة
من لم يعرف قدره، ثم دنى فتدلى، وعبس وتولى، وسيب فرسه
وماله، وفرق خيله ورجاله، ولما لم يكن له ملجا، سوى قلعة
النجا، وقد خرجت من يده، والقت النار في كبده، ضرب اخماسا
لاسداس، فيمن يقصده من الناس، ثم اورى براية الزند،
ان يقصد مدينة مرند، وكانت تحت حكم تيمور، وفيها امره
تيمور، فسالها، وقصد حاكمها، لا ابا له بدا، وتاركا مالا وولدا،
ولما اتصل بحاكمها الخبر، احاط به الجبن والخور، فاضطرب
واقشعر، واضطرم واعتكر، واخذ الحذر، ورام المفر،

فقبل انه وحده، من غير رجال وعده، فرجع عقله اليه، ودخل النوبة
عليه، فاخذ في التفتيش عن اموره، ثم قطع راسه وارسله الى تيمور،
فتحرق لذلك وانتكى، وتاسف عليه وبكى، وارسل الى قاتله فعزله، ثم
صادره وقتله، ثم ان السلطان طاهر لما احدث هذا الحدث، وتنجس
بهذه الخبائث والخبث، لم يمكنه الاقامة فاذن بالرحيل، وام بجماعة
قبلة التحويل، اذ نشر عنه مخدرات القلعة فنحى عن احصان تحصينها،
وعنى في افتضاض ابكارها وعونها، وقل جيشه وانفل، فنسل
متاعه منها وانسل، فذل التيمور صعابها، وفتح له من غير معالجة
بابها، فولى فيها من يثق به من الاعوان، ووصى به لعلة المجاورة
الشيخ ابراهيم حاكم شروان، ثم ثنى عنان الفساد، الى صوب بغداد،
فهرب منه السلطان احمد كما ذكر الى الشام في فئه، وذلك في شوال سنة
خمس وتسعين وسبعمائة، فوصل اليها حادي عشر يوم السبت،
نكبتها ومن حواليها اي كبت،

ذكر اخبار صاحب بغداد
واسماء ابائه والاجداد
وكيفية دخوله الى هذه البلاد

وهو السلطان مغيث الدين احمد بن الشيخ اويس بن الشيخ حسن بن
حسين بن اقبغا بن ايدكان، صاحب بغداد واذربيجان، وما
اضيف الى ذلك، من ولايات وممالك، وايدكان جده الاعلى بن
القان الكبير النجيد، شرف الدين سبط القان ارغون بن ابي سعيد،
كان والده الشيخ اويس من اهل الديانة والكيس، ملكا عادلا،
واماما شجاعا فاضلا، مؤيدا منصورا، صارما مشكورا، قليل
الشر كثير البر، صورته كسيرته حسنة، وكانت دولته تسعة
عشرة سنة، وكان محبا للفقراء، معتقدا للعلما والكبراء،
وكان قد ابصر في منامه، لوقت موافاة حمامه، ثم صدر هو وقبله

عن

عن ولاية بغداد فاصلها بن ديار بكر واذربيجان فاستعد لحلول فواته،
ورصد نزول موته، وخلع من الملك يده، وولاه حسينا ولده،
وهو اكبر بنيه، والافضل من اهله وذويه، ونبذ ادانيه ودنياه،
واقبل على طاعة مولاه، واستعطفه الى الرضى، والعفو عما مضى،
ولازم صلاته وصيامه، وزكاته وقيامه، ولازال يصلي ويصوم
حتى ادركه ذلك الوقت المعلوم، فاظهر سره المصون، وتلا اذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون، فدرج على هذه الطريقة
الحسنة، وقد جاوز نيفا وثلاثين سنة، ومن مغربه تبريز افل
قمره، وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام خبره،
واستقر ولده جلال الدين حسين مكانه، وافاض على رعيته
فضله واحسانه، وكان كريم الشمائل، جسيم الفضائل، وافر
الشهامة، ظاهر الكرامة، اراد ان يمشي على سنن والده، ويحيي ما دثر
من رسوم اثاره ومعاهده، فخذلته الاقدار، وخالطت صفو
مساعيه الاكدار، وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، وصل من
قصاده الى الشام فئه، وهم القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد
الله بن نجم الدين سليمان العبايني الشافعي، قاضي بغداد وتبريز والصاحب
شرف الدين بن الحاج عز الدين الحسيني الواسطي، وزير السلطان
وغيرهما، ثم في جمادى الاخرة من هذه السنة وثب السلطان احمد على
اخيه المشار اليه فقتله، وقام لينصر الملك والدين مكانه فخذله،
فلم تجمع حياته من البقاء سنة، وعمره اذ ذاك نيف وعشرون سنة،
ولما استولى السلطان احمد على ممالك العراق، ماتت بدت تعلية وضم جناح
الشفقة والارفاق، وشرع يظلم نفسه ورعيته، ويذهب في
الجور والفساد يومه وليلته، ثم بالغ في الفسق والفجور، فتجاهر
بالمعاصي وتظاهر بالشرور، واتخذ سفك الدماء الى سلب الاقراض
وثلم الاعراض سلما، فقيل ان اهل بغداد مجوه، واستغاثوا بتيمور



فأغيثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه، فلم يشعر الا والتتار قد دهمته، وعساكر الجغتائي خيلاً ورجلاً حاطته، وذلك يوم السبت المذكور من الشهر المشهور، فاقتحموا بخيلهم ورجله وقصدوا الاسوار، ولم يمنعهم ذلك البحر التيار، ورماهم اهل البلد بالسهام، وعلم احمد انه لا ينجيه الا الانهزام، فخرج فيمن يثق به قاصد الشام، فتبعه من الجغتاي طائفة لئام، فجعل يكر عليهم ويرد عنهم، ويغر منهم فيطمعهم، وحصل بينهم قتال شديد، وقتل من الطائفتين عدد عديد، حتى وصل الى الحله، فعبر من جسرها نهر دجله، ثم قطع الجسر، ونجا من ورطة الاسر، واستمرت التتار في عقبه تكاد انوفها تدخل في ذنبه، فوصلوا الى الجسر ووجدوه مقطوعا، فراموا في الماء وخرجوا من الجانب الاخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا، ففاتهم ووصل الى مشهد الامام، وبينه وبين بغداد ثلاثة ايام

ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر في بلاد ارزنجان وديار بكر

فوصل الى ديار بكر واستخلصها، ومن يدي ولاتها خلصها، فعمد على قلعة تكريت، فسلط عليها من عساكره كل عفريت، وذلك يوم الثلاثا رابع عشر ذي الحجه، وقد ارتجت منه البلاد اشد رجه، فحاصرها واخذها في صفر بالامان، ونزل اليه متوليها حسن بن بولتمور متدرع الاكفان، وفي حضنه وعلى عاتقه اطفاله، وقد ودعه اهله وماله، واسلمه خيله ورجاله، وذلك بعد ان عاهده ان لا يريق دمه، فارسله الى حائط فنقضه عليه وردمه، وقتل من بها من رجال، وسبي النسا واسر الاطفال، وجعل يعبث ويستاصل، ويقطع في الفساد ويوصل، حتى اناخ يوم الجمعة حادي عشرين صفر سنة ست وتسعين الى الموصل، فاخربها وكسرها، ثم اتى راس

عين ونهبها واسرها، ثم الى الرها تحول، ودخلها يوم الاحد عشرة شهر ربيع الاول، فزاد عيثا وفسادا، وجارى فيما عاند ثمودا وعادا وخرج من تلك البلد ثاني عشرينه يوم الاحد، ثم اختار من نسور قومه طائفه على ورد الدماء حائمة وعلى قتل المسلمين عاكفه، فاخذهم واندغر، وفي ممالك ديار بكر انغمر، ولم يزالوا بها عابثين ولاذاها قاصدين، وعليها طالبين، وفيها ماردين، فقصدها بتلك العفاريت المصالبت، وواصل السير اليها فوصل في خمسة ايام من تكريت، ومسافة ما بينهما للمجد اثني عشر يوما ان لم يزد، وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه لا يبصر من التجا اليه، وقدم في ثوب الطاعة عليه، فما وسعه الا التشبث بذيل ذممه، والانتظام في سلك خدمه،

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الطاهر من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر

لكن خاف غائلته، فجمع حاشيته وصاغيته، وقال اني ذاهب الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد، فان رد بي حسبما اريد فهو المراد، وان طالبني بالقلعه، فكونوا انتم على التابي والمنعه، واياكم ان تسلموها اليه، او تعتمدوا في الكلام عليه، وان دار الامر بين تسليم القلعة وبين اتلافي، فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافي في تلافي، فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم، وانى بالهلاك على اولكم واخركم، وخسرتم شعاركم ودثاركم، وغنمتم انفسكم ودياركم، واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم، واكفيكم بروحي ما دهاكم، وبعض الشر اهون من بعض، وها انا اجسي لكم النبض، ثم قصد ذلك الكالح، المفسد الطالح، بعد ما استخلف ابن اخيه الملك الصالح، شهاب الدين احمد الملك السعيد اسكندر بن الملك الصالح الشهيد، ونزل يوم الاربعا خامس

عشر من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسبعمائه • واجتمع برقي سلجن بمكان يسمى الهلاليه • فقابله بشنعه • وقبض عليه بسرعه • وطلب منه تسليم القلعه • فقال القلعة عند اربابها • وبيد اصحابها • وانا ما املك لانفسي فقد منها اليك • وقد مت بها عليك • فلا تحملني فوق طاقتي • ولا تكلفني غير استطاعتي • فاتي به القلعة وطلبها منهم فابوا • فقدمه اليهم ليضرب عنقه او يسلموه فاتوا • فطلب منه في مقابلة الامان • من الدراهم الفضة مائة تومان • كل تومان ستون الفا • خارجا عما يتقرب به اليه زلفى • ثم انه شدد وثاقه • وسد عليه ليذهب عنه ما به من قوة كل باب وطاقه • وشمر للفساد ذيله • وجعل يربح رجله ويسمن خيله • ويتفوق كاسات فساده • ويعربد على بلاد الله وعباده • واستمر على ذلك لا يعي ولا يفيق • ويتردد ما بين الفردوس الى رسعل ونصيبين والموصل العتيق • ثم امر عساكره في جمادى الاخرة ان يمردوا قاصدين • ويقصدوا ماردين • فسابقوا الطير • ولاحقوا السير • وجاوزوا بالنهار الانهار • وبالليل السيل وقطعوا قفار القفار • قطع الهندي • وعملوا في تلك الجبال والقلال بما قاله الكندي • شعر

سموت اليها بعدما نام اهلها • سمو حباب الماء حالا على حال

فوصلوا اليها على غفله • واحتووا عليها من غير مهله • وذلك يوم الثلاثا ثاني عشر • وقد سل الصبح حسام فجره • وطار غراب الدجى عن وكره • فصاروا اسوار معصم تلك الاسوار • واحلوا الدمار بهاتيك الديار • فعموها رجفا • وساموها خسفا • وهدوها زحفا • ودكوها دكا • وتعلقوا باهداب ارجائها • وتسلقوا بالسلالم من ارضها الى سمائها • وكان متسلقهم على الاسواره من القبلة رابية اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المشار •

فاخذوا

فاخذوا المدينة عنوة وقهرا • وملاؤها فسقا وكفرا • وترقى اهل المدينة الى القلعه • ولم يكره احد سواهم علو المنزلة والرفعه • والكوهد واملتجين الى قوادمها وخوافيها • وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها • فقتلوا من ظفروا به ذكرا وانثى صغيرا وكبيرا • ولم يرتضوا بما فيها نهبا • وسبى فيها اسيرا • فجالد بعض الناس واظهر لهم بعض الجلاده • واراد بتثبته لهم ان يضم الجهاد الى الشهاده • ولا زالت ايات القتال عليهم تتلى • حتى امتلات المدينة من الجرحى والقتلى • واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس الى ان صار اليوم امس • وحين الفي على وجنتي الكون عارض الليل • واستوفى اولئك المطففون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل • وبادرتون الظلام • بيونس الشمس بالالتقام • طرا على تلك الحركات السكون • فتراجعوا ونزله العسكر مقابل غربونه • وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد • واكثرهم كان من اهل البلد • فباتوا يعدون السلاح ويثقفونه • وينتظرون الصباح ويستبطونه • الى ان شق الليل مكتوم جيبه • واظهر الظلام مكنون غيبه • وامر الكون وجه النهار ان يضرب على جبين الافاق اطراف شيبه • بكروا بكور الغراب • وبدروا الى الحراب والضراب • وعصروا اهل المدينة وحاصروها اشد حصر • وهدموها واسوارها من الظهر فمحوا اثارها بعد العصر • ثم باؤوا بالاثام • وقد تنشر كظلمهم الظلام •

ايضاح ما اخفاه من الحيله
ومسلود زند تلك الافكار الوبيله

ولما آب ليله بالخيبه • ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه • شحذ فكره وجذ مكره • وتاب عن المقابحه • وتاب الى المصالحه • فودع ذلك الخسيس في نهار ذلك الخميس واٰل

اليهم يقول ضمن كتاب مع الرسول . نعلم اهل قلعة ماردين والضعفا
والعجزة المساكين . انا قد عفونا عنهم واعطيناهم الامان على
نفوسهم ودمائهم قليلا ما ثنوا وليضا عفوا لنا الادعية . وهذه
الرسالة نقلتها كما وجدتها . فما استنت كيده . ولا انجح قصده .
لان قصادها كانوا غير راقدين . وشياطين حرسها كانوا كهي
ماردين . فارتحل ذلك البليه بكرة السبت الى البشيريه . وارسل
الى آمد الجنود . مع امير يدعي سلطان محمود . فتوجه بجيش
طام . وحاصرها خمسة ايام . وارسل يستمده عليها . فتوجه
بنفسه اليها . واحلها الهوان . فطلبوا الامان . فامن
البوابه ففتح له الباب . فدخل من باب التل . ووضع السيف
في الكل . فاباد الجميع . العاصي منهم والمطيع . واسروا
الصغار . وهتكوا استار الحرم وحرم الاستار . واذاقوا
الناس لباس الباس . والتجى بعض الناس الى الجامع . فقتلوا
منهم نحو الفي راكع وساجد . ثم حرقوا الجامع . ورحلوا وتركوها
بلاقع . فهداه ابليس الى قلعة ارجيس . ثم بادر بالتحريك .
وحط على قلعة اونيك . وفيها مصر بن قرا محمد امير التركمان .
فحاصروها واخذوها بالامان . وذلك في سنة ست وتسعين
وسبعمائة بعد عيد رمضان . ثم قتل كل من كان بها من الجند .
وصير مصر الى سمرقند

فصل

ثم استصحب الملك الطاهر بسوءنيه . ورحل سابع ذي القعدة سنة
ست وتسعين وسبعمائة وحبسه في مدينة سلطانيه . وحبس
عنده من امرائه الامير ركن الدين . وعز الدين السليماني واستبوغا
وضياء الدين . وضيق عليه بان يقطع عن اهله خبره . بحيث
لا يدري احد عجره وبجره . ولما اثخنه شد الوثاق . قصد

التوجه

٢٣

التوجه الى دشت قفجاق . ناجري نحو ما اقام من الفتنة على قدم
وساق . ومكث الملك الطاهر سنة . لا يدري احد خبره في يقظة
ولا سنه . ثم وفدت الملكة الكبرى الى سلطانيه . وخففت عنه ما به
من ضيق وبليه . ونصحت له في مراسلة جماعته . وحرضته على
طلب الدخول في رضى تيمور وطاعته . زاعمة انها ناصحة له وطالبة
مصلحته . وكان ذلك من مكايد تيمور وباشارته . ثم رجع تيمور من
الدشت في شعبان . سنة ثمان وتسعين ومكث بسلطانيه ثلاثة
عشر يوما ثم توجه الى همدان . ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان
ثم استدعى من سلطانيه الملك الطاهر . باكرام تام وانشراح
صدر وخاطر . ففكوا قيوده وقيود متعلقيه . وعظموه
غاية التعظيم مع ذويه . وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره
ودخل عليه يوم السبت سابع عشره . فتلقاه بالاحترام واعتنقه
. واذهب عنه دهشه وقلقه . وقبله في وجهه مرارا . واعتذر
اليه مما فعله معه جهارا . وقال له انك لله ولي . وربيع القدر كابي بكر
وعلي . وتحلل منه . عما صدر في حقه عنه . واضافه ستة ايام .
وخلع عليه خلع الملوك العظام . واحله محلا جميلا . واعطاه عطا
جزيلا . من ذلك مائة فرس وعشرة بغال . وستون الف دينار
كبكية وستة جمال . وخلعا مزركشة مكلله . وانعامات وافرة
مكملة . ولواء يخفق على راسه منصورا . وستة وخمسين
منشورا . كل منشور بتوليته بلد . وان لا ينازعه فيها احد .
اول ذلك الرها الى اخر ديار بكر . الى حدود اذربيجان وارمينية
وكل ذلك من الدهاء والمكر . وان جميع حكام تلك البلاد يكونون تحت
طاعته . معدودين في جملة خدمه وجماعته . يحملون اليه الخراج .
والخدم . ولا ينقلون الاعلام قدما عن قدم . بحيث يكون شخص
كل من مجاوريه بما افاء الله لطله فيا . وبقي هو فلا يحل الى تيمور

ولا الي غيره شيا ، وهذا وان كان في الظاهر كالاكرام ، فانه فيما يؤول
اليه وبال عليه وانتقام ، وفيه كما ترى ما فيه ، والقاء العداوة
بينه وبين مجاوريه ، وينجر ذلك الى ان يلتجي اليه ، ويعول في كل
اموره عليه ، ويدخل لكثرة الاعداء تحت ربقته ، فيصل اذ
ذاك منه الي حصته ، ثم انه شرط عليه ، انه كلما طلبه جاء اليه ،
ثم عانقه وودعه وامر امراءه بتشييعه فخرج من الضيق الي
السعه ، ثالث عشر من شهر رمضان ليلة الجمعه ، سنة ثمان
وتسعين وسبعمائة فوصل الي سلطانيه ، في عيشة رضيه ،
وحالة هنيه ، ثم عزم علي تبريز في جحفل نفيس عزيز ، واجتمع
بميران شاه ، فزاد في اكرامه وعطاياه ، وشيعه في احسن هيئة
وايمن طور ، فجاء علي وسطان وبدليس ، وارزن الي الصور ،
ووصل خبره الي القبائل والعشائر ، فابتهج الناس ودقت
البشائر ، فوصل يوم الجمعة حادي عشرين شوال ، وخرج اهل
المدينة والاكابر للاستقبال ، وسبق الناس ولي عهده الملك
الصالح ، فدخل المدينة بفال سعيد وامر ناجح ، وتوجه الي
مدرسة حسام الدين ، وزار والده واموانه الماضين ، وعزم
علي ترك التخت المنيف ، والتوجه الي الحجاز الشريف ، فلم يتركه
الناس خاصة وعامه ، وتراموا عليه وقبلوا اقدامه ، فصعد
الي محل كرامته ، واستقر في كرسي مملكته ، وسياتي لهذا الشان
مزيد بيان ، وما جرى من الامور عند قدوم تيمور ، وحلول
عسكره الشام ، ماردين بعد خرابهم ممالك الشام ، قيل لما استقر
الملك الظاهر في مملكته ، اجتمع عنده جماعة من ادباء ندماء حضرته
فاقترح عليهم ان يقولوا في ذلك شيا فقال اولا بدر الدين حسن
ابن طيفور شعر
طغى تمر واستاصل الناس ظلمه ، وشاعت له في الخافقين الكبائر

لقد

لقد زاد بغيا فافرحوا بزواله ، الا ان على الباغي تدور الدوائر
فقال ركن الدين حسين بن الاصفر احد الموقعين ثانيا شعر
كن من رجال اذا ما الخطب نابهم ، ردوا الامور الى الرحمن واغتنموا
فسلموا الامر لما ان راوا خطرا ، لذي الجلال فلما سلموا سلموا
فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثا

شعر

طويل حياة المرء كاليوم في غد ، فخير ترى ان لا يزيد على الحد
ولا بد من نقص لكل زيادة ، وان شديد البطش يقتص للعبد
ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني احد الموقعين رابعا دوبيت

شعر

لا تحزن فالذي قضى الله يكون ، والامر موكل الي كن فيكون
ما بين تحرك بلحظ وسكون ، الحالة تنقضي وذا الامر يهون
فاعجبه ذلك واجازه خمسة الاف درهم ، وصرفه والله اعلم .

ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق وتوجهه الي مهامه قفجاق ووصف ملوكها وممالكها وبيان ضياعها ومسالكها

ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم ، وقد ثبتت له في ممالكها اية قدم ،
وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابراهيم ، وسلمه مقاليد ما بيده من
الاقاليم ، فنقله طوق عبوديته ، ووقف في مواقف خدمته ،
وانتظم في سلك عبيده ، واحله محل ولده ، وسنذكر كيف تغرب
عليه ، ومن اي طريق تقرب اليه ، فقصد دشت قفجاق ،
وجد في الوخد والاعناق ، وهو ملك فسيح ، يحتوي علي
مهامه فيح ، وسلطانها توقتاميش ، وهو الذي كان في حرب
تيمور ايام السلاطين المخالفين كالجاليش ، اذ هو اول من
بالعداوة بارزه ، وفي بلاد تركستان واقعه وناجزه ، ونجده في ذلك

كما مرّ للسيد بركه • وبلاد الدشت تدعي بلاد قفجاق ودشت بركه • والدشت باللغة الفارسية اسمٌ للبريه • وبركة المضاف اليه هو اول سلطان اسلم ونشر بها رايات الملة الاسلامية • وانما كانوا عباد اوثان • واهل شرك لا يعرفون الاسلام والايمان • ومنهم بقية يعبدون الاصنام الي هذا الاوان • فتوجه الي ذلك الاقليم • من طريق الدربند الجاري تحت حكم الشيخ ابراهيم • وهو سلطان ممالك شروان • ونسبه متصل بالملك كسرى انوشروان • وله قاضٍ يدعي ابا يزيد • بفضل علي جميع اركان دولته بالقرب اليه ويزيد • له دستور مملكته • وقطب فلك سلطنته • فاستشاره في امور تيمور وما يفعله • ايطيعه ام يتحصن منه ام بفرار يقابله • فقال له الفرار في رأيي اصوب • والتحصن في الجبال الشواهق اوثق عندي وانسب • فقال ليس هذا براي مصيب • انجوا انا واترك رعيتي ليوم عصيب • وماذا اجيب يوم القيامة رب البريه • اذا ارعيت امورهم واضعت الرعيه • ولا عزمت ان اقاتله • وبالحرب والضرب اقابله • ولكني اتوجه اليه سريعا • واتمثل بين يديه سامعا الامره مطيعا • فان ردني الي مكانتي • وقررني في ولايتي • فهو قصدي وغايتي • وان اذاني او عزلني • او حبسني او قتلني • فتكفي الرعية مؤنة القتل والنهب والاسار • فيولي اذ ذاك عليهم وعلي البلاد من يختار • ثم امر بالاقامات فجمعت • واذن للجيوش فتفرقت وتمنعت • وبمدن الولايات ان تتزين وتتزوق • وبسكانها برا وبحرا ان تامن فتعامل وتتانق • وبالخطباء ان تقرا فوق المنابر باسمه • وبالدنانير والدراهم ان تضرب بوسمه ورسمه • ثم حمل التقادم والخدم • وتوجه اليه باطيب جاش واثبت قدم • ولما وفد عليه • وتمثل بين يديه • قدم الهدايا والتحف • وانواع الغرائب

والظرف

والظرف • وعادة الجغتاي في تقديمهم الخدم ان يقدموا من كل جنس تسعه • ليتالوا بذلك عند المهدي اليه الكرامة والرفعه • فقدم الشيخ ابراهيم من كل جنس من اصناف ما قدمه تسعه • ومن المماليك ثمانيه • فقال له المتسلمون لذلك واين تاسع المماليك فقال الشيخ نفسي العانيه • فاعجب تيمور هذا الكلام • ووقع من قلبه بمكان ومقام • وقال له بل انت ولدي • وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي • وخلع عليه خلعة سنيه • ورده الي مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه • ثم فرقت تلك الاقامات • وتوزعت الفواكه والطعامات • فتفضل منها امثال الجبال • عن ذلك العسكر الذي هو كالحصا والرمال • ثم تركه وسار • الي بلاد الشمال والتتار • وسبب آخر لقصده تلك الممالك • وان كان لا يحتاج الي ذلك انه ان الامير ايدكو كان عنده توقتاميش احد امراء الميسره • والاعيان المتخذين في النائبات لدفعها وارباب الراي والمشوره • وقبيلته تدعي قونقرات • وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات • وكان ايدكو قد احس من مخدومه تغير خاطر خاف منه علي نفسه • وكان توقتاميش شديد الباس تخشى منه حوله باسه • فلم يزل منه متحرزا • وللفرار اذا راي منه ما يقتضي ذلك مستوفزا • وجعل يراقبه • ويداريه ويداربه • ففي بعض ليالي السرور • ونجوم الكاسات في افلاك الطرب تدور • وسلطان الخمر • قد انفذ في اسير العقل امره • طفح ان قال توقتاميش لايدكو • ونور البصيرة يخبو ويذكو • ان لي ولك يوما • يسومك الخسف سوما • ويوليك عن موائد الحياة صوما • ويملا عين بقائك من سنة الفناء نوما • فغالطه ايدكو وباسطه • وقال اعيذ مولانا الخاقان • ان يحقد علي عبد ما خان • وان يذوي غراسا هو انشاه • او يهوي

اساسا هو بناه ثم اظهر التذلل والخشوع والتمسكن والخنوع
وتحقق ملكان ظنه واعمل في وجه الخلاص ذهنه واستعمل في ذلك
الذكا والفطنه وعلم انه ان اهمل امره او امهله أمنه فمكث قليلا
واشتغل السلطان ثم انسل من بين الحواشي والاعوان
وخرج في لحاجه كانه يريد قضاء حاجه واتى اصطبل
توقتاميش بجاش بجيش ولا يطيش وعمد الى فرس
مسرجه منجيه منجبه اقيمت معده لكل شده وقال
لبعض حاشيته المؤتمن على سره من غاشيته من اراد ان
يوافيني فعند تيمور يلاقيني ولا تفش هذه الاسرار
الا بعد ان تحقق اني قطعت القفار ثم تركه وسار فلم
يشعر به الا وقد سبق وركب طبقا عن طبق وقطع على
اموال السير اطول الشقق فلم يدركوا منه اثار ولا لحقوا
منه ولا الغبار فوصل الى تيمور وقبل يديه وعرض حكاياته
واخباره كما جرت عليه وقال انت تطلب البلاد الشاحطه
والاماكن الوعره الساخطه وتركب في ذلك الاخطار وتقطع
قفار القفار وتتلو اسفار الاسفار وهذا المغنم البارد
نصب عينك تدركه هنيا مريا بهينك ولينك ففيم
التواني والتناعس وعلى م التقاعد والتقاعس فانهض
بعزم صميم فانا لك به زعيم فلا قلعة تمنعك ولا منعه
تقلعك ولا قاطع يدفعك ولا دافع يقطعك ولا
مقابل يقابلك ولا مقاتل يقاتلك فما هو الا اوشاب
واوباش واموال تساق وخزائن بارجلها مواش ولا
زال يحرضه على ذلك ويطالبه ويفتل منه في الذروه والغارب
كما فعل معه عثمان قرا يلوك حين جاء الى تبريز بوسواسه
وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان الدين

احمد ومحاصرة سيواسه كما يذكر فتهيأ تيمور باوفى حركه الى
استخلاص دشت بركه وكانت بلادا بالتتار خاصه وبانواع
المواشي وقبايل الترك غاصه محفوظة الاطراف معموره
الاكناف فسيحة الارجاء صحيحة الما والهواء جشمها رجاله
وجنودها نباله افصح الاتراك لهجه وازكاهم مهجه واجملهم
جبهه واكملهم بهجه ونساؤهم شموس ورجالهم بدور
وملوكهم رؤس واغنياؤهم صدور لا زور فيهم ولا تدليس
ولا مكر بينهم ولا تلبيس دابهم الترحال على العجل مع امان
لا يدانيه وجل مدتها قليله ومراحلها طويله وحد بلاد
الدشت من القبلة بحر قلزم الظلوم الغشوم وبحر مصر المنقلب
اليهم من بلاد الروم وهذان البحران كادا يلتقيان لولا ان جبل
الجركس بينهما برزخ لا يبغيان ومن الشرق تخوم ممالك خوارزم
واترار وسغناق الى غير ذلك من البلاد والافاق آخذا الى
تركستان وبلاد الجتا متوغلا الى حدود الصين من ممالك
المغول والخطا ومن الشمال مواضع وبرار وقفار ورمال
كالجبال وكم في ذلك من تيه تحير الطير والوحش فيه وهو
كرضى اكابر الزمان غايه لا تدرك ونهايه لا تسلك ومن
الغرب تخوم بلاد الروس والبلغار وممالك النصارى
والانسار ويتصل بتلك التخوم ما هو جار تحت حكم ابن
عثمان من ممالك الروم وكانت القوافل تخرج من خوارزم
وتسير بالعجل وهم آمنون من غير ريب ولا وجل والى القريم
طولا ومسيرة ذلك نحو من ثلاثة اشهر واما عرضا فهو بحار
من الرمل امده سبعة ابحر لا يهتدي فيه الخريت ولا يقربه
من الدعاميص كل عفريت فكانت القافلة لا تحمل زادا ولا
عليقا ولا يصحبون معهم رفيقا وذلك لكثرة الامم ووفور

الامن والماكل والمشرب من الحشم ولا يصله رونه الا عن قبيله ولا ينزلونه
الا عند من يكرم نزيله وكان قيل فيهم شعر
منكنفي جنبي عكاظ كليهما ٭ يدعو وليدهم بها عرعار
واما اليوم فليس بتلك الاماكن من خوارزم الى قريم من تلك
الامم والحشم متحرك ولا ساكن وليس فيها من انيس الا اليعافير
والا العيس وتحت الدشت سراي وهي مدينة اسلامية
البنيان بديعة الاركان وباي وصفها وكان السلطان بركه
رحمه الله لما اسلم بناها واتخذها دار الملك واصطفاها
وحمل امم الدشت على الدخول في حمى الاسلام ورعاها فلذلك كانت
محل كل خير وبركه واضيفت بعد اضافتها الى قفجاق والى بركه
انشدني لنفسه مولانا وسيدنا الخواجا عصام الدين ابن
المرحوم مولانا وسيدنا الخواجا عبد الملك وهو من اولاد الشيخ
الجليل برهان الدين المرغيناني رحمه الله في حاجي ترخان من بلاد
الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة اربع عشرة وثمانمائة
وفي يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة انتهت اليه
الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسى في درب الدشت انواع
النكال

شعر

قد كنت اسمع ان الخير يوجد في ٭ صحراء تعزى الى سلطانها بركه
تركت ناقة ترحالي بجانبها ٭ فما رايت بها في واحد بركه

وانشدني ايضا لنفسه معرضا مولانا وسيدنا وشيخنا
حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد الكردي البزازي تغمده
الله تعالى برحمته في الزمان والمكان المذكورين

شعر

متى يحفظ الناس في بلدة ٭ مصالحها في يدي حافظ
فحافظها صار سلطانها ٭ وسلطانها ليس بالحافظ

ولما

٣٧

ولما تشرف بركة خان بخلعة الاسلام ورفع في اطراف الدشت للدين
الحنيفي الاعلام استدعى العلماء من الاطراف والمشايخ من
الافاق والاكناف ليوقفوا الناس على معالم دينهم ويبصروهم
طرائق توحيدهم ويقينهم وبذل في ذلك الرغائب وافاض
على الوافدين منهم بحار الهبات واقام حرمة العلم والعلماء وعظم
شعائر الله تعالى وشرائع الانبياء وكان عنده في ذلك الزمان
وعند ازبك بعده وجاني بيك خان مولانا قطب الدين
العلامة الرازي والشيخ سعد الدين التفتازاني والسيد
جلال الدين شارح الحاجبية وغيرهم من فضلاء الحنفية
والشافعية ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي ومولانا
احمد الجندي رحمهم الله فصارت سراي بواسطة هؤلاء
السادات مجمع العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من
العلماء والفضلاء والادبا والظرفاء ومن كل صاحب
فضيله وخصلة نبيلة جميله في مدة قليله ما لم يجتمع
في سواها ولا في جامع مصر ولا قراها وبين بنيان سراي
وخرابها من الازمنة ثلاث وستون سنة وكانت من
اعظم المدن وضعا واكثرها للخلق جمعا حكى ان رجلا من
اعيانها هرب له رقيق وسكن في مكان متنح عن الطريق وفتح
له حانوتا يتسبب فيه ويحصل له قوتا واستمر ذلك
المهين نحوا من عشر سنين لم يصادف فيه مولاه ولا اجتمع
به ولا راه وذلك لعظمها وكثرة اممها وهي على شط نهر
منشعب من نهر اتل الذي اجمع السائحون والمؤرخون
وقطاع المناهل انه لم يكن في الانهر الجارية والمياه العذبة
النامية اكبر منه وهو ياتي من بلاد الروس وليس له فائدة
سوى اغتيال النفوس ويصب في بحر القلزم وكذلك جيحون

وسائر انهار العجم، مع ان بحر القلزم محصور، وعليه بعض ممالك
العجم تدور، مثل كيلان ومازندران، واسترآباد وشروان،
واسمه بحر سراي سكلا ولا يقطع ايضًا الا بالمراكب، ولا يثبت
عليه قدم الراجل ولا راكبه، وكم فرق تتفرق من ذلك البحر العريض
الطويل، وكل فرق اعظم من الفراة والنيل،

ذكر وصول ذلك الطوفان وجفة ام الدشت بعد كسره توقتاميش خان

فوصل تيمور الي تلك الداره، بالعساكر الجراره، بل بالبحار الزخاره
، ذوي السهام الطياره، والسيوف البتاره، والرماح الخطاره
، والاسود الهصاره، والنمور الكراره، من كل شاب
الغاره، مدرك في العدو ثاره، حام حقيقته وجاره
، وعرينه ووجاره، وفريسته ونجاره، والج من بحر الحرب غماره
، متلاطم امواجه وتياره، فارسل توقتاميش الي زعماء حشمه
، وعظماء امه، وسكان اصقاعه، وقطان اطرافه، ورؤس
اسرته، وضروس ميمنته وميسرته، فاستدعاهم، والي المقابلة
والمقاتلة دعاهم، فتوافي ثوب طاعته يرفلون، ومن كل
حدب ينسلون، واجتمعوا شعوبًا وقبائل، ما بين فارس
وراجل، وضارب ونابل، ومقبل وقابل، ومقاتل وقاتل،
بمرهف وذابل، ومن قوم نبال النبال، وتضال النضال،
لا يطيشون سهما، ومن بني ثعل رامي، اذا عقدوا الاوتار،
اصابوا الاوتار، وان قصدوا الاوطار، وجدوا المقصد،
جثم اوطار، ثم نهض للمصادمه، واستعد للمقاحمة والمقاومه
، بعساكر كالرمال كثره، وكالجبال قوه

ذكر ما وقع من الخلاف في عسكر توقتاميش وقت المصاف

وحين

وحين تواقف الصفان، وتناقف الزحفان، برز من عسكر توقتاميش
احد رؤس الميمنه، له دم علي احد الامراء فطلبه منه، وفي قتله
استاذنه، فقال له ليتعم بالك، ولينجح سؤالك، قلت شعر

لكن تري ما قد طري علي الوري وما جري

فامهلنا حتي اذا انفصلنا، وعلي المراد حصلنا، اعطيتك غريمك،
وناولتك خصيمك، فادرك منه ثارك، واقض اوطارك، قال
لا ولكن الساعه، والا فلا سمع لك ولا طاعه، فقال نحن في كرب هم،
هو من صراملك اهم، وخطب مدلهم، هو من مصابك اعم، فاصبر
ولا تعجل، واطمئن ولا توجل، فما يذهب لاحد حق، ولا يضيع
مستحق، فلا تلجي الاعمي الي الجرف، ولا تكن ممن يعبد الله علي حرف،
فكانك بليل الشدة وقد ادبر، وبصباح الفلاح وقد اسفر،
فالزم مكانك، ونازل اقرانك، وتقدم ولا تتاخر، واصدع بما
تؤمر، فانجرد ذلك الامير بجمع كثير، واتبعه كل باغ وغاو
وقبيلته كلها واسمها اقناو، فانطلق بروم، ممالك الروم،
فوصل هو وحشمه الي ضواحي ادرنه، واستوطن تلك الامكنه
، فاختل لذلك عسكر توقتاميش، وصارت سهام مرامه عن
مراميه تطيش، ولم يريدًا من اللقا، وصدق الملتقي،
فثبت جاشه وجيشه، وهزم وقاره وطيشه، وقدم
من طلايع الابطال، ورتب الخيالة والرجاله، وقوي القلب
والجناح، وسدد النبل والصفاح،

فصل

واما جيش تيمور، فانه مستغن عن هذه الامور، لان امره
معلوم، ووصفه مفهوم، وسطر النصر والتمكين علي جبين
راياته مرقوم، ثم تدانى الجيشان واصطدما، واصطليا
بنار الحرب واصطلما، والتقت الاقران بالاقران، وامتدت
الاعناق للضراب وشرعت النحور للطعان، واكفهرت الوجوه

واغبرت، وكثرت ذئاب الضراب وأهرّت، وتهارشت نمور الشرور
واسبطرّت، وتغاشت أسود الجنود وازبأرّت، واكتست
بريش النبال الجلود فاقشعرّت، وهوت جباه الجباه ورؤوس
الرؤوس محراب الحرب للسجود فخرّت، وثار الغبار وقام القتام،
وخاض بحار الدماء كل خاص وعام، وصارت نجوم السهام في
ظلام القتام لشياطين الأساطين رجوماً رواشق، ولوامع البيض
في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقاً وصواعق، ولا
زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول، وضراغم السرايا تصول
وتصول، ونقع السنابك إلى الجو راقيا، وتجمع السوافك على الأرض
جاريا، حتى غدت الأرض سما والسموات سلكا كالبحار تمانيا،
واستمر هذا اللدد والخصام، نحواً من ثلاثة أيام، ثم انجلى
الغبار، عن انهزام جيش توقتاميش وولّى الأدبار، وفرّت
عساكره وانذعرت، وانتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت
واستعرت، واستولى على قبائلها، وأتى على ضبط أواخرها
وأوائلها، واحتوى على الناطق فحازه، وعلى الصامت فحازه،
وجمع الغنائم، وفرّق المغانم، وأباح النهب والأسر، وأذاع
القهر والقسر، وأطفأ قبائلهم، وأكفأ معاقلهم، وغيّر
الأوضاع، وحمل ما استطاع من الأموال والأسرى والمتاع،
ووصلت طراشته إلى آزاق، وهدم سراي وسراجوق وحاجي
ترخان وتلك الآفاق، وعظمت منزلة ايدكو عنده، ثم انفتل
قاصداً سمرقنده، وصحب ايدكو معه، ورام منه أن يتبعه،

ذكر ايدكو وما صنعه
وكيف خلب تيمور وخدعه

فأرسل ايدكو قاصداً إلى أقاربه وجيرانه، وقبائله الذين كلهم
من أصحابه وأخدانه، من غير أن يكون لتيمور بذلك شعور،

ان

ان يرحلوا عن مكانهم، ويتشمروا عن أوطانهم، وأن ينحوا جهة
عينتها، وأماكن بينتها، صعبة المسالك كثيرة المهالك، وإن أمكنهم
أن لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك، فإنه إن ظفر
بهم تيمور بدد شملهم، وأبادهم كلهم، فامتثلوا ما رسم به ايدكو،
وارتحلوا ولم يلووا، ولما علم ايدكو أن جماعته قوّضوا، وحشمه
لتيمور أعجزوا، قال له يا مولانا الأمير، إن لي من الأقارب والحشم
الجم الغفير، وإنهم عضدي وجناحي، وبصلاح معايشهم
صلاحي، ولا آمن عليهم أن يلقوا بعدي، من توقتاميش الجور
والتعدي، بل لا شك أنه يفنيهم، ويبيدهم عن بكرة أبيهم،
وحيث يمتنع عليه بجاه جنابك جانبي، ينتقم لسوء طويته من
حشمي وأقاربي، لأن سدا هذه الملاحم أنا لحمته، وفي مضائق
البلاء ومآزق الانكسار أنا قحمته، وعلى كل حال فلا يطيب على قلبي
أن يساكنوه، وكيف يهنا لي العيش وأصدقائي مجاوروه، فإن
اقتضت الآراء المنيرة، إرسال قاصد إلى تلك الأماكن
والقبائل الكثيرة، صحبة مرسوم شريف، وأمر عالٍ منيف،
باستمالة خواطرهم، وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم،
والأمر بترحالهم، وترفيه حالهم، فنكون جميعاً تحت الظل
الشريف، في رغد عيش وربيع وريف، ونتخلص من هذا
الدنس، الخلق الرث، ونقتضي ما مضى من الأعمار،
ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها الأنهار، فالرأي الشريف
أعلى، واتباع ما يبديه للمماليك أولى، فقال له تيمور أنت
عذيقها المرجب وجذيلها المحكك، ومع وجودك أنت من
يسلك هذا المسلك، فقال كل الأنام عبيدك، ونائب
مرادك ومريدك، ومن تراه لشيء أهلاً، كان كل حزن
عليه سهلاً، فقال بل أنت أولى بهذا الأمر فكن ضمينه، إذ لا يتفق

وما الك في المدينة، فنال اضعف الى واحدا من الامراء، ليكون لي عليهم
وزراء، مع مراسيم شريفه، بما تقتضيه الاراء المنيفه،
فاجابه وقضى مراده، واضاف اليه من اراده، فقضيا ما اربهما
ونجزا، وبنجوم طلبهما تجهزا، ولما انفصل ايدكو عن تيمور،
استدرك فارطه، وعلم ان ايدكو خلبه عقله وغالطه،
فانفذ اليه قاصدا، ان يكون اليه عائدا، لامر قد سنح، وراي
قد جنح، فلما قدم القاصد عليه، وبلغ ما ارسل به اليه، قال له
وللامير الذي معه، وقد نهى كلا منهما ان يتبعه، اقضيا
ماربكما، والحقا صاحبكما، وقبلا يديه وابلغاه، انا امد
اجتماعنا هذا منتهاه، واني بريء منه اني اخاف الله، ولم
يمكنهما مخاشنته، ولا وسعهما في تلك المضايقة الشديدة
الا ملاينته، فودعاه وانصرفا، واخرا وما وقفا، ولما بلغ
تيمور ذلك تضجر وتضرر، وتبرح وتبرم، وحرق عليه الارم
وتندم، ولات حين مندم، وكاد يقتل نفسه حنقا عليه،
وتجرع كاسات ويوم بعض الظالم على يديه، ولم يمكنه التقيد
به فلم يتحرك له بحركه، وتوجه الى ممالكه ثم الى سمرقند وتركه،
فكان هذا اخر امره من دشت بركه، قيل انه لم يخدع تيمور
ويدهيه، ويغلبه قولا وفعلا ويطغيه، سوى ايدكو الات
ذكره، اقول وسوى قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن
خلدون المالكي الاتي حكايته وامره

تتمة ما جرى في نواحي الشمال بين توقتاميش وايدكو من الجدال والقتال الى ان تغير امر كل منهما وحاله

ولما انفصل تيمور بما حصل، واستقر في مملكته بعد ما وصل
اتصل ايدكو بحاشيته، وابتهج بصاغيته وغاشيته،

اخذ

اخذ في التفتيش، عن امور توقتاميش، وتحفظ منه وتحرز،
ولمناواته انتصب وتجهز، اذ لم يمكنه رتق ما فتقه، ولا رقع ما خرقه
وايضا ما امكنه الاستقلال بادعاء السلطنه، اذ لو امكن
ذلك لادعاه تيمور الذي ملك الممالك، فنصب من جهته سلطانا
وشيد في دار الملك خانا، ودعا رؤس الميسرة ووجوه قبائلها
اليه، فلبوا دعوته واقبلوا عليه، اذ كانوا اقوى من غيرهم،
امنين من ضر الجغتاي وضيرهم، فقوي بذلك سلطانه،
وعمر بقفول الجنود خانه، وثبت في دار الملك اساسه وعلت
اركانه، واما توقتاميش فبعد ان تراجع فضله، واستقر في
دماغه عقله، ورحل عدوه، وحصل هدوه، جمع عساكره،
واستنجد قومه وناصره، فلا زالت حروب الضراب بحراب الحروب
بينه وبين ايدكو قائمه، وعيون السكون كجفون الزمان المتغافل
عن صلحهما نائمه، الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مره، يدال هذا
على ذاك مرة وذاك على هذا كره، فاخذ امر قبائل الدشت في
التناقص والشتات، وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا
في الانبثاث والانبتات، لا سيما وقد تناوشها اسداته، واطل
عليها اكدانه، وقد كان جلهم ذهب مع تيمور، وامسى وهو في اسره
محصور، وفي حصره ماسور، فانفلت منهم طائفة لا تحصى
ولا تحصر، ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر، وانحازت الى
الروم والروس، وذلك لحظهم المشؤم وجدهم المعكوس،
فصاروا بين مشركين نصارى، ومسلمين اسارى، كما فعله
جبلة بني غسان، واسم هذه الطائفة قرابوغدان، فبواسطة
هذه الاسباب، ال عامر الدشت الى الخلا والخراب، والتفرق
والتباب، والانفلات والانقلاب، وصارت بحيث لو سلكها
احد، من غير دليل ورصد، فانه يهلك على الحقيقة، لانها عنه

في المجاز طريقه، أما صيفًا فلأنّ الرياح للرمال تسفي، فتخفي الطريق على المارة وتغفي، وأما شتاءً فلأن الثلج النازل فيها، يتراكم عليها فيغطيها، إذ كل أرضها مجاهل، ومنازلها مناهل، ومراحلها مهامه ومناهل، فعلى كل تقدير سلوكها مهلك عسير، فكانت الوقعة الخامسة عشر على ايدكو فتشتت وتشرد وتبدد وتبدد، وغرق هو ونحو من خمس مائة رجل من أصحابه في بحر الرمل فلم يشعر بهم أحد، واستبد توقتاميش بالمملكة وصفا الدشت بركه، وكان مع هذا متشوقًا لأخبار ايدكو وأحواله متشوقًا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله، ومر على ذلك نحو من نصف سنة، وانقطع أثره عن الأعين وجزم عن الألسنة، وايدكو كان دعمبص تلك الأغماض والأحقاف، وممن قطع بسير أقدامه أديم تلك النعال والأخفاف، فصار يتربص ويتبصر ويتفكر معنى ما قلته ويتدبر وهو شعر

ارقب الأمر وانتظر فرجا ... وانتهز وقتها إذا ما جا

وامزج الصبر بالحجى فبه ... ورق النوء صار ديباجا

فلما تيقن أن توقتاميش أيسه، وتحقق أن ليث المنايا افترسه، شرع يتجسس أخباره، ويتتبع ويستشرف آثاره، ويتطلع إلى أن تحقق من الخبر، أنه في متنزه منفرد عن العسكر، فامتطى جناح الخيل، وارتدى جنوح الليل، ووصل السير بالسرى، واستبدل السهر بالكرى، فارعًا إلى الهضاب، ووع الحباب، مفرغًا من الربى أفراع الندى، حتى وصل إليه تيمور وهو لا يعلم، وانقض عليه كالقضاء المبرم، فلم يبق إلا والبلايا احتوشته، واسود المنايا انتوشته، وتعاوين الرماح وأفاعي السهام نهشته، فحاولهم قليلًا، وجاولهم طويلًا، ثم انجدل قتيلًا، وكانت هذه المرة من الوقعات السادسة عشر خاتمة التلاق وحاكمة الفراق

فاستقر

فاستقر أمر الدشت على متولي ايدكو، وصار القاصي والداني والكبير والصغير إلى مراسيمه يصغو، وتفرقت أولاد توقتاميش في الآفاق، جلال الدين وكريم بردي في الروس وكوبالك وباقي أخوته في سغناق، واستمر أمر الناس على مراسيم ايدكو يولي السلطنة من شاء، ويعزله منها إذا شاء، ويأمر فلا يخالفه أحد، ويحد فلا يجاوز ذلك الحد، فممن ولاه قوبليغ تيمور خان وأخوه شادي بيك خان، ثم فولاد خان بن قوتليغ تيمور ثم أخوه تيمور خان وفي أيامه تخبطت الأمور، فلم يسلم لايدكو زمامه، وقال لا عزله ولا كرامه، أنا الكبش المطاع فأني أكون مطيعًا، والثور المتبوع فكيف أصير تبيعًا، فالتحم بينهما الشقاق، ونجم من ذوي الضغينة محنو النفاق، وجرت شرور ومحن، وحروب وإحن، وبينا ظلمات الفتن احتبكت، ونجوم الشرور في دياجي الدشت بين الفريقين اشتبكت، وإذا ببدر الدولة الجلالية من مشارق السلالة التوقتاميشية، بزغ مهللًا، وفرع من بلاد الروس مقبلًا، وكانت هذه القضية في شهور سنة أربع عشرة وثمانمائة فتعاظمت الأمور، وتفاقمت الشرور، وضعف حال ايدكو وقتله تيمور، واستمر النفاق والشقاق، بين ملوك ممالك قبجاق، إلى أن مات ايدكو غريقًا جريحًا، وأخرجوه من نهر سيحون بسر نحوف والقوه طريحًا رحمه الله ولهحكايات عجيبة، وأخبار ونوادر غريبة، وسهام ذراه في أعدائه مصيبة، وأفكار ومكائد، ووقعات ومصائد، وله في أصول فقه السياسة نقود وردود، البحث فيها يخرج عن محصول المقصود، وكان أسمر شديد السمرة ربعة مستمسك البدن شجاعًا مهابًا ذا رفعة، جوادًا حسن الابتسامه، ذا رأي مصيب وشهامه، محبًا للعلا

والفضلا ٭ مُقرّباً للصلحا والفقرآء ٭ يُداعبهم بالطف عباره ٭
واظرف اشاره ٭ وكان صوّاما ٭ وبالليل قواما ٭ متعلقاً باذيال
الشريعه قد جعل الكتاب والسنة واقوال العلما بينه وبين
الله تعالى ربيعه ٭ له نحو من عشرين ولدا لكل منهم ملك مطاع ٭
وله ولايات على حدة وجنود واتباع ٭ وكان في جماعات الدشت
اماما ٭ نحواً من عشرين عاما ٭ واياميه في جبين الدهر غره ٭
ولياليد ولته على وجه العصر طره ٭

رجعنا الي ما كنا فيه
من امور تيمور ودواهيه

ولما وصل تيمور الى اذربيجان ٭ وانبث عسكره في ممالك سلطانية
وهمذان ٭ واستدعى الملك الطاهر سلطان ماردين واطلقه ٭
وانعم عليه كما ذكر واستوثقه ٭ وولاه ما بين الشام والعراق ٭
واحكم تلك الممالك بما وسعه من المكر والنفاق ٭ ولم يمكنه الاقامه
بممالك العجم ٭ لما معه من الدشت من الم ٭ وجّه عنان قصده ٭ الى
ممالك سمرقنده ٭ فنفض فيها اوطابه ٭ وفرغ عما كان ملأ به
من الدشت جرابه ٭ ثم خرج من غير توان ٭ وقطع جيحون
بالطوفان ٭ ووصل الى خراسان ٭ وواصل السير الى اذربيجان ٭
وتوجه اليه طهرتن حاكم اذربيجان ٭ متلقيا طوق مراسمه
بجيد الطاعة والاذعان ٭ واهمل امر ماردين وتناساها ٭ ولم
يتعرض الى ما يتعلق بها من مدنها وقراها ٭

ابتداء ثوران ذلك القتام
فيما يتعلق بممالك الشام

ثم انه قصد الرها ٭ ورام نهبها ٭ فخرج اليه شخص من اعيانها
ورؤساء قطانها ٭ يقال له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه
واشتراها ٭ بجمل من الاموال حملها اليه واداها ٭ فعند ذلك

ارسل

ارسل الى القاضي برهان الدين ابي العباس ٭ احمد الحاكم بقيصرية وتوقات
وسيواس ٭ من الرسل عده ٭ ومن الكتب شده ٭ يبرق فيها
ويرعد ٭ ويبرغي في بحرها ويزبد ٭ ويقيم بغبارها ويقعد ٭ ومن
جملة فحواه ٭ ومضمون ذلك وما حواه ٭ ان يخطبوا باسم محمود
خان ٭ او سيورغاتمش خان ٭ وباسمه ٭ ويضربوا السكة على طرزه
ورسمه ٭ كما هو دابه ٭ ويتحمله حصوله وكتابه ٭ فلم يومن له السلطان
برسول ولا بكتاب ٭ ولا تصدّى لجواب عن خطاب ٭ بل قطع روس
الروس من قصاده ٭ وعلقها في اعناق الباقين واشهرهم في بلاده ٭
ثم جعلهم شطرين ٭ وقسمهم نصفين ٭ وارسلهم الى جهتين ٭
للسلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم ٭
والجزء الاخر الى السلطان ابي يزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان حاكم
ممالك الروم ٭ واخبرهما بالقضية ٭ عن جليه ٭ وما ورد عليه من خطاب
تيمور الممقوت ٭ وانه جعل في ذلك جوابه السكوت ٭ وقتل
قاصديه نكايه ٭ ولم يزده على هذه الحكايه ٭ وانما فعل ذلك
برسله وقصاده ٭ استهوانا به واستعظاما لما فعله بعباد الله
تعالى وبلاده ٭ ثم قال القاضي اعلموا اني جاركما ٭ وديارى دياركما ٭
وانا ذرة من غباركما ٭ وقطرة من بحاركما ٭ وما فعلت معه هذا مع
ضعف حالي ٭ وقلة مالي ورجالي ٭ وضيق دائرتي وبلادي ٭ ورقة
حاشية طريقي وتلادي ٭ الا اعتمادا على مظاهرتكما ٭ واتكالا على
مناصرتكما ٭ واقامة لاعلام حرمة دولتكما ٭ ونشرا لرايات هيبة
صولتكما ٭ فاني جُنّة ثغركما ٭ ووقاية نحركما ٭ وشاووش جنودكما ٭
وحاليش بنودكما ٭ وريشة طلايعكما ٭ وطليعة وقايعكما ٭ والا
فمن اين لي مقاومته ٭ وانى ينبغي لي مصادمته ٭ وقد سمعتم
احواله ٭ وعرفتم مشاهدته وافعاله ٭ فكم من جيش كسر ٭ وقيل
اسر ٭ وملك ملك ٭ وملك اهلك ٭ وستر هتك ٭ ونفس سفك ٭

وراس شامخ

وحصن فتح، وفتح منح، ومال نهب، وعز سلب، وصعب أذل، وخطب احل، وعقل أزل، وفهم اخل، وخيل هزم، وأمن هدم، وظهر فضح، وعقد فسخ، وسؤل قطع، وقصد منع، وطود ثلم، وطفل فجع، ومال اشب، وريح اهب، وماء اغاب، ورهج اثار، وقلب شوى، وكبد كوى، وجيد قصم، وطرف اعمى وسمع اصم، واني لي ملاطمة سيل العرم، ومصادمة الفيل الغشلم، فان نجدتماني وحدتماني، وان خذلتماني بذلتماني، ويكفيكما هيبة وشهره، وناهيكما ابهة ونصره، ان من خدامكما فداكما، من كفاكما بادكاكما، وان اصابني والعياذ بالله منه ضرر، ونظاير الى مملكتي من جرات شره شرر، ربما تعدي ذلك الفعل بواسطة الحوادث الى مفعول به وثان وثالث

قلت شعر

واشر بما النار ريبد وحين تقدحه ، شراره فاذا بادرته خمدا

وان توانيت عن اطفايه كسلا ، اورى قبايل تشوي القلب والكبدا

فلو تجمع اهل الارض كلهم ، لما قدروا في اطفايها ابدا

واما اهملت خطابه، وامهلت جوابه، لتريهما فاقتفني، وتامرا فاكتفي، وتوسسا فابني عليه، وتجاوبا فيصل ذلك كذلك مني اليه

ذكر ما اجاب به السلطان

ابو يزيد بن عثمان

للقاضي برهان الدين ابي العباس

سلطان ممالك سيواس

فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل اعجبه، ونغم هذا القول اطربه، واستحسن هذا الحلم من القاضي واستصوبه، وارسل اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه وانتهى، والا فلنا تينه بجنود لا قبل له بها، فليقابله بعين قريره، وليثبت له بحسن البصيره، واخلاص السريره، ولا يجزع من جنوده الغزيره،

فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيره، وان اقتضت اراوه السديده واحكامه السعيده، توجه بنفسه اليه، وقدم بالغزاة والحماة عليه، ليرفع اعلامه، وينفذ احكامه، ويكون لسيفه يدا، ولجناحه عضدا، ثم ارسل كتابه، وانتظر جوابه، واما الملك الظاهر فما رايت له كتابا، ولا حققت منه له جوابا، والظاهر ان جواب الملك الظاهر ابي سعيد، كان شقيق جواب السلطان الغازي ابي يزيد، اذ افعالها واقوالها في الباطن والظاهر، كانت من باب توارد الخاطر، ثم اني رايت كتابا، يتضمن خطابا وجوابا، وذكر ان الخطاب من ذلك الغادر، والجواب من الملك الظاهر، وكلاهما سوى اي الكتاب غير زاه، ولا زاهر، اما صورة الخطاب فهو قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه، مسلطون على من يحل عليه غضبه، لا نرق لشاك، ولا نرحم عبرة باك، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل كل الويل لمن لم يمتثل امورنا، فانا قد خربنا البلاد، واهلكنا العباد، واظهرنا في الارض الفساد، قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، خيولنا سوابق، ورماحنا خوارق، ملكنا الابرام، وجارنا لا يضام، فان انتم قبلتم شرطنا، واصلحتم امرنا، كان لكم ما لنا، وعليكم ما علينا، وان انتم خالفتم وابيتم، وعلى بغيكم تماديتم، فلا تلومن الا انفسكم، فالحصون منا لا تمنع والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع، ودعاوكم علينا لا يستجاب ولا يسمع، لانكم اكلتم الحرام وضيعتم الجمع، فابشروا بالذلة والجزع، فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم انا كفره، فقد ثبت عندنا انكم فجره، قد سلطنا عليكم من بيده امور مقدره، واحكام مدبره، كثيركم عندنا قليل، وعزيزكم

عندنا ذليل • قد ملكنا الارض شرقا وغربا • واخذنا منها كل سفينة
غصبا • وارسلنا اليكم هذا الكتاب • فاسرعوا في رد الجواب •
قبل ان ينكشف الغطاء • ولم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي
الفناء • هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا • وقد انصفناكم •
اذ راسلناكم • ونثرنا جواهر هذا الكلام عليكم • والسلام •
وهذه صورة الجواب وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين
ابن فضل الله وما اظن لذلك صحة وهو بسم الله الرحمن الرحيم •
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء •
وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير •
حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانية • والسدة
العظيمة الكبيرة السلطانية • قولكم انا مخلوقون من سخطه •
مسلطون على من حل عليه غضبه • لا نرق لشاك • ولا نرحم عبرة
باك • قد نزع الله الرحمة من قلوبكم • فهذا من اكبر عيوبكم • وهذا
من اقبح ما وصفتم به انفسكم • ويكفيكم بهذه الشهادة واعظا اذا
اتعظتم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون • ففي كل كتاب
ذكرتم • وبكل قبيح وصفتم • وزعمتم انكم كافرون • الا لعنة الله على
الكافرين • من تمسك بالاصول لا يبالي بالفروع نحن المؤمنون
حقا لا يتداخلنا عيب • ولا يدخلنا ريب • القران علينا نزل •
وهو رحيم بنا لم يزل • وقد علمنا بركة تأويله • وقد خصصنا بفضل
تحريمه وتحليله • انما النار لكم خلقت • ولجلودكم اضرمت • اذا
السماء انفطرت • ومن العجب العجاب • تهديد الليوث بالليوث
والسباع بالضباع • والكماة بالكراع • نحن خيولنا عربية • وهممنا
عليه • والقناة شديدة المضارب • ذكرها في المشارق والمغارب •
ان قتلناكم فنعم البضاعة • وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة •
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم

يرزقون

يرزقون • وقولكم قلوبنا كالجبال • وعددنا كالرمال • فالجزار لا يبالي
بكثرة الغنم • وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم • فكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين • الفرار
لا من الرزايا • نحن من المنية في غاية الامنية • ان عشنا عشنا
سعدا • وان متنا متنا شهدا • الا ان حزب الله هم الغالبون •
أبعد امير المؤمنين • وخليفة رب العالمين • تطلبون منا طاعه
لا سمع لكم ولا طاعه • وطلبتم ان نوضح لكم امرنا • فهذا الكلام في
نظمه تركيك • وفي سلكه تفكيك • لو كشف لبان • قبل البيان •
اكفر بعد ايمان • ام اتخذتم ربا ثان • لقد جئتم شيئا ادا • تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا • قل
لكاتبك الذي رصع رسالته • ووصف مقالته • حصل الوقوف
على كتاب • كصرير باب • او طنين ذباب • وسنكتب ما يقول ونمد
له من العذاب مدا • وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى • ثم
اني وجدت في نسخة محا مر الدهور بتقادمه مدادها • وبيض
كر العصور على وجه الزمان من شيبه سوادها • صورة هذا
الكتاب • وهيئة هذا الخطاب • من انشاء نصر الدين الطوسي •
على لسان هلاكو التتري مرسلا ذلك الى سلطان مصر • وصورة
الجواب بعينه انشاء من كان في ذلك العصر •

فصل

ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق •
وركب جناحي الغضب وفار دم قلبه ورنق • وغص غصا فكاد
من الغيظ ان يختنق • ولكن علم ان في الزوايا خبايا • وللاسلام
جنودا وسرايا • وفي عرين الدين من ليوث المسلمين بقايا • وان
امامه اسودا هواصر • وجوارح كواسر • فتصبر للزمان
ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر •

ذكر توجه العساكر الشاميه لدفع تلك الداهيه

مع ان ملك الامراء بالشام هو تنم، خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو مغتنم، ولم يروا في ذلك ضيرا، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وعاد من جيش الاسلام كل اسد هصور، وقد اصطاد من كراكي ما ضاهى صورته وجاء نور على نور،

ذكر رجوع ذلك الكنود وقصده استخلاص بلاد الهنود

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروزشاه، انتقل من زحمة الدنيا الى رحمة الله، ولم يكن له ولد يكون له خليفه، فسعى تيمور، لان يتولى بحكم الوفاة والشعور، تلك الوظيفه، ولما فاض صاحب الهند صارت الناس فوضى، ومرج مرام الهند وماج، فجعل كل يخوض خوضا، فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا، ثم اتفقوا على توليه وزير اسمه ملوا، فراب منا امر المالكين ما انصدع، ورفع من استحق الرفع وخفض من بغير استحقاق ارتفع، فعصى عليه اخوه سارنك خان، متولي مدينة ملتان، ووقع بينهم التخالف، وافترق ملا الهنود فرقا وطوائف، فكان اختلافهم لتيمور احسن مساعد، واقوى عضد وساعد،

قلت شعر

وتشتت الاعدا في ارائهم سبب لجمع خواطر الاحباب

وحين وصل تيمور الى الملتان، عصى عليه سارنك خان، فاقام محاصرها، وقعد يصابحها، وكانت عساكرها جمه، وليالي كتائبها السود مدلهمه، حتى فيلان من جملة عسكرة الثقيل، كان ثمانمائة فيل، مع ان كل امير من اطراف الهند، ورئيس من اكناف السند، كان قد لفلف اذياله، ولملم رجاله ورجاله،

وضبط

وضبط حوائجه اثقاله، وربط الحوائجه افياله، واستمر ذلك اللاده والخصام، نحوا من ثلثي عام، الى ان استخلصها، ومن يده خلصها،

فصل

ولما استولى مدة واستقر امر الهند عليه، وبلغه توجه تيمور اليه، جد واجتهد، واعد العدد والعدد، واستمد الامداد والمدد، واهلك مالا لبد، وحسب انه لن يقدر عليه احد، وفرق الاموال، وجمع الخيل والرجال، واحضر ما في مملكته من الافيال، ثم حصن مدائنه، ومكن كمائنه، وشيد على الافيال للمقاتلة ابراجا، واحكم في تحرير المناضلة طريقة فتح فيها ذهب ومنهاجا، وجد تيمور في السير، حتى كاد يسبق الطير، اذ لم يكن له في ذلك الاثر من يحجبه، ولا في عساكر سلطان الهند من يقربه، فلما بلغ الهنود بالجنود، برزت اليه بالجنود الهنود، وقدموا الفيول، لتمنع الخيول، وقد بنوا على كل فيل من الابراج برجا، وعبوا في كل برج من المقاتلين من يحتمي في المصائب ويرجى، بعدما جعلوها من الركستوانات في حصار، وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدعو العفارتة الى الفرار، وشدوا في خراطيمها سيوفا يصلح ان يقال سيوف الهند، تدعو الرؤوس شعلة لها فتخر لها ساجدة فيحق ان يقال لها نار السند، وهذا خارج عما للافيلة من الانياب، التي هي في الحروب كالحراب، اذ هي في اداء ما وجب عليها نصاب كامل، وسهامها التي هي مصيبة في نحور من يقابلها نقص كل نابل وذابل، فكانت تلك الافيال، في وصف القتال، كانها غيل باسودها ماشيه، او صياصي بجنودها جاريه، واطواد بنمورها عاديه، او بحار بافواج امواجها رائحة جائيه، او ظلل من الغمام بصواعقها هاميه، او ليالي الفراق بنوائبها

السود ساريه • وخلفها من الهنود • فوارس الحرب • وابطال الطعن
والضرب • سود الاسود • وطلس الذئاب ونمش الفهود • بالذابل
الخطي • والصارم الهندي • والنبل الخلنجي • مع قلب ذكي •
وجنان جري • وعزم قوي • وصبر رضي

ذكر ما فعله ذلك المحتال
من الخديعة في اجفال الافيال

وحين اطلع تيمور على هذه الحال • وتحقق ان شقة عساكر الهند
نسجت على هذا المنوال • اعمل المكيده • في قلع هذه المصيده • ورزق
لهم بمزقه قدر طبخها اخثر من العصيده • فبدا اولا في الاحتيال •
بدفع مكيدة الافيال • فاستعمل الفكر الحديد • في اصطناع شوكات
من حديد • مثلثة الاطراف • مستبدعة الاوصاف • كانها في
شكلها الخبيث • طرق القائلين بالتثليث • او وضع اصحاب
الاوفاق • اعدادهم المنسوبة الى الوفاق • فصنعوا له من ذلك
الالوف • ثم عمد الى مجال الفيول في الصفوف • فنثر ذلك لها
ليلا • وجلب لابهاها حربا وويلا • ورقم له ذلك حدا • ورام ان
يفعل ذلك الحذو لا يتعدى • ثم ركب اطلابه وابطاله • ورتب اسوده
واشباله • وهذب خيله وشذب رجاله • وارصد منها اوعيناً
• من عسكره للعدو كمينا • وحين بث سلطان السيارة في جوانب
الآفاق خيله • وضم جيش الظلام رجالة انجمه وشمر للهزيمة
ذيله • مشى عسكره الى ذلك الحذو رويدا حتى وصل اليه • ولما تراى
الجمعان نكص على عقبيه • ثم نكب بالخيول • على طريق الفيول •
فتصوروا ان خيوله جفلت • وشمس نصرته انكسفت وكواكب
جيشه افلت • فاقلعوا اقلاع الفيول • فانهزمت انهزام الشيول
وساقوا خلف عساكره سوقا • على ذلك الشوك الملقى • واتبع
الفياله • من الهنود الرجالة والخياله • فلما وصلت سيول الفيول

من

من مطارح الشوك الى المناسم • واخذ ذلك الشوك في تقبيل ايديها
وارجلها وتشبث بتلك المناسم • واحست قوائمها بشوكها •
رجعت القهقرى بل وولت الادبار لعدم عقلها • فنهنهوها وكفوها
عن التولي فلم يفد النهي والنهنهه • وصارت في التقدم الى جهة العدو
كفيل ابرهه • ثم لم يسعها لما اضرها الشوك في تلك الحرارة الا التولي
من الزحف والفرار • فحطمت الفيول • الرجال والخيول • وصارت
القتلى كالجبال والدماء في اوديتها سيول • وخرج عليهم الكمين •
من ذات الشمال وذات اليمين • فابادوا سائرهم • والحقوا اولهم
اخرهم • وقيل ان بلاد الهند ليس فيها اباعر • وان منظرها يجفل
الفيل فيصير ابعد نافر • فامر تيمور ان يهيأ خمس مائة بعير جفوله
• وتعتار رواحلها والحمول • قصبا محشواً بفتايل وقطن بالدهن
مبلول • وان تساق امام الركبان • الى ان يتراأى الجمعان • فلما
تصافوا ولم يبق الا القتال • امر ان تطلق النيران في تلك الحشايا
والاحمال • وتساق الى جهة مواجهة الافيال • فلما احس البعران •
بحرارة النيران • رغت ورقصت • ونحو الفيول شخصت • وصارت
كما قيل • شعر

كانك من جمال بني أقيش • يقعقع بين رجليه بشن

فلما رات الفيلة النيران • وسمعت رغاء البعران • ونظرت الى الابل
كيف خلقت • وشاهدتها وقد غنت ورقصت • وباخفافها
صفقت • الوت على عقبها ناكصه • لسائقها واهصه • ولراكبها
واقصه • فحطمت الخياله • وهشمت الرجاله • وتلا الكافرون
آية النصر على اصحاب الفيل • وارسلوا عليهم من السهام طيراً ابابيل
فلم ينتفعوا بالافيال • بل افنت الافيال اغالب الخيل والرجال • ثم
تراجعت عساكر الهنود • وابطال الخيالة من الجنود • وكتبوا
الكتائب ونشروا البنود • ثم تراموا وتصافوا • وتناشوا وتغافوا

وهم ما بين مجوسي ومسلم، ومبارز منتسب ومنادٍ بالشعار معلم، وكلٌّ
في سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم، ثم تدانوا نوامح النثار
وتزاحفوا، وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تناقفوا، ثم
بالسيوف تضاربوا، ثم تلاتبوا وتواثبوا، ثم تراموا عن ظهور
الخيل، واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل، ولا زالت تختلف بينهم
الضربات، وتصول فيهم الحملات، وتحمد منهم الصولات، حتى تلا
لسان القضا، والقدر انه في اختلاف الليل والنهار لآيات، ثم تناهى
الاقتحام، وانفرج الازدحام، واسفرت القضية عن ان بردها
الهند فانهزم جيش حام، وحل بالهنود الويل، ومحا الله آية
الليل، ولما تفرقت الهنود وفلوا، وانتهى عقد عليهم في المحاربة
حلوا، وقتلت سرواتهم وهرب سلطانهم ملوا، ثبت تيمور وحكمه
في هنده، والى الآن كما ثبت اوتاده في سمرقنده، فجمع اقيالها،
وربط افيالها، وضبط احوالها، وما غفل عن ضبطها ما عليها
ومالها، وسلم افيالها لاقيالها، ثم توجه نحو تختها وهي مدينة دهلي
مصر عظيم جمع فنون الفضل وارباب الفخر الجلي، معقل التجار
ومعدن الجواهر والبهار، فتمنعت عليه بالحصار، فاحاط بذلك
السواد الاعظم، من عساكره السواد الاعظم، ومن معه من
الخلائق والامم، فقيل ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها
وكثرتها، لم يتكردوا ان يكتنفوا لسعة دائرتها، وانه اخذ من
احد جوانبها بالمحاصرة، وتم الجانب الاخر ثلاثة ايام في المجاذبة
والمناجزة، لم يدر من في الجانب المحاصر لبعد المدى وكثرة الامم
ما فعل بالجانب الاخر

ذكر وصول الخبر الى ذلك المعقوق بوفاة الملكين ابي العباس احمد والملك الظاهر برقوق

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وامصاره، واحتوى على ممالكه

واقطاره

واقطاره، وبلغت مراسيه اعماق انجاده واغواره، وانبث جيشه
في ولاياتها سهلا ووعرا، وظهر فساده في رعاياها برا وبحرا، اذ
وفد عليه المبشر من جانب الشام، ان القاضي برهان الدين احمد السيواسي
والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام، فسر بذلك
صدره وانشرح، وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح، فنجز
بسرعة امور الهند، ونقل الى مملكته من فيها من العساكر والجند
بما اخذه من الاثقال، ونفائس الاموال، وودع ذلك الجمهور
من ذلك الجند الماسور، على اطراف ما وراء النهر من الحدود والثغور،
واقام في الهند نائبا من غير وجل، ثم حدر عن سمرقند قاصدا الى
الشام على عجل، ومعه من الهند رؤس اجنادها ووجوه اعيانها
وسلطان اقيالها وافيال سلطانها، ثم انه صار قرير العين بتلك
الطوائف الطائفة، في اوائل سنة اثنين وثمانماية، وانصب
بذلك الطوفان، من جيحون الى خراسان، وكان قد قرر ولده
لصلبه اميران شاه بمملكة تبريز وتلك الديار، والسلطان احمد
قد رجع الى بغداد وهو مستوفز للفرار، وسبب حركته الى بلاد
الشام، ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقصاده الاغتام
لكنه اراد ان يخفي مقصده، ويغطي عن الناس مصدره ومورده

قلت بديها شعر

وانى يختفي للشمس ضوء ... عن الابصار في صحو النهار
وكيف يرد نشر المسك يحشو ... خياشيم الورى في يوم حار
واني يختفي للطبل صوت ... عن الاسماع في وقت النقار

فان قصده كان بعيد المدى، طويل الامد، محتاجا الى اعداد اهبة
السلوك، ويخشى ان تضاهي غزوة تبوك، واظهر سببا ابطن
فيه ما رامه من مكره ودواهيه، واشاع ذلك واذاع، فامتلأت
منه القلوب والاسماع

معنى كتاب وفد وهو في الهند عليه زعموا ان ولده اميران شاه ارسله اليه

وذلك ان ابنه اميران شاه المذكور راسله، وانهى اليه بقول على ما قيل في بعض ما قاوله وحاوله، انك قد عجزت لكبر سنك، وشمول الضعف بدنك ووهنك، عن اقامة شعائر الرياسه، والقيام باعباء الايالة والسياسه، والاولى بحالك ان كنت من المتقين، ان تقعد في زاوية مسجد وتعبد ربك حتى ياتيك اليقين، وقد تم في اولادك واحفادك، من يكفيك امر رعيتك واجنادك ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك، واني لك بلاد وممالك، وانت عن قريب هالك، فان كان لك عين باصره، وبصيرة في نقد الاشياء ماهره، فاترك الدنيا واشتغل بعمل الاخره، ولو ملكت ملك شداد، ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد، وساعدك النصر والعون، حتى تبلغ مقام هامان وفرعون، ورفع اليك خراج الربع المسكون، حتى تفوق في جمع المال قارون، وصرت في خراب البلاد كبختنصر، الذي طول الله تعالى له فقصر، وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار، وقضيت من دنياك غاية الاوطار، وصار عمرك فيها اطول الاعمار، وخدمتك فيها ملوكها الاغمار، فتقصر جندك قيصر، وكسر كسرى فانكسر، وتبعك تبع والنجاشي، واوساط الملوك والاقيال غدوا لك خداما وحواشي، وتغفر لك فغفور بالثناء فاه، واخنيت على الخان وخاقان فوجه كلا في رقعة دستك شاه، واذعن لك فرعون مصر وسلطانها، وجبى لك على بلد خير الدين ايرانك الدنيا وتورانها، وآل امرك الى ان كان لك سكان الاقاليم وقطانها، اليس قصارى تطاول قصورك الى القصود، ونهاية كمالك النقص وحياتك الموت وسكناك القبور،

قلت

قلت شعر

فعش ما شئت في الدنيا وادرك ... بها ما رمت من صيت وصوت
فخيط العيش موصول بقطع ... وحبل العمر معقود بموت

وقيل شعر

قميص من القطن من حله ... وشربة ماء قراح وقوت
ينال به المرء ما يرتجي ... وهذا كثير على من يموت

فاين انت من نوح وطول عمره، ونياحته على قومه وحسن عبوديته وشكره، ولقمان ووعظه ولده، وتربيته لطول الحياة لبده، وداود في ملكه الفسيح، مع قيامه باوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح، وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح، وذي القرنين، الذي ملك المشرقين، وبلغ المغربين، وبنى السد بين الصدفين، وداخ البلاد، وملك العباد، واين محلك من سيد الانبياء وخاتم الرسل، وصفوة الاصفياء المرسل رحمة للعالمين، الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين، محمد المصطفى واحمد المجتبى، الذي زويت له مشارق الارض ومغاربها، ومثل بين يديه شاهدها وغائبها، وفتحت له خزائنها وعرض عليه ظاهرها وكامنها، وكانت جنوده الملائكة الكرام، وآمن به الانس والجن والطير والوحش والهوام، وايده الله الكريم المتعال، بان ارسل لطاعته ملك الجبال، وكان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين والشمال، فملك الجبابرة بالهيبة والقهر، وكانت الاكاسرة والقياصرة تهابه من مسيرة شهر، وايده بنصره وبالمومنين من المهاجرين والانصار، وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار، وان الله سبحانه به اسرى في بعض ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، وكان مركوبه الشريف البراق، ثم عرج به الى السبع الطباق، وقرن اسمه الكريم

مع اسمه، وتعبّد عباده بما شرعه الى يوم القيامة من غير تغيير لحده
ورسمه، وخلق لاجله الكائنات، وانار بوجهه الموجودات،
ولم يخلق في الكون اشرف منه ولا فخر، وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر، واظهر من معجزاته انه اشبع الجم الغفير، من القرص
الشعير، وسقى الكثير من الرعال، مما نبع من بين اصابعه من الماء
الزلال، وانشق له القمر، وسعت اليه الشجر، وآمن به الضب
وسلم عليه الحجر، وهل تحصى معجزاته، وتحصر كراماته، وناهيك
بمعجزته المؤيدة، وكرامته المؤبدة المخلدة، على مر الزمان،
الباقية ما دار الحدثان، الساكنة ما تحرك الملوان، وهو القرآن
المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد، وهذه منازله في الدنيا، غير ما ادخر له في العقبى
وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى، ولسوف يعطيك
ربك فترضى، مع ان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين بالايمان به
وبنصره، فلو ادركوه لم يسعهم الا اتباعه وامتثال امره، فهو دعوة
ابراهيم الخليل، ومتوسل موسى وعلماء بني اسرائيل، والمبشر
بقدومه على لسان عيسى في الانجيل، وحامل لواء الحمد يوم
القيامة، آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو صاحب الحوض
المورود، والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة والمقام المحمود
وبمعنى ما قلت مفوفا مقتبسا شعر
قل تسمع اشفع تشفع سل تنله مجدا تفويض خلعة عز واقتبس نعمى
فانظر الى الاهواء السادة، معادن الخير ومنابع السعادة، هل
رغبوا في الدنيا واعتمدوا عليها، او نظروا الا بعين الاحتقار
والاعتبار اليها، او هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله، والشفقة
على خلق الله، وناهيك بالخلفاء الراشدين، واعظم بالعمرين
اللذين كانا في هذه الامة بمنزلة القمرين، وهلم جرا بالخلفاء

العادلين، والملوك الكاملين، والسلاطين الفاضلين، الذين تولوا
فرعوا حقوق الله تعالى في عباده، وحموا عباد الله عن الظلم في بلاده
واسسوا قواعد الخير، وساروا في نهج العدل والانصاف احسن
سير، فمضوا على ذلك وبقيت آثارهم، واحييت بعد موتهم ايامهم
اخبارهم، فمضى على ذلك مثل الاولين، وبقي لهم لسان صدق في
الاخرين، اذ صنعوا بموجب ما سمعوا

شعر

نكن حديثا حسنا ذكره فانما الناس احاديث

وانت وان كنت تسلطت على الخلق، فقد عدلت ايضا ولكن عن الحق،
ورعيت ولكن اموالهم وزرعهم، وحميت ولكن بالنار قلوبهم وضلوعهم
، واسست ولكن قواعد الفتن، وسرت ولكن على سير اماتة السنن
، ومع هذا فلو عرجت الى السبع الشداد، ما بلغت منزلة فرعون
وشداد، ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد، ما ضاهت
ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، فانظر لمن نهى
وامر، ثم مضى وغبر، ولكن ممن طغى فجر، وتولى وكفر، واقنع
بهذا الخطاب عن الجواب، واعط القوس باريها، واترك
الدنيا لبانيها، وتولى الله ورسوله والذين آمنوا، والا فانت
اذا من تولى في الارض ليفسد فيها، فاني اذا ان امشي عليك
واضرب على يديك، وامنعك من السعي في الفساد بان
اسوي بين رجليك، مع قلة آداب كثيرة، وعبارات ذنوبها
كثيرة، فلما وقف تيمور على هذا الكتاب، وجه الى تبريز
عنان الركاب، وكان عند اميران شاه من المفسدين، جماعة
سعوا في الارض مفسدين، منهم قطب الموصلي اعجوبة الزمان
الدوار، واستاذ علم الموسيقا والادوار، اذا استنطق
البراعة اسكت اهل البراعة، واذا وضع الناي بفيه،
سحق عود اسحاق وابيه، وان اخذ في الاغاني اغنى عن

الغواني، تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني أنيني، فتشير
براعته بالاصبع وتقول على عيني، ثم ينفخ فيها الروح، فيشفي كل
قلب مجروح، ويداوي كل فؤاد مقروح، فإذا قامت قامتها
الرشيقة واقتضت في سماعها، يحني الجنك ظهره خاضعا
لطلب استماعها، وإذا فتحت فاها النقري أسماع القلوب الحانه، يميل
العود عنقه مصغيا اليها عاركا بانامل الادب اذانه، قيل انه كان
يؤدي جميع الانغام الفروع والمركبات والشعب والاصول،
من كل ثقبة من ثقب الاصول، وله مصنفات في ادوار المقامات
وجرى بينه وبين الاستاذ عبد القادر المراغي مباحثات، وكان
اميران شاه به مغرما، يعد صحبته والعشرة معه مغنما، وكان
تيمور لا يعجبه اللعب، ولا يستهويه اللهو والطرب، فقال ان
القطب افسد عقل اميران شاه، كما افسد عبد القادر احمد بن
الشيخ اويس واطغاه، فوصل ذلك الطاغ، سابع عشر شهر
ربيع الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ، فاناخ بها ركابه،
واراح بها دوابه، وضبط ممالك اذربيجان، وقتل اولئك المفسدين
واهل العدوان، ولم يتعرض لاميران شاه، لانه ولده وهو
انشاه، وبينهما امور متشابهات لا يعلم تاويلها الا الله، ثم
توجه بذلك الخميس، ثاني جمادى الاخرة يوم الخميس، واخذ
مدينة تفليس، وقصد بلاد الكرج، وهدم ما استولى عليه
من قلعة وبرج، وقلعهم الى الصياصي، والقلاع العواصي،
وقتل من ظفر به من طائع وعاصي، وجزّهم ما بين رؤوس
ونواصي، ثم ثنى عنان الفساد، وحرش البغاة على بغداد،
فهرب السلطان احمد من ذلك اللجب، الى قرا يوسف في ثامن
عشرين شهر رجب، فسكن تيمور زعازعه، وطمن بذلك
مراقبه ومنازعه، وتمهل في السير، واستعمل في نحوه مع مناظريه

مباحث

مباحث سوى وغيره، وما زال يتجاوز ويتحاول، ويتبلد وهو
يتغافل،

شعر

أموه عن سعدى بعلوى وانتم، مرادي فلا سعدى أريد ولا علوى

فتراجع السلطان احمد وقرا يوسف يوما الى مدينة السلام،
متصورين انه لم يبرح من بلاد الكرج اللئام، فلما تحققا منه
الخروج، وكانا تحققا انه اذا عرج على شيء فما يعوج، وطار
طائرهما نحو الروم، وتركا ديارهما ينعق فيها الغراب والبوم،
فتوجه ذلك القشعمان، الى مصيف الرزان، فاغمد السيف
وكف عن الحيف، وتصرم الصيف،

ذكر ما وقع من الفتن والبلاء وما سل للشرور من حسام بعد موت سلطان سيواس والشام

وكان اذ ذاك وقد تخبط امر الناس ودوخ الاضطراب بلاد مصر
والشام الى سيواس، اما مصر والشام فلموت سلطانهما، واما سيواس
فلقتل برهانها، وكان موتهما متقارب الزمان، كموت قرا يوسف
والملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان، فان مدى
ما بين موت هؤلاء الملوك العظام، كان نحوا من نصف عام،
وكذا كان ما بين موت ذينك السلطانين،

ذكر نبذة من امور القاضي وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي

وسبب قتل القاضي برهان الدين، مخالفة وقعت بينه وبين عثمان
قرايلوك راس المعتدين، سيزداد بيانها، اذا اتى مكانها، وهذا
السلطان ابوه كان في صبا عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية
وبعض ممالك قرمان، وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة وامكان،

وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه من طلبة
العلم الشريف واصحابه، المجتهدين في تحصيله واكتسابه، فتوجه
الى مصر لاقتناء العلوم، وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم
وكان ذا فطنة وقاده، وقريحة نقاده، ومقلة غير رقاده،
فحصل من العلوم عده، في ادنى مده، فبينما هو في مصر
يسير، واذا هو بفقير جالس على الطريق كسير، فناوله شيا
يسد به خلته، ويجبر به فقره وكسرته، فكاشفه ذلك الفقير
بلفظ معلوم، وكشف له عن السر المكتوم، وقال لا تقعد في هذه
الديار فانك سلطان الروم، فصدع بهذا الكلام قلبه،
فاخذ في اعداد الاهبه، وقطع الاعلاق، ودخل الطرق
صحبة الرفاق، ولما وصل الى سيواس، ابتهج به والده واعيان
الناس، وشد له بين الخلق اشد بنيان واسد اساس، وشرع
في القاء الدروس، ومصاحبة الاعيان والروس، وكان ذا همة
ابيه، وراحة سخيه، ونفس زكيه، وخصايل رضيه، وشمايل
مرضيه، وبحر رشاف، وتقرير واف، يحقق كلام العلماء،
ويدقق النظر في مقالات الفضلاء، وله مصنفات في المعقول،
ولطايف في المنقول، ينظم الشعر الرقيق، ويعطي عليه العطاء
الجليل، ويحبه اللفظ الدقيق، ويثيب عليه الثواب الجزيل،
وبوفي ذلك يتزيا بزي الاجناد، ويسلك طريقة الامراء من
الركوب والاصطياد، ويلازم ابواب السلطان، ويتخذ
الخدم والاعوان، فمات السلطان عن ولد صغير، فاجلسوه
على السرير، وكان عنده من اعيان الامراء، ورؤوس الوزراء،
اناس منهم غضنفر بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي
كلدي وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن اكبرهم ابو القاضي برهان
الدين فصار هؤلاء الامراء، والروس من الوزراء والكبراء،

يدبرون مصالح الرعية، ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من
قضية، فمات ابو القاضي برهان الدين وتولى ولده مكانه، وفاق
بالعلم وحسن السياسة اباه واقرانه، فتفرق ولايات ذلك الاقليم
على ابن المؤيد وحاجي كلدي وحاجي ابراهيم، فبقي حوالي السلطان
محمد، فريدون وغضنفر وبرهان الدين احمد، ثم توفي السلطان
محمد عن غير ولد، فبقيت الولاية بين الثلاثه على سبيل الاشتراك
ووراثه، وقلما اتفق ضرتان على زوج واحد والتقتا، ولو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا، وما ثم فقير يلتفون في حصير،
وملكان لا يسعهما اقليم كبير، فاراد برهان الدين الاستبداد بالملك
والاستقلال، فنصب لشريكيه اشراك الاحتيال، اذ الملك عقيم
فرصد لذلك الطالع المستقيم، ونظر نظرة في النجوم فقال اني
سقيم، فراى شريكاه ان العيادة عباده، فطلبا بعيادته
الحسنى ورام هو الزياده، فعاداه وقد عادا اباه، وما راعاه ولكن
راعهما وما راعاهما، فدخلا عليه وقد ارصد لهما رصدا، واعد
لهما من الرجال المعدة عددا، وقتلهما وقد حصلا في قبضة
الاشراك، وخلص توحيد السلطنة الاحمدية عن الاشراك،
فتقوى بالتوحيد سلطانه، واضاء به للدين حجته وبرهانه،
ولكن ناواه انداده، وعصى عليه من النواب اكفاؤه واضداده،
واظهر كامن العداوة اعداؤه وحساده، وقالوا هذه مرتبة لم
ينلها اباؤه ولا اجداده، ونحن كلنا سيواسية اذا انتسبنا، فانى
يكون له الملك علينا، وحسد الرياسة هو الغل القمل،
وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل، فمنهم شيخ نجيب صاحب توقاته
القاسيه، ومنهم حاجي كلدي كان نايب اماسيه، فلما استقل
بالملك ملقب بالسلطان، وكان قد استولى اذ ذاك السلطان
علاء الدين على ممالك قرمان، فقال السلطان علاء الدين ان رواة

سيواس
برهان الدين

التواريخ حدثتنا واسمعتنا، وكتب السير انبأتنا واخبرتنا، ان
ما حوالينا من الممالك متعلق بنا، من سلطاننا وإرثنا، ثم شرع
في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه، وجعل يشن الغارات على
من يتمادى في عصيانه، ففتح قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا،
واستصحبه معه طوعا وقهرا، وانحازت تتار الروم اليه وهم
الجم الغفير، وعثمان الملقب بقرايلوك قال له انا تحت اوامرك
امشي وفي قبضة طاعتك اسير، فكان قرايلوك من جملة خدمه،
وفي حساب تراكمته وحشمه، فكان يرحل هو ومن معه من الناس
شتاء وصيفا بضواحي سيواس،

ذكر محو قرايلوك عثمان اثار انوار برهان الدين السلطان بسبب ما ظهره من العدوان واضمره حالة العصيان وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان

ثم انه وقع بين قرايلوك وبين السلطان منافره، ادت الى
المشاجره، وانتهت الى المزاحمة والمناقره، فنقض العهود
والذمم، وامتنع من حمل التقادم والخدم، وتمنع في الاماكن
العاصية بمن معه من التراكمة والحشم، فلم يكترث به السلطان
لانه كان اقل الاعوان، وجعل يتوجه تارة الى اماسية واخرى
الى ارزنجان، وكان بالقرب من سيواس مصيف، منظره ظريف،
وترابه نظيف، وماؤه خفيف، وهواؤه لطيف، كأن
الخلد خلع على اكناف رياضه سندسه الاخضر، والفردوس
اجرى في خلال اشجاره من نهره الكوثر، على حدائقه من رونق
الجنان شبه، وفي ربوة جبهته للابصار دهشات وللبصائر
نزه،

قلت شعر

عليه شقيق قد زهى فكأنه ... صحون عقيق اترعت بالعنابر

فقصده قرايلوك، ورام في طريقه السلوك، فمر على

سيواس

سيواس، وبه القاضي ابو العباس، فجاز بركابه، ولم يعبأ به،
فالتهب تموز قيظه، وكاد يتميز من غيظه، وقال بلغ من هذا
العواء ان يلج برج الاسد، ويتقدم قدم اقدامه وانا حل بهذا
البلد، ثم امر جماعته بالركوب، وقصد عليه الوثوب، واستفزه
الغضب والطيش، ان ركب وسبق الجيش، فقال له بعض من
معه من الجماعه، لو لبث مولانا السلطان ساعة، حتى تتلاحق
العسكر، كان احزم واوفق واجدر، وان كان حرمة مولانا
السلطان فيها كفاية ولها ايد، لكن قرايلوك تركماني ذو دهاء
وكيد، فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام، ولم يزل جادا وراءه
حتى هجم الظلام، فكر عليه قرايلوك بجماعته، فقبض عليه بالبلد
من ساعته، ولم يدر بحالة العسكر، وتفرق امراؤه وجنده شذر مذر،

ذكر ما كان نواه قرايلوك من الراي المصيب ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ نجيب

ثم ان قرايلوك عزم ان يجدد معه العهد والميثاق، ويقلع غراس
الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوثاق، ويرده الى مكانه
ويصير كما كان اولا من انصاره واعوانه، ويعلم بذلك السلطان
انه له ناصح، فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح، واذا بشيخ نجيب
الذي كان متولي قلعة توقات، وحاصره السلطان وضيق
عليه مسالك الطرقات، ثم قهره وغلبه، واخذ قلعته وبالكراهة
استصحبه، وجد فرصة فانتهزها، وكان في قلبه كامن
سخيمة فابرزها، فجاء الى قرايلوك، ووقف في خدمته
كالمملوك، وقال اعيذ عالم عقلك ان يزل، ودليل فهمك
ان يضل، ومصيب رايك ان يصاب، وجميل فكرك ان
يعاب، قد امكنك الله من العدو، واني لك مع هذا سكون
وهدو،

قلت شعر

ما الدهر الا ساعة وتنقضي • والمرء فيها حازم او نادم
فلئن ابقيته عليه لا يبقي عليك • ولئن نظرت اليه بعين الرحمة فالله
لا ينظر اليك • فانه رجل غبي • وبانواع المكر واصناف الخديعة
عيي • عسر القياد وابيك لا ينجح فيه الخير والبر • وحسبك والعياذ
بالله مكانه منك • الا ان يرق لك او يصفح عنك • هيهات هذا
والله محال • فقد وقع لك مجال • في كل اوان يسمح بالمراد
الزمان • والدهر فرص • واكثره غصص • فاياك ان تفوت
الفرصة • فتقع في الغصة واي غصة • ولا ينفعك الندم •
اذا زلت بك القدم • وتفكر فيما اقول • واستنبط دليل هذه
المسئلة من المعقول • واستبق شرفك الرفيع باراقة دمه • وحسن
استار حرمك بابتذال حرمه • وتذكر يا امير امور قابوس بن
وشمكير • ولا زال ذلك الشيطان يحسن له الراي في قتل السلطان
ويقول هذا الراي انفع لك وعليك اعود • كما فعل بسطام
امير الكرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان احمد • فرجع قرايلوك
عن رايه لما اخذ عهوده • فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف
رحمه الله • وكان قتل قرا يوسف السلطان احمد بن الشيخ اويس
في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة
وكان السلطان رحمه الله كما ذكرناه • عالما فاضلا كريما متفضلا
محققا في التقرير • مدققا في التحرير • قريبا من الناس • مع كونه
شديد الباس • رقيق الحاشية اديبا • شاعرا ظريفا لبيبا •
اريبا • جوادا مقداما • قرما هماما • تهاب الدنيا وقهابها •
يهب الالوف ولن بها • يحب العلما ويجالسهم • ويدني الفقرا
ويجالسهم • قد جعل يوم الاثنين والخميس والجمعة للعلماء
وحفاظ القران خاصة • لا يدخل عليه معهم غيرهم من تلك الايام
الخاصه • وكان قد اقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه • وتاب

الى الله تعالى ورجع اليه • وله مصنفات منها الترجيح على التلويح •
وكان عنده نديم للفضل حريز • بغدادي الاصل يدعى عبد العزيز •
وكان اعجوبة الزمان • وفي لطايف النثر والنظم فارسيا وعربيا
اطروفة الدوران • سرقه من بغداد من السلطان احمد بن الشيخ
اويس • فكان عنده راس ندمائه وعين اهل الفضل والكيس •
والقاضي كان يربي الفضلا • متطلعا من كل جهة الادبا والشعراء •
وكان اهل الفضل والادب يفدون عليه من كل فج • حتى صار مقامه •
كعبة الحاج لا كعبة الحج وصورة سرقته له انه لما سمع باوصافه
احبه • فاراد قربه • فالتمسه من مخدومه • فلم تسمح نفس السلطان
احمد بمفارقة نديمه • ثم احتشى من القاضي رعبه • وخاف لشدة
دهيه هربه • فوصى به وحرج عليه • واقام له معقبات يحفظونه
من خلفه ومن بين يديه • فارسل القاضي اليه رسولا ذكيا • فناداه
نداء خفيا • واجزل له العطية • ووعده مواعيد سنية
وفرق ما بين السلطانين من الحسن والقبح • كفرق ما بين البحرين •
من العذب والملح • والملوين المساء والصبح • فلبى دعوته
بالقبول • وواعده للخروج بعض القفول • ثم خرج ولصحب الحرس
قد رقد • والسلطان احمد عند الحريم قد رقد • ووضع ثيابه
على ساحل دجلة • ووجه الى داخل النهر في الطين رجله • ثم غاص
في الماء ومخر • وخرج من مكان آخر • ولحق برفقائه • واختفى
بينهم اختفاء اليربوع في نافقائه • فطلبه السلطان احمد •
ففتشوا عليه فلم يوجد • فبالغوا في طلابه • الى ان وقفوا على
ثيابه • وراوا آثار رجليه في الطين • فلم يشكوا ان الموج اختطفه
فكان من المغرقين • فكفوا قدم السعي عن طلبه • ولم يضيقوا
على احد بسببه • ثم بعد ايام يسيرة • اخرج عزيز بغداد
راسه بسيواس عند القاضي برهان الدين من تحت الحصيرة • ففرقه

في اجر نواله، واسبغ عليه ذيل كرمه وافضاله، فصار عنده
مقدما، ولديه مبجلا معظما، ألّف له تاريخا بديعا، سلك
فيه مهيعا رفيعا، وانتهج منهجا منيعا، ذكر فيه من بدو امره
الى قرب وفاته، مع مواقعه ووقايعه ومصافاته، ووشحه
بظريف كناياته، ولطيف استعاراته، وفصيح لغاته، وبليغ
كلماته، ورشيق اشاراته، ودقيق عباراته، مدّ فيه عنان
اللسان، وهو موجود في ممالك قرمان، في اربع مجلدات ذكر
ذلك لي من غاص بحره، واستخرج دره، ووقف على تاريخ العتبي
في اليميني السلطان محمود بن سبكتكين، وانّ هذا احسن من
ذلك اسلوبا، واغزر ينبوعا، واعذب مشروبا، مع اني لم
اقف عليها، ولا وصلت لقصر الباع اليها، ثم ان الشيخ عبد العزيز
هذا بعد لحيث هذه النائرة، انتقل الى القاهرة، ولم يبرح على
الابراح، ومعاقرة راح الاتراح، حتى خامرته نشاة الوجد
فصاح، وتردى من سطح عال فطاح، ومات منكسرا ميتة
صاحب الصحاح، والله اعلم

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين بعد قتل قرايلوك السلطان برهان الدين

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يصلح للرياسه،
وينفذ احكام السلطنة والسياسه، فرجع قرايلوك الى سيواس
ودعا الى نفسه الناس، فلم يجيبوه، ولعنوه وسبوه، فاخذ
يحاصرهم ويناكدهم، ويضيق عليهم ويعاندهم، فاستنجدوا عليه
التتار فامدوهم، واتت طايفة منهم فانجدوهم، فكسروا قرايلوك
فنفروا، واستنجدوا طوايفهم وكروا، واقبلوا بالقض والقضيض
وملأوا البقاع والحضيض، فلم يكن لقرايلوك على جنة قتالهم
طوق، فدخل عليهم من تحت وجاءهم من فوق، وتوجه الى تيمور

وكان

وكان بحر جيشه في اذربيجان يمور، وقبّل يديه، وانتمى اليه، وجعل
يناديه الى هذه البلاد ويدعو، كما فعل معه الامير ايدكو، فخاله
في الدبره، فاجابه اجابة برصيصا بامره،

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس الى من يسلكون ومن يملكون

ثم ان اهل سيواس والاعيان من رؤسائها والاكياس، تشاوروا
فيمن يملكون قيادهم، والى من يسلمون بلادهم، لسلطان مصر
ام لابن قرمان، ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان، ثم اتفق
رايهم السديد، على المرحوم يلدريم بايزيد، فارسلوا اليه قاصدا
واستنهضوه اليهم وافدا، وانشدوه، وقد استنجدوه

وكم ابصرت من حسن ولكن … عليك من الورى وقع اختياري

فتوجه من ساعته اليهم، وقدم بالعساكر والجنود عليهم، ومهّد
القواعد والاركان، وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان، واضاف
اليه خمسة انفار، من امرائه الكبار، يعقوب بن اورانبس وحمزة بن
عجار، وفوج علي ومصطفى ودوادار، واستمال خواطر الاعيان،
وتوجه الى ارزنجان، فهرب منها طهرتن المذكور، وقصد في
انهزامه تيمور، فاستولى ابن عثمان، على مدينة ارزنجان
واخذ اموال طهرتن وذخايره وحرمه، ومكّن منهن سواسه
وغلمانه وخدمه، ورجع بالاموال والحمول، واشتغل
بمحاصرة استنبول،

فصل

فتنة قرايلوك وطهرتن من تيمور نايم الفتن، وان كان التحرك
منه في الفساد ما سكن، حتى توجه الى هذه البلاد، وعم فساده
البلاد والعباد، فوصلوا الى ارزنجان وارذن، ثم ارتحلوا

وتركوا مفسد بن ماردين، فعصي عليه الملك الطاهر، لما كان فاساه
اولا من طاعة ذلك الغادر، فندم على اطلاقه اول مره، كما سيندم
يوم القيامة ولم تنفعه الندامة والحسره، وكان ذلك في سنة
اثنين وثمانمائه، والخلف قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية
والحجاز الي كل فئة، وتفرقت اراؤهم ايادي سبا، ومالت اهواء كل
منهم الي دبور وشمال وصبا، واهملوا امور الرعايا، وغفلوا عن
حلول الرزايا،

قلت شعر

من يهمل الاعداء ويامن كيدهم ✽ مثل النووم وراءه مستيقظ

قلت شعر

والصل ليس له دليل سايرا ✽ نحو الذي يبغي كنوم الحارس

ثم قتل هو وتمنم ملك الامراء بالشام المحروس، اعيان الامراء والاعلام،
الروس في شهر رمضان من العام المذكور، وبيان هذه الامور،
في كتب التواريخ مسطور،

قلت شعر

واذا العرين تصرعت اساده ✽ عوت الثعالب فيه آمنة الردي

ذكر قصد ذلك الغدار سيواس وما يليها من هذه الديار

ثم ان تيمور وجه عنان الباس، نحو مدينة سيواس، وبها كان ذكر
امير سليمان، ابن بايزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان، فارسل يخبر
اباه بهذا الامر المهول، ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر
استنبول، فلم يطق ان يمد اليه يدا، لاحتياجه الي المدد ولبعد
المدي، فاستحضر من جنده اهل المنعه، وحصن المدينة
والقلعة، واستعد للقتال واستعد للحصار، وفرق رؤس
امرائه على ابدان الاسوار، وجهز تيمور من جيشه العيون
ليتحقق ما هو عنده مظنون، ولما كشف جيوشه لامير سليمان
زنتها، فر لما ان راي عينها، فعزم على التوجه الي ابيه، واشترط

ح

مع امرائه وذويه، انهم يحفظون له البلاد، ريثما يجهز لهم العدد
والعدد، فلم يسعهم الا الموافقه، والتخلف وعدم المرافقه،
فرام لنفسه الخلاص، وافلت وله حصاص، فوصل اليها تيمور
بتلك السيول الطاميه، سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين
وثمانمائه، ولما احل بسيواس حله الشومي، قال انا فاتح هذه
المدينة في ثمانية عشر يوما، ثم اقام في محاصرتها على امانة الحشر،
وفتحها في اليوم الثامن عشر، بعدما عثي فيها وعاث، وذلك يوم
الخميس خامس المحرم سنة ثلاث، وبعد ان حلف للمقاتلة
ان لا يريق دمهم، وان يرعى ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم، ولما
فرغت المقاتلة، واستمكن من المقاتلة، ربطهم في الوثاق سربا،
وحفر لهم في الارض سربا، والقاهم احياء في تلك الاخاديد، كما
القي في قليب بدر الصناديد، وعدد من القي في تلك الحفر كان
ثلاثة الاف نفر، ثم اطلق عنان النهب، واتم النهب الامر
والخراب، وكانت هذه المدينة من اظرف الامصار، في احسن
الاقطار، ذات عمائر مكينة، واماكن حصينة، ومآثر مشهوده
ومشاهد للخير معهوده، ماؤها رائق، وهواؤها للامزجة
موافق، وسكانها من احشم الخلائق، يتعانون التوقير والاحتشام
ويتعاطون اسباب التكلف والاحترام، وهي متاخمة ثلاث
تخوم، الشام واذربيجان والروم، واما الان فقد حلت بها
الغير، وتفرق اهلها شذر مذر، وانمحت مراسم نقوشها، فهي
خاوية على عروشها

ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام من غمام الغرام على فرق ممالك الشام

ولما استنقي سيواس لحما ونقيا، واستوفاها حصدا ورعيا
فوق سهام الانتقام، الي نحو ممالك الشام، بجنود ان قيل

كالجراد المنتشر، فالجراد كان من أعوانها، أو كالسيل المنهمر، فسيل
الدماء جار من فرندها وخرصانها، أو كالفراش المبثوث
فالفراش يحترق عند تطاير سهامها، أو كالقطر الهامي فالديم
تضمحل عند انعقاد قتامها، رجال توران، وأبطال إيران
ونمور تركستان، وببور بلخشان، وصقور الدشت
والخطا، ونسور المغول، وكواسر الجتا، وأفاعي خجند، وثعابين
اندكان، وهوام خوارزم، وجوارح جرجان، وعقبان
صغانيان، وضواري حصار شادمان، وفوارس فارس
وأسود خراسان، وضباع الجبل، وليوث مازندران، وسباع
الجبال، وتماسيح رستمدار وطالقان، وأصلال قبائل خوز وكرمان
، وطلس أرباب طيالسة أصبهان، وذئاب الري وغزني وهمذان
، وأفيال الهند والسند وملتان، وكباش ولايات اللور،
وثيران شواهق الغور، وعقارب شهرزور، وجرذان عسكر
مكرم وجنديسابور،

شعر

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم / طاروا إليه زرافات ووحدانا

مع ما أضيف إليهم من أغيار الخدم، وفراعل التراكمة والأوباش
والحشم، وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم، وحفالة عباد
الأوثان، وأنجاس مجوس الأمم، ما لا يكتنفه ديوان، ولا يحيط به
دفتر حسبان، وبالجملة فإنه الدجال ومعه يأجوج ومأجوج
والرياح العقيمة الهوج، فتوجه والنصر قائده، والسعد
رائده، والقضاء موافقه، والقدر مساعده، ومشيئة الله
تعالى سابقته، وإرادة الله عز وجل في تدمير العباد والبلاد
سائقته، فبلغ خبره البلاد الشامية، واتصل ذلك بالديار
المصرية، فورد مرسوم شريف إلى نائب الشام، وسائر النواب
والحكام، وغزاة الدين وكماة الإسلام، أن يتوجهوا إلى حلب،

ويقيموا

ويقيموا عليه الحلب، ويجتهدوا في دفعه، ويتعاونوا على منعه،
فتجهز نائب الشام سيدي سودون مع النواب والعساكر، ورحلوا
إلى حلب سنة ثلاث وثمانمائة في شهر صفر، ووصل تيمور إلى
بهسنا، فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا، وحاصر قلعتها ثلاثة
وعشرين ليلة، فأخذها ولكن كف عنها للطيفة ربانية تنوره
ودبله، ثم وطئ مدينة ملطية فأبادها، وذلل أطوادها، ثم
حل كعبه المشؤوم، بقلعة الروم، وكان نائبها الناصري محمد بن موسى
ابن شهري، وسنذكر ما جرى له معه مشبعا، وكيف اجتهد في
مجاهدته وسعى، فأقام بها يوما، فلم يتسنى له روما، ولم يحتفل
لها بحصار وصياح، وقال هي أهون علي من نبالة على الحجاج،
وذلك أنه لما رآها من بعيد، قال فيها ما قاله من لم يصل إلى
العناقيد، والحق أنه لما رآها، قال إن الله لما بناها، ادخرها
لنفسه واصطفاها، ثم انجاب ذلك السحاب، إلى عين تاب،
وكان نائبها أركماس، رجلا شديد البأس، فحصنها واستعد،
وباشر القتال بنفسه واستبد، ثم خرج فهرب إلى حلب، فلم
يرسل وراءه الطلب،

ذكر ما أرسل من كتاب وشنيع خطاب إلى النواب بحلب وهو في عين تاب

ثم أرسل إلى النواب، قاصده وهو في عين تاب، وصحبته
مرسوم، بأنواع التجبر موسوم، وبأصناف التهويل مرقوم،
ومن جملته أن يطيعوا أوامره، ويكفوا عن القتال والمشاجرة،
ويخطبوا باسم محمود خان، وباسم الأمير الكبير تيمور كوركان،
ويرسلوا إليه أطلمش الذي كان عنده قجان، واقتنصه
التركمان، وأرسله إلى مصر لحضرة السلطان، وأطلمش هذا

زوج بنت اخت تيمور، وكان جاء الي الشام قبل وقوع هذه الشرور،
وفيما بين ذلك امور، كان لها بطون فصار لها ظهور، وكان
اولا في مصر محبوسا، ونال ضرًا وبوسا، ثم صار معززًا
مكرما، معظمًا مقدما، وكان تيمور عليه مغضبا، وجعل
ذلك حجة للمعاداة وسببا، ثم شرع يقول، وهو يجول،
في ميدان هذه الرسالة ويصول، انه هو اولي بسياسة
الانام، وان من نصبه هو الخليفة والامام، وانه ينبغي ان
يكون هو المتبوع والمطاع، وما سواه من ملوك الارض له
خدام واتباع، واني لغيره درية الرياسة، وكيف تعرف الجراكسة
طرق السياسة، مع كثير من التهويل، والحشو والتطويل، وكان
يعلم ان اجابتهم سؤاله محال، وانه طلب منهم ما لا ينال، ولكن
قصد بذلك قرع باب الجدال، وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات
القتال، فلم يجيبوه بالمقال، ولكنهم قضوا مراده بالفعال،
ولم يلتفت سيدي سودون لا يقول، وضرب على رغم الاشهاد
عنق الرسول، واستعد للمبادرة، واستنهدوا للمناجزة،

ذكر ما تشاور عليه النواب وهم في حلب وتيمور في عين تاب

ثم ان النواب والامراء، ورؤس الاجناد والكبراء، تشاوروا
كيف يكافحونه، وفي اي ميدان يناطحونه، فقال بعضهم عندي
الراي الاسد، ان نحصن البلد، ونكون على اسوارها بالرصد،
نحرس بروج افلاكها، حراسة السما باملاكها، فان راينا حوالها
من شياطين العدو واحدا، ارسلنا عليه من رجوم السهام رجما
الكاحل شهابا رصدا، وقال اخر هذا عين الحصر، وعلامة
العجز والكسر، بل نخلق حوالها، ونمنع العدو ان يصل اليها،
ويكون ذلك افسح للمجال، واشرح للجدال، ثم ذكر كل من اوليته

ماعن

ماعن له في ذلك، وخلطوا غث القول بسمينه، وساقوا هجان
الراي مع هجينه، فقال الملك المؤيد شيخ الخاصكي وكان ذا راي
مسدد، وهو اذ ذاك نائب طرابلس يا معشر الاصحاب، واسود
الحرب وفوارس الضراب، اعلموا ان امركم خطر، وعدوكم اعز
عسر، داهية دهياء، معضلة عضلاء، جنده تقيل
وفكره وبيل، ومصابه عن محض طويل، فخذوا حذركم، واعملوا
في دفعه محض الحيلة فكركم، فان صائب الافكار، يفعل ما لا يفعله
الصارم البتار، ومشاورة الاذكياء مقدحة الفكر، ومباحثة
العلماء مقدمة النظر، ان هذا البحر ما بحلة بر، وجيشه
عددا كالقطر والذر، وهو وان كان كالوابل الصيب، لكنه
اعمى لانه في بلادنا غريب، فعندي الراي الصائب، ان نحصن
المدينة من كل جانب، ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد،
وكلنا له مراقب مراصد، ثم نحفر حولنا خنادق، ونجعل اسوارها
البيادق والبوارق، ونطير الي الافاق اجنحة البطايق،
الي الاعراب والاكراد، والتراكمة ومعاشر البلاد، فيتسلطون
عليه من الجوانب، ويثب عليه كل راجل وراكب، ويصير ما بين
قاتل وناهب، وخاطف وسالب، فان اقام وانى له ذلك ففي
شر مقام، وان تقدم الينا صافحناه بسواعد الاسنة واكف
الدرق وانامل السهام، وان رجع وهو المرام رجع بخيبه،
واقيمت لنا عند سلطاننا الحرمة والهيبه، وان كان بسلطانه
علينا عرج، فلنا بحمد الله سلطان وفي سلطاننا فرج، واقل
الاشياء ان نماده ونتحرز من جنده، فعسي الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده، وهذا الراي الاسد بعينه كان راي شاه
منصور الاسد، فقال تمرداش وهو نائب المدينة، ما هذه
الاراء مكينه، ولا هذه الافكار رصينه، بل المناضلة خير

من المطاولة والمناجزة، في هذه المواطن قبل المحاجزة، ومقام
المنازلة لا تجدي فيه المغازلة، ولكل مقام مقالة، ولكل مجال
جدال، وهذا طير في قفص، وصيد مقتنص، فاغتنموا فيه
الفرص، وناوشوه بالحرب، وسابقوه بالطعن والضرب،
لئلا يتوهم فينا الخور، ويستنشق من ركودنا عرف الظفر
فاجمعوا امركم واعجلوا، ولا تنازعوا فتفشلوا، وانهضوا
وثابروا، واصبروا وصابروا، فانتم بحمد الله اهل النجدة، واولو
الباس والشدة، وكل منكم في فقه المناضلة مغن ومختار،
وعلمه في افاضة دماء الاعداء منار، وله في ذلك كفاية، وهداية
ونهاية، وغيره له بداية، وهو لجمع الاسلام كنز واف وجامع كاف
ووقاية، تنحو السنة سيوفكم الى تكليم الرؤس فهي في لفظها كافية
شافية، وتصرف اسنان اسنتكم في مضاعفة كل ذي فعل معتل
فهي في تصريف عللها شافية كافية، فان كسرناه فزنا بالمنالة، وكفى
الله المومنين القتال، وتلك من الله معونة، وقد كفينا عساكر
المصريين المؤنة، وكان ذلك على حرمتنا، واقوى في ورود النصر
لشوكتنا، واذكى لريح نصرنا وازكى، وابكى لعين السخينة
وانكى، وان كانت والعياذ بالله الاخرى، فلا علينا اذا بذلنا
مجهودا واقمنا عذرا، ونجد وما يدرك ثارنا، ويحيي
اثارنا، فتوكلوا على الله العزيز الجبار، واستعدوا لملاقاة
هولاء الاشرار، واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار،
ولا زال تمرداش يحسن لهم هذا الراي اللاش، حتى اجمعوا
عليه، واتفقوا على الخروج اليه، لانه كان صاحب البلد، وكل
كلامه المعول والمعتمد، وكان تمرداش قد خالف الجمهور،
ووافق في الباطن تيمور، وهذه كانت عادته، وعلى المراوغة
جبلت طينته، فانه كان كالشاة العابرة، والمرأة العاهرة

الغايره



الغايره، اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت في احدهما جنانا منه
ومكرا، بل يعبر الى هذا مرة والى هذا اخرى، مع انه كان صورة
بلا معنى، ولفظا بلا فحوى، فاعتمد تيمور عليه، وفوض
الامور اليه، ولذلك عساكر الشام، وجنود الاسلام، ثم
حصنوا المدينة واوصدوا ابوابها، وضيقوا شوارعها
ورحابها، ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها، وفتحوا الابواب
التي تقابل ملتقاه، وهي باب النصر وباب الفرج وباب القناة

ذكر ما صبه من صواعق البغي والبلا
على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب

ثم ان تيمور نقل الركاب، فوصل في سبعة ايام الى حلب من عين
تاب، فحل بذلك الخميس، تاسع شهر ربيع الاول يوم الخميس،
وبرز من ذلك العسكر، طائفة نحوا من الفي نفر، فتقدم لهم
من الاسود الشامية، نحو من ثلاثمائة، فتلقوهم بالصفاح،
وشكوهم بالرماح، فبددوهم وطردوهم، وحدروهم وهبروهم
وشردوهم، ثم اصبحوا يوم الجمعة فبرز من عسكره نحو من خمسة
الاف، الى مصاف الثقاف، فتقدم اليهم طائفة اخرى،
اثناء لا وترى، فالتحم بينهم النطاح، واشتبكت بين
الطائفتين انامل الرماح، فازدحموا واقتحموا، واستدوا
والتحموا، ولا زالت اقلام الخط، في الواح الصدور تخط،
والقضبان الصوارم لرؤس تلك الاقلام والاعلام تقط،
ومشاريط النبال لدماميل الدمال تبط، والارض من ثقال
احمال القتال تئط، حتى جن ليل الظلام والقتام واغطش،
فتراجعوا وقد اعطى الله النصر لمن يشاء، وجرى من دماء
العدو مع فرق نهران، وفقد من العساكر الاسلامية نفران،
ثم اصبحوا يوم السبت حادي عشره وقد تعبت الجنود الشامية

والعساكر الاسلامية السلطانية، بالعدة البالغه، والاهبة
السابغه والخيول المسومه، والرماح المقومه، والاعلام
المعلمه، ولم يغن اولئك الصناديد، سوى شمة من النصر
والتاييد، فنحوا قصده، وقصدوا رده وصده، واقبلت
عساكره، والسعد الميمون طايره، والقضاء موازره، والقدر
مظاهره، بالجنود المذكوره، والجيوش المعهودة المنصوره،
توقهم الاقبال، واقبال القتال، واذا به قد اضمر لهم الويل، وعبى
عساكره تحت جنح الليل، وبثهم فيهم وارسل عليهم وقابلهم بمقدمتهم
وشغلهم باوائلهم، واحاط الباقون بهم فاتوهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم، فمشى عليهم مشي الموسى على الشعر
وسعى سعي الدبا على الزرع الاخضر، وكان هذا الجولان على
قرية حيلان، ولما اهتمش امر الناس وهاش، وحاشت الهوشة
والامتحاش، وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش، فرت
الميمنة وكان راسها تمرداش، فانكسر العسكر وطاش، واخذ
الابطال من الدهشة الارتعاش، وغلبتهم الحيرة والانبهار،
فلم يلبثوا الا ساعة من نهار، ثم ولوا الادبار، وصارت الاقلام
رماحه ظهورهم الزبر، واستمروا امامهم يتواثبون، وعسكره
وراءهم يتخاطبون، بمعنى ما قلت شعر:

جعلنا ظهور القوم في الحرب اوجها ... رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا

فقصدوا المدينة من الباب المفتوح، وهم ما بين مهشوم،
ومجروح، والسيوف تشتمهم، والرماح تدقهم، وقد سالت
بدمائهم الاباطح، ونثر من سائر لحمهم كل كاسر وجارح، فوصلوا
الى باب المدينة وانكبوا، وهجموا فيه اسيلا واحده وتكردسوا،
ولا زال يدوس بعضهم بعضا، حتى صارت العتبة العليا من
الباب ارضا، فانسدت الابواب بالقتلى، ولم يمكن الدخول منها

اصلا

اصلا، فتشتتوا في البلاد، وتفرقوا في المهامه والاطواد، وكسر
باب انطاكية المالك الاغنام، وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام
فوصل فلهم الى دمشق في ابشع صوره، وحكوا في كيفية هذه الوقعة
اشنع سيره، وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا، فضاقت
عليهم الارض بما رحبت فاستامنوا، ونزلوا بواسطة تمرداش
اليه، وقد غسل كل منهم من الحياة يديه، ثم انه مشى على هينته
مع وقاره ورزانته وسكينته، ودخل حلب، ونال منها ما طلب
وفاز بالروح والسلب، ولما نزل النواب اليه، قبض على سيدي
سودون وشيخ علي الخاصكي واما تمرداش فخلع عليه، وقبض
على التونبغا العثماني نائب صفد، وعلى عمر بن الطحان نائب
غزة وجعل الكل في صفد، وشرع في استخلاص الاموال،
وضبط الاثقال والانفال، وقد ملأت القلوب هواجس
هيبته، وانتشر في الافاق شرار صولته، ثم انه لم يكتف بما
ازهقه من النفوس، حتى بنى البادين من الرؤوس، وسبب ذلك
ان ذا قرابة البريدي الذي ارسله الى حلب، وضرب نائب الشام
عنقه وسلبه السلب، ذكر تيمور بقصته، واراد القود من اهل
حلب لذي قرابته، فاجاب سؤاله فمكنه، فيمن يختار منهم
ان يفعل فيه ما استحسنه، فقتل طائفة منهم وبنى من رؤوسهم
كذا وكذا اسيد ناله

زيادة ايضاح لهذه المحنه
مما نقلته من تاريخ ابن الشحنه

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من
عساكر تيمور ثمانمائة الف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة
المسلمين وكان نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه عصى
عليه وكان يخرج للغارات ثم قال ما نصه بحروفه وكان قد ابدع

بجمايع تمرلنك وطراشته مدة اقامته على بهسنا وقتل منهم جماعة
وارسل رؤوسهم الى حلب وكسر يوما ما كان جهزه اليه اقبح كسرة
حتى رمى غالب جماعته بانفسهم في الفراة وجهز تمرلنك كتابه
الى المشار اليه ونصه يقول فيه اني خرجت من اقصى بلاد سمرقند
ولم يقف احد امامي وسائر ملوك البلاد حضروا الي وانت سلطته
على جمايعي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به منهم والان فقد
مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك
فاحضر الينا لنري من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا
عليك وخربنا بلادك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون .
فاستعد لما يحيط بك ان ابيت الحضور فامسك المشار اليه
الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كلام تمرلنك فمشى اليه اوايل
عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم وكسرهم وفي اليوم الثاني
حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالا
شديدا وكانت وقعة عظيمة راى فيها منه تمرلنك شدة حزم
ورجع عن محاربته واخذ في مخادعته وملاطفته وطلب منه
الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لاجل حرمته فلم ينخدع منه
وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد خائبا
واخذ المشار اليه في اواخره قتلا ونهبا واسرا كل ذلك وباب
قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا **وانشد في ذلك الحال**

هذا الامير الذي صحت مناقبه ... ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره
ولى تمرلنك مكسورا اوايله ... منه مرارا ومذعورا اواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك
واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والاخلاص
والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضي الله عنها

ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك
حلب وكان نائبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد
الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدي سودون وعسكر طرابلس
مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماة مع نائبها المقر
السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت اراؤهم فمن
قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا
ظاهر البلد لتلقاء العدو بالخيام فلما راى المقر السيفي اختلافهم
اذن لاهل حلب في اخلائها والتوجه حيث شاؤوا وكان نعم الراي
فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد لتلقاء العدو
وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه
ويوم الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم
السبت حادي عشر شهر ربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه
وقبيلته فولى المسلمون نحو المدينة وازدحموا في الابواب ومات
منهم خلق عظيم والعدو وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك
حلب عنوة بالسيف وصعد نواب المملكة وخواص الناس الى
القلعة وكان اهل حلب قد جعلوا غالب اموالهم فيها وفي يوم
رابع عشر شهر ربيع الاول اخذ القلعة بالامان والايمان التي ليس
معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها واخر النهار طلب علماءها وقضاتها
فحضرنا اليه ووقفنا ساعة ثم امر بجلوسنا وطلب من معه من اهل العلم
فقال لاميرهم عنده وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين
الحنفي والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم اني سائلهم
عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارا وهراة وسائر البلاد
التي افتتحتها فلم يفصحوا عن جواب فلا تكونوا مثلهم ولا
يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم فاني خالطت
العلماء ولي بهم اختصاص والفة ولي في العلم طلب قديم وكان

بلغنا عنه انه يتعنت العلما في الاسئلة ويجعل ذلك سببا
لقتلهم او تعذيبهم فقال القاضي شرف الدين موسى الانصاري
الشافعي عني هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه
والله المستعان فقال لي عبد الجبار سلطانا يقول انه بالامس
قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم فوجم الجميع وقلنا
في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت القوم
ففتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سوال سئل عنه
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما
اجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي
القاضي شرف الدين موسى الانصاري بعد ان انقضت الحادثة
والله العظيم لما قلت هذا سوال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم واجاب عنه وانا محدث زماني قلت هذا عالمنا قد اختل
عقله وهو معذور فان هذا سوال لا يمكن الجواب عنه في هذا
المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والتفت تمرلنك الي
سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت جاء اعرابي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل
يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة
الله هي العليا فهو الشهيد ثم قال تمرلنك خوب خوب وقال عبد
الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف
آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم
والعراق والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه
النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل احدا فقال والله اني لا اقتل
احدا قصدا وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل

احدا

احدا منكم وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه
والاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى
الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين يهاهم ويقول
لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان
اخر ما سال عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فاسر الي
القاضي شرف الدين وكان الى جانبي انظر كيف تجاوبه فانه
شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين
القفصي المالكي كلاما معناه انهم الكل مجتهدون فغضب لذلك
غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق
وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين
فاخذت في ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه اجاب بشيء وجده
في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ
عبد الجبار يسالني ويسال القاضي شرف الدين فقال عني هذا
عالم مليح وعن شرف الدين وهذا رجل فصيح فسالني تمرلنك عن
عمري فقلت مولدي سنة تسع واربعين وسبعمائة وقد
بلغت الآن اربعا وخمسين سنة فقال للقاضي شرف الدين
وانت كم عمرك فقال انا اكبر منه بسنة فقال تمرلنك انتم في عمر
اولادي انا عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت
صلاة المغرب واقيمت الصلاة وامنا عبد الجبار وصلى
تمرلنك الى جانبي قائما يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني
غدر بكل من في القلعة واخذ جميع ما كان فيها من الاموال
والاقمشة والامتعة ما لا يحصى اخبرني بعض كتابه انه لم
يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعة وعوقب
غالب المسلمين بانواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة ما بين
مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تمرلنك من القلعة

وأتى لدار النيابة وصنع وليمة على زي المغل ووقف سائر الملوك
والنوابين في خدمته وأدار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقاب
وعذاب وسبي وقتل وأسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في
هدم وحرق وتخريب ونبش إلى أواخر شهر ربيع الأول ثم
طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين وأعاد السؤال عن علي ومعاوية
فقلت له لا شك أن الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفا
فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الخلافة بعدي
ثلاثون سنة وقد تمت بعلي فقال تمرلنك قل علي على الحق ومعوية
ظالم قلت قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة
الجور فإن كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضا من معوية
وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الأمراء الذين
عينهم للإقامة بحلب وقال إن هذين الرجلين نزول عندكم بحلب
فأحسنوا إليهما وإلى أتباعهما وأصحابهما ومن ينضم إليهما ولا
تمكنوا أحدا من أذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة
بل اجعلوا إقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي تجاه القلعة
ففعلوا ما أوصاهم به إلا أنهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي
ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى الأمير موسى بن حاجي طغاي إني
أخاف عليكما والذي فهمته من سياق كلام تمرلنك أنه إذا أمر بسوء
فعل بسرعة ولا يحيد عنه وإذا أمر بخير فالأمر فيه لين ولينه وفي
أول يوم من ربيع الآخر برز إلى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق
وثاني يوم أرسل يطلب علماء البلد فرحنا إليه والمسلمون في أمر
مريج وقطع رؤوس فقلنا ما الخبر فقيل إن تمرلنك أرسل يطلب من
عسكره رؤوسا من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي
أخذها فلما وصلنا إليه جاءنا شخص من علمائه فقال له المولى عمر
فسألناه عن طلبنا فقال يريد يستفتيكم في قتل نائب دمشق الذي

قتل

قتل رسوله فقلت هذه رؤوس المسلمين تقطع وتحضر إليه بغير
استفتاء وهو حلف أن لا يقتل منا أحدا قصدا فعاد إليه ونحن
ننظره وبين يديه لحم سليق في طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم
جاء إلينا شخص يشتري من ذلك اللحم فلم نفرغ من أكله إلا ورمحت
قائمة وتمرلنك صوته عال وسأل شخص هكذا وآخر هكذا وجانا
أمير بعده ويقول إن سلطاننا لم يأمر بإحضار رؤوس المسلمين
وإنما أمر بقطع رؤوس القتلى وأن يجعل منها قبرا إقامة لحرمته على
جاري عادته فتوهموا منه غير ما أراد وإنه قد أطلقكم فامضوا حيث
شئتم وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا إلى
القلعة ورأينا المصلحة في الإقامة بها وأخذ الأمير موسى أحسن
الله إليه في الإحسان إلينا وقبول شفاعتنا وتفقد أحوالنا مدة
إقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا الأخبار أن سلطان المسلمين الملك
الناصر فرج قد نزل إلى دمشق وانكسر تمرلنك ومرة تجيء بالعكس
إلى أن انجلت القضية عن توجه السلطان إلى مصر بعد أن قاتل مع
تمرلنك قتالا عظيما أشرف تمرلنك منه على الكسر والهزيمة وإنما
حصل من بعض أمرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه آخذا بالحزم
ودخل تمرلنك إلى دمشق ونهبها وأحرقها وفعل فيها فوق ما فعل
بحلب ولم يدخل طرابلس بل أحضر له منها مال ولا جاوز فلسطين
وعاد نحو حلب راجعا طالبا بلاده ولما كان سابع عشر شعبان
من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدا من الشام إلى الجبول شرقي
حلب ولم يدخلها بل أمر المقيمين بها من جهته بتخريبها وإحراق
المدينة ففعلوا وطلبني الأمير عز الدين وكان من أكبر أمرائه
وقال إن الأمير رسم بإطلاقك وإطلاق من معك فاطلب من شئت
ولكن لا نروح معكم إلى المشهد الحسين وأقيم عندكم حتى لا يبقى
من عسكرنا أحد وكان القاضي شرف الدين لا يفارقني فطلبنا

باقي القضاة واجتمع معنا مخوص الغي مسلم وتوجهنا الي مشهد
الحسين صحبة المشار اليه واقمنا ننظر الي التاروملي فتضرمت في
ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق لها احد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا
فاستوحشنا وما قدرنا علي الاقامة بها من النتن والوحشة
ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك

شعر

كان لم يكن بين الحجون الي الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت نواب بلاد الشام معه ماسورين وانفلتوا اولا
باول ومات سودون بالبطن معه في قبة يلبغا واستقر في نيابة
دمشق تنكري وردي والله اعلم هذا ما نقلته من كلام ابن
الشحنة كما وجدته

ذكر ورود هذا الخبر الذي اقلق
ووصول استنبغا الدوادار وعبد القصار الي جلق

فورد من حلب استنبغا الدوادار والفتح الماهر المدعو بعبد
القصار وقالا معاشر المسلمين الترك مما لا يطاق من شين
المرسلين من يقتدر على حله فليطلب لنفسه طريق النجاه
ومن اطاق ان يشمر ذيله فلا يبيتن في دمشق ليله ولا يغالط
نفسه بالمداهنه فليس الخبر كالمعاينه فتفرقت الاراء
واختلفت الاهواء وماج امر الناس موجا وتفرقوا كما هو
دابهم فوجا فوجا فبعض الناس انتصح وجهز امره واستراح
وبعضهم كابر واصر وكشف نيابة لاستنبغا وعبد القصار
واهر واراد ارجم هذين الناصحين وان يسقوهما كاس
حين وقالوا انما اردتما بذلك تبديد الناس وتشريدهم
واجلاءهم عن اوطانهم وتجريدهم وتعويق كلفهم وتمزيق
جلدتهم والا فالامر حاصل والسلطان بجند الله واصل
والنواب في حلب كانوا شرذمة قليله ولم يتم لهم معه الفكر

والحيل

والحيل مع انه حصل من بعضهم مخامره ولم يوجد من الباقين
مناصحة ومظاهره ولم يكن لهم راس فلا تاخذوا في هذه المسئلة
بالقياس واما عساكر مصر فانهم كاملوا العده وسابغوا
العده وفيهم للمسلمين فرج بعد الشده فما الاخر بعد التشيا
والتي من شره سلمنا وما شهدنا الا بما علمنا وكل منا انصح
عما ادى اليه اجتهاده وابان ووالله انه في نصيحة المسلمين
الذين لا يعرفان وقد نصحناكم ان كنتم مفلحين ولكن لا تحبون
الناصحين واستمر امر الناس في الترديد والتشاغب والتفرق
والتبديد والتشاغب فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه
وتوجه بعض الى الديار المصريه وبعض تشبث باذيال الحروف
العاصيه وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة الخافيه

ذكر خروج السلطان الملك الناصر
من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر

ثم ان السلطان خرج من غير توان وتوجه بالعسكر والاستعداد
التام الي جهة بلاد الشام فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم
وزال استيحاشهم ورد غالب من كان برح منهم وانفرج الكرب
والضيق عنهم واما اولوا العزم وذووا الراي السديد
والحزم فلم يلتفتوا الي قدوم السلطان بل طلبوا لانفسهم
الامان وانتظروا ما يتولد من حادثات الزمان وكان انامل
الدهر الدائر كتبت لهم علي مراة الخاطر ما انشده الشاعر

شعر

الا انما الايام ابناء واحد وهذي الليالي كلها اخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

وقلت شعر

ان اختفى ما في الزمان الاتي لم يقس علي الماضي من الاوقات

فصل

ولما نجز تيمور امر حلب، ضبط اثقالها وما اخذ منها من مال
وسلب، ووضعه في القلعه، ووكل به بعض امرائه من ذوي
الشجاعة والمنعه، وهو الامير موسى بن حاجي طغاي،
وكان ذا عزم شديد وراي، وتوجه بذلك البحر الطام،
غرة شهر ربيع الاخر الى جهة الشام، فوصل الى حماه، ونهب
ما حوت يداه، ولم يحتفل بامر نهب واسير، ولا باسراع في
مسير، بل سار رويدا، وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا،

حكاية

رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في اوايل شهر ربيع الاول سنة
تسع وثلاثين وثمانمائة عند وصولنا الى حماه بالجامع النوري
بها من الجانب الشرقي على حائطه القبلي نقشا على رخامة بالفارسي
ما ترجمته، وسبب تصوير هذا التسطير، هو ان الله تعالى
يسر لنا فتح البلاد، حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق
وبغداد، فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا
بانواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك،
وكان قصدنا بذلك ان تنعقد المودة بين الجانبين، وتتأكد
الصداقة من الطرفين، ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض
التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم الى سلطان مصر برقوق
فسجنهم وضيق عليهم، فلزم من هذا انا توجهنا لاستخلاص
متعلقينا من ايدي مخالفينا، واتفق لذلك نزولنا بحماه في
العشرين من شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وثمانمائة

فصل

ثم وصل الى حمص فلم يتعرض لها بالتشتيت والتبديد، ووهبها
لسيدي خالد بن الوليد، فقلت بديها شعر

الا

الا لا تجاور سوى الخيرين حيا ۞ وكن جارهم في القبور
الم تر حمص وسكانها ۞ نجوا من بحار بلايا تمور
لانهم جاوروا خالدا ۞ ومن جاور الاتقيا لا يبور

وخرج اليه شخص من احاد الناس، يدعى عمر بن الرواس،
واستجلب خاطره، وكانه قدم اليه تقدمة فاخره، فولاه امور
البلاد، وركن اليه واعتمد، وولى قضاء تلك البلاد، رئيسا
يسمى شمس الدين بن الحداد، ونادى بالامان للقاصي والداني،
وتبايعوا بها وتشاروا، وفي استفادة ربح الامن لم يتماروا، ثم
ان نائب الشام ضعف معه ومات على فتنة يلبغا، ونائب
طرابلس هرب منه وللخلاص ابتغى، فوصل الى مدينته،
واستقر في ولايته، فاضطرم غضبا، واستشاط لهبا،
واشتعل قيظ غيظه، وقتل كل من وكله بحفظه، واسعر
بهم سقر، وكانوا ستة عشر، واما تمرداش فانه دارا،
وماري، وهرب منه في قارى، واستمر علاء الدين الطونبغا
العثماني نائب صفد، وزين الدين نائب غزة وغيرهما معه
في صفد، ثم سار وما ارتبك، حتى نزل على بعلبك، فخرج
اهلها ودخلوا عليه، وتراموا طالبين الصلح بين يديه،
فلم يلتفت الى هذا المقال، وارسل فيهم جوارح النهب
والاستيصال، ثم ارتحل مجريا ذلك البحر الزخار، والسيل
التيار، والطوفان الثرثار، حتى اشرف على دمشق من قبة
سيار، ووصلت العساكر المصريه، والجنود الاسلاميه،
وقد ملاوا الفضاء، واشرق الكون منهم واضاء، فبالوا
سهامها تحت قلب من نوى الخلاف فالقه، وصواعق سيوفها
في عقاص كل عقص صاعقه، واسنة رماحها ترقى سماء
الارواح عن ارض الاشباح فاتقه، وقد طلبوا الاطلاب،

وحزبوا الاحزاب، وعبّوا الميمنة والميسرة، ورتّبوا المقدمة
والمؤخرة، وسوّوا القلب والجناح، وملأوا البطاح
والبراح، وساروا بالمقانب الكتيبه، والكتائب المقنبه،
والكواكب المكوكبه، والمراكب الموكبه، والمرانة المقربه،
والمقربات المرتبه، والسلاهب المجنبه، والنجائب التي
هي على اكل اللحم متلهبه، وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم،
ومن النسور القشاعم ..

قلت شعر

ورب ذي لجب كالطود ذي حنق .. كانه البحر في اثناء غاباته
بحران في كل موج منهما اسد .. يلاعب الموت في كفيه حياته
كل يرى العين معناه وصورته .. عند النزال وان ينزل فسطاته
ان يسر تلق السما في الارض دائرة .. او سار تعقد ارضا منه غبراته

وقد تنكبوا احنايا المنايا وتقلدوا سيوف الحتوف واعتقلوا
الذوابل النواهل، وثبتوا حيث نبتوا وكانهم خلقوا من
كواهل الصواهل،

قلت شعر

كان الجوشن الازوردي .. يزركش نسجه قصب الرماح
فان عقد القتام عليه ليلا .. اريك صفاحه لمع الصباح
كان نجومه النشاب ترمي .. شياطين الكفاح لدى النطاح

ولا زالت افواج هذه الامواج، على هذا المنهاج متلاطمه،
وانباح هذا البحر العجاج، تحت العجاج متصادمه، وكل
ينادي بطريق المفهوم، وما منا الا له مقام معلوم، فوصلت
غيلان الوغى، الى قبة يلبغا، يوم الاحد العاشر من شهر
ربيع الاخر، عام ثلاثة وثمانمائة من الهجرة، فنزل كل من
العسكر يمنة ويسرة، واستقرت العساكر والامراء الاسلامية
في البيوت والمساكن، ونزلت الجنود التتاريه غربي
دمشق من داريا والحولة وما يلي تلك الاماكن، ودخل بعض

اثقال السلطان الى البلد، وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح
والعدد، ثم اخذ كل من الجيش حذره، وتخير للمقابلة والمقاتلة
امره، وحفروا الخنادق، وسد كل على الاخر افواه المضايق،
وشرعوا في المهوشة والمناوشه، والمهارشة والمعافشه،
ثم امر السلطان العساكر، بالبروز من المدينة الى الظاهر،
وجعل يخرج من المدينة رؤساء اعيانها، وتنحاز في المقاتلة
الى سلطانها، والاطفال الصغار والرجال، يجأرون الى الجبال،
وينادون بحرقة، كل ليلة في الازقة، يا الله يا رحمن، انصر
مولانا السلطان، والناس في اضطراب وحركات، يستنزلون
النصر والبركات، ويستغيثون الليل والنهار، يا مجاهدون
الاسوار، واستشهد من رؤساء البلد في تلك الايام،
قاضي القضاة برهان الدين الشاذلي المالكي الحاكم بالشام، وقتله
بيد قاضي القضاة شرف الدين عيسى المالكي بضربة حسام، وجعلوا
يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه، وبما غنموا منهم
من ناطق وصامت فيشهرونه ..

ذكر واقعة وقعت ومعركة صدعت لواها نقعت

ثم في بعض الايام، تقدم من اولئك الاغتام، نحو من عشرة
الاف، وزحفوا الى ميدان المصاف، فنهض لهم من العساكر
الشاميه، نحو من خمسمائه، ثم اتبعهم الامير استنباي
في نحو من ثلاثمائه ..

شعر

اسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا .. جبال اذا ارسوا بحار اذا سروا
شموس اذا لاحوا بدور اذا انجلوا .. رياح اذا هبوا غمام اذا همو
صقور اذا انقضوا نمور اذا اسموا .. رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا

مع كل منهم خطار تسجد قدود الملاح لخطرانه، وبتار تتعلم

سفك الدماء من لحظاته ، وحنية تضاهي حاجبه ، وسهام في
تشبهها باجفانه صائبه ، وترس لين اللمس ، اذا تغطى به رايته
البدر على شمس ، وعليه خوذه ، كانها من لمعان وجنته ماخوذه ،
او من بوارق طلعته مفلوذه ، اذا نظر الطرف اليها ياخذه الانبهار ،
يكاد سنا برقها يذهب بالابصار ، ولبوس اشبه لابسه ،
وصار ملابسه ، ظاهره حرير ناعم كبشرته ، وباطنه حديد كقلبه
في قسوته ، وقد امتطوا الخيول ، من نجائب الخيول ، فكان بدور
تلك الجموع ، مع الرماح الملتهبة الاسنة عروس تجلي تحت الشموع ،
وتوجهوا الى حومة الوغى ، وتلاقوا في واد خلف قبة يلبغا ،

فصل

ولا رات هذه الاسود تلك الذئاب والكلاب ، كانوا كالمومنين
وقد راوا الاحزاب ، فان منهم صحيح الضرب وعليله ، وقالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله ، فاحاط اولئك بهولاء الكثرة الغلبه ،
وادار والفرضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبه ، وحين صاروا
في خباء هذه الدائرة كالعروض ، اشتغلوا بالضرب وتقطيع
الدائرة بالحرب العضوض ، فاول ما اضمروهم في ذلك الزحف
قطف الراس وخبل العقل وقطع الكف ، فصلوا بالرمح الطويل
عقلهم ، وثلموا بالرشق المديد شكلهم ، وبتروا بالعضب البسيط
وافرهم ، وشتروا بالسهم السريع كاملهم ، فخذوهم وقصموهم ،
وخرموهم وشعثوهم وثرموهم ، وجبوهم ووقصوهم وعصبوهم
وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم ، فردوا اصدورهم على
الاعجاز ، وسدوا على حقيقة الخلاص منهم المجاز ، فانكشفوا
عنهم وهم ما بين مشطور ومقلوع ومحذوف ، ومجزوء
ومنهوك وموقوف ، ورجع استنباي المشار اليه وقد انقضب
بحربه المتدارك خسيفهم ، واجتث بضربه المتقارب المتماسك ،

تقلهم

ثقيلهم وخفيفهم ، وتسبيغ سوابغهم بالنصر مرفل ، وبالتمكين التام
مذيل ، وبيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل ، وعروضه وضربه
سالم من الزحاف والعلل ،

ذكر ما افتعله سلطان حسين
ابن اخت تيمور من المكر والمين

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور ، اظهر انه خالف على
خاله وجاء الى السلطان وفي باطنه امور ، وكان شابا ذا شجاعه
وعنده طيش ورقاعه ، واظهروا بقدومه الفرح ، واستشعروا
النصر والمرح ، وكان في راسه جمة شعر فازالوه ، وخلعوا عليه
وشي زيهم اظهروه

فصل ٢

ثم ان تيمور اشاع انه خار وتضعضع ، فرحل قليلا ورجع القهقري
وتكعكع ، كل ذلك من مكايده ، وحبائل مصائده ، وبيان ذلك
انه بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيفترقون ،
فيفوتونه اذ ذاك فاظهر الخور ، وشيع انه راحل ليثبتهم ،
وعن الفرار يثبطهم ، فلما عزموا على الفرار ، لم يبن لهم ثبات ولا قرار

ذكر ما نجم من النفاق
بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق

وكان اتابك العساكر ، وكافل الملك الناصر ، الامير الكبير باش
بيك وتحت يده الاكابر والاصاغر ، والجند وان كان مدده
كثيرا ، والجيش وان تراءى عدده غزيرا ، لكن كان كل منهم
اميرا ، ولم يكن شيء منهم سوى الراس صغيرا ، فتشتت
اراؤهم ، وتصادمت اهواؤهم ، وانتقلت اشعار شعارهم
من الدائرة المؤتلفه ، الى الدائرة المختلفه ، ونقل كل منهم عن
وزن بيته الى العاريض ، واخذ في عرض صاحبه بالتعاريض ،



وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن في اختلاف الالسنة والالوان وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع وسلطوا على مرعى هربها النمر الغضوب والسبع وتحقق في سند هذا الحديث الاصاغر بالاكابر والاسافل بالاعالي والاوائل بالاواخر وصاروا كما قال الشاعر

شعر

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها يا رب سلط عليها الذئب والضبعا

وتوجه منهم رؤس الى القاهرة تاركا كل منهم قوته وناصره وصدقوا تيمور في نفيه عنهم معرفة السياسة والدربة في سلوك طرائق الرياسة

فصل

ولما علم الغابرون ما فعله العابرون لم يسعهم غير تشمير الذيل واتباعهم تحت جنح الليل ومن تخلف عن قومه اواخذته سنة او نوم وقع في الشرك وما يوي الى اسفل الدرك وكان الناس في الليل والنهار ملازمين لاقامة على الاسوار وكل قد فرح وابتهج وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج ففي بعض الليالي صعد الناس الى مكان عالي واذا بما كان مخيم السلطان قد ملئت من النيران ولم يعرف احد ما الخبر غير ان الدنيا ملئت بالشر والشرر واصبحوا وقد خلت الديار ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار فخشعت اصواتهم وسكنت حركاتهم فجعلوا ابتها فتون وفيما بينهم يتخافتون وماج الشر واضطرب وقال الناس السلطان هرب فانقصم ظهر الناس وايقنوا حلول الباس وتفاقمت الهموم وتعاظمت الغموم وتقطعت بهم الاسباب وشمل الخلايق انواع العذاب وضاقت الحيل كالصدور وتخبطت الاوامر والامور

فصل

ثم ان تيمور حمله ربه ورحل من مكانه ونزل القبة والقى عصاه ونام مستريحا على قفاه ونادي بمعين ما قلته شعر

الحمد لله

الحمد لله نلنا ما نؤمله والصد ادبر والمامول قد حصلا

وحفر الخنادق حوله وبث في الاطراف رجله وخيله وارسل الطلب وراء من هرب وصار كلما اتي باحد من اجناد الرجال امر بالقائه بين يدي تلك الافيال فتفعل معه الافيال في تلك الفلاه ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكاه

فصل

واما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم لانه نشزه نشوز الغيم وانساب انسياب الايم وتوجه على وادي التيه فانتشرت شياطين تيمور في الارض وملائت الطول والعرض ووصلت طراشتهم الى اطراف البلاد وضواحيها وعامة القرى ونواحيها وجعلوا من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها وتقدموا الى المدينة وكانت كما ذكر بالاهبة حصينة وبانواع الاستعداد مكينة مسدولة الحجاب مغلقة الابواب فتمنع اهلها عليهم ولم يسلموها اليهم رجاء ان يشموا من النجدة الارج او يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج فاستمروا على ذلك نحوا من يومين ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين فكان قدوم السلطان وذهابه بالعساكر كما قال الشاعر

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة فلما راوها اقشعت وتجلت

ذكر خروج الاعيان بعد ذهاب السلطان وطلبهم من تيمور الامان

ولما خانتهم الظنون وعلموا انه حل بهم ريب المنون اجتمع من المدينة الكبراء والموجود من الاعيان والرؤساء وهم قاضي القضاة محي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن

مفلح الحنبلي وقاضي القضاة شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي
والقاضي ناصر الدين محمد بن أبي الطيب كاتب السر والقاضي
شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير وكان منصب الوزارة
إذ ذاك له أبهة ما في الجملة والقاضي شهاب الدين الحسباني
الشافعي والقاضي شهاب الدين إبراهيم بن القوشة الحنفي نائب
الحكم رحمهم الله فأما القاضي الشافعي وهو علاء الدين بن أبي
البقاء فإنه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي برهان
الدين الشاذلي فإنه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الأعيان
وطلبوا منه الأمان بعدما وقع المشاورة منهم والاتفاق
وانتظمت كلمتهم في سلك الوفاق

فصل

ولما أقلع السلطان بفلك عساكره المشحون وقع في بحر العساكر
التيمورية قاضي القضاة ولي الدين ابن خلدون وكان من
أعلام الأعيان وممن قدم مع السلطان فلما قفل السلطان
وانفرك كأنه كان غلا فوقع في الشرك وكان نازلا في المدرسة
العادلية فتوجه هؤلاء الأعيان إليه في تدبير هذه القضية
فوافق فكره فكرهم فملكوه في ذلك أمرهم وما وسعهم إلا
استصحابه معهم وكان مالكي المذهب والمنظر أصمعي
الرواية والخبر فتوجه معهم بعمامة خفيفة وهيئة ظريفة
وبرنس كهو رقيق الحاشية يشبه من دامس الليل الناشية
فقدموه بين أيديهم ورضوا بأقواله وأفعاله لهم وعليهم
وحين دخلوا عليه وقفوا بين يديه واستمروا واقفين
وجلين خائفين حتى سمح بجلوسهم وتسكين نفوسهم ثم
هش إليهم ومر ضاحكا عليهم وجعل يراقب أحوالهم
ويسبر بمسبار عقله أقوالهم وأفعالهم ولما رأى شكل ابن خلدون

لشكلهم

لشكلهم مباينا قال هذا الرجل ليس من هاهنا فانفتح للمقال مجالا
فبسط لسانه وسنذكر ما قال ثم طووا بساط الكلام ونشروا
سماط الطعام فكوموا أتلالا من اللحم السليق ووضعوا أمام
كل ما به يليق وبعض تعفف عن ذلك تنزها وبعض
تشاغل عن الأكل بالحديث ولها وبعض مد يده وأكل وما
جبن في مصاف الالتهام ولا نكل وإلى الأكل أرشدهم وناداهم
وأنشدهم

شعر

كلوا أكل من إن عاش أخبر أهله ... وإن مات يلقى الله وهو بطين

وكان من جملة الآكلين قاضي القضاة ولي الدين وكل ذلك
وتيمور يرمقهم وعينه الخزراء تسترقهم وكان ابن خلدون أيضا
يصوب نحو تيمور الحدق فإذا نظر إليه أطرق وإذا ولى عنه
رمق ثم نادى وقال بصوت عال يا مولانا الأمير الحمد لله
العلي الكبير لقد شرفت بحضوري ملوك الأنام وأحييت
بتواريخي ما ماتت لهم من الأيام ورأيت من ملوك العرب فلانا
وفلانا وحضرت كذا وكذا سلطانا وشهدت مشارق
الأرض ومغاربها وخالطت في كل بقعة أميرها ونائبها ولكن
لله المنة إذ امتد بي زماني ومن الله علي بأن أحياني حتى
رأيت من هو الملك على الحقيقة والمسلك شريعة السلطنة
على الطريقة فإن كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف فطعام
مولانا الأمير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف فاهتز تيمور
عجبا وكاد يرقص طربا وأقبل بوجه الخطاب إليه وعول
في ذلك دون الكل عليه وسأله عن ملوك العرب وأخبارها
وأيام دولتها وآثارها فقص عليه من ذلك ما جذع عقله
وخلبه وجلب لبه وسلبه وكان تيمور في سير الملوك والأمم
أشده وأبا التاريخ شرقا وغربا وأمه وسنذكر هذه

فصل

المعاني، بلديع بيان،
وبينما هم يومًا قاعدون في حضرة ذلك البصير، واذا بالقاضي
صدر الدين المناوي في يديهم اسير، وكان قد تبع السلطان في
الهرب، فادركه في من يسلكون الطلب، فقبضوا عليه واحضروه بين
يديه، واذا هو بعمامة كالبرج، واردانٍ كالخرج، فتخطى الرقاب،
وجلس من غير اذنٍ فوق الاصحاب، فاستشاط تيمور غضبا،
وملأ المجلس لهبا، وانتفخ سحره، وتسجر غيظا نحره، وشخر
ونخر، ومخر بحر حنقه وزخر، وامر طائفة من المعتدين
بالتنكيل بالقاضي صدر الدين، فسحبوه سحب الكلاب، ومزقوا
ما عليه من ثياب، واوسعوه سبا وشتما، واشبعوه ركلا
ولكما، ثم امرهم بتشديد اسره، وتجديد كسره، وترادف
الاساءة اليه، وتضاعف الكسرات على رغم التصريف عليه،
فاخرج اخراج الظالم، يوم يولي مدبرا ماله من الله من عاصم،
ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه، من ترتيب غوائله ودواهيه،
فالبس كلا من هؤلاء الاعيان خلعه، واتى مه عنده في عزة ورفعه،
ثم ردهم منشرحي الصدور، في دعة وسرور، وفي خاطره شرور،
وامور وغرور، فساروا، وقد حاروا

قلت شعر

كالهدي زينه المهدي وعظمه، وعن قريب لضيف الموت اطعمه

وشرط لهم ولده وبهم الامان، على ان يدفعوا اليه اموال السلطان،
وماله وللامراء من اثقال، ومتعلقات واموال، ودواب ومواش،
ومماليك وحواش، ففعلوا ما به امر، ورفعوا اليه ما بطن من ذلك
وما ظهر، فاما القلعة فانها استعدت للحصار، وكان نائبها
يدعى ازدار، فحصنها، وبالاهبة الكاملة مكنها، وانتظر من السلطا
نجدة، او مانعا ربانيا يفرج عنه الشده، فلم يلتفت تيمور في
اول الامر اليها، ولا احتفل بها ولا عرج عليها، بل صرف همته الى

تحصيل

تحصيل الاموال، وتوسيق الاحمال بالاثقال، فلما حصل الثقل،
والى خزائنه انتقل، طرح على المدينة اموال الامان، واستعان
على استخلاصها بهؤلاء الاعيان، واقام عليهم دواوينه وكتبته،
واهل الضبط والحرص من مباشريه وحسبته، وفوض ذلك الى
كفاية الله داد، احد اركان دولته ومن عليه الاعتماد، وهو اخو
سيف الدين المار ذكره في اول الكتاب لأمه، واقام معهم كل جبار عنيد
ومن نشأ في حجر المظالم ورضع ثدي ظلمه، ونادى بالامان
والاطمئنان، وان لا يبغي انسان على انسان، فمد بعض الجغتاي
يده الى الغاره، بعدما سمعوا هذا النداء واشتهاره، فبلغ ذلك
تيمور، فامر بصلبهم في مكانٍ مشهور، فصلبوهم في الحريريين
براس سوق البزوريين، ففرح الناس بهذه الفعله، واملوا
خيره وعدله، وفتحوا من ابواب المدينة الباب الصغير، وشرعوا
يجردون امر المدينة على النقير والقطمير، فوزعوا هذه الاموال
على الحارات، وتنادي اهل الظلم والعدوان من القريب والغريب
بالثارات، وجعلوا دار الذهب مكان المستخلص، وطفقوا
يلقون الناس في ذلك المقنص، وتسلط بعض الناس على
البعض، واصطادوا ارانب الارض بكلاب الارض، وكان فصل
الخريف لجيش مصر قد قفل، وفصل الشتاء بزمهريره لجحافل
تيمور يشير انه على العالم قد نزل، فانتقل الى القصر الابلق،
ثم الى بيت الامير تنخاص، وامر بالقصر ان يهدم ويحرق، ودخل
الى المدينة من الباب الصغير، في جمع كثير، وصلى الجمعة في
جامع بني امية، وقدم الحنفية على الشافعية، وخطب به
قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور، وجرى
ما يطول شرحه من امور وشرور، ووقع بين عبد الجبار بن
النعمان الخوارزمي المعتزلي، وبين علماء الشام لاسيما قاضي القضا

تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي، مناظرات ومناقشات، ومباحثات
ومراجعات، وهو في ذلك كترجمانه، يخاطبهم في جميع ذلك
بلسانه، فمنها وقايع علي ومعاويه، وما مضي بينهم في تلك
القرون الخاليه، ومنها امور يزيد وما يزيد، وقتله الحسين
السعيد الشهيد، وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر، ومن استحله
فهو واقع في الكفر، ولا شك ان ذلك الفعل الحرام، كان
بمظاهرة اهل الشام، فان كانوا مستحليه فهم كفار، وان
كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار، وانا الحاضرين
علي مذهب الغابرين، فحصل منهم في ذلك انواع الاجوبه،
فمنها مارده ومنها ما اعجبه، الي ان اجاب كاتبه السر واجاد،
واصاب فيما قال وافاد، اطال الله الكبير، بقاء مولانا الامير
اما انا فنسبي متصل بعمر وعثمان، وان جدي الاعلي كان من اعيان
ذلك الزمان، وحضر تلك الوقايع، وخاض هاتيك المعامع،
وكان من رجال الحق، وابطال الصدق، ومما تواتر من
فعله، ووضعه الشي في محله، انه توصل الي راس سيدنا
الحسين، ونزهه عما حصل له من ابتذال وشين، ثم نظفه
وغسله، وعظمه وقبله، وطيبه وبجله، وواراه في
تربه، وعد ذلك عند الله تعالي من افضل قربه، فلذلك
ايها الغمام الصيب، كنوه بابي الطيب، وعلي كل تقدير، ايها
الامير، فتلك امة قد خلت، وغموم غيومها انجلت، وبما
جرعت انقضت، وبما اذاقت مرت او حلت، وفتن اراحنا
الله اذ اراحنا عنها، ودماء طهر الله سيوفنا منها، واما
الساعه فاعتقادنا اعتقاد اهل السنة والجماعه، فلما سمع
هذا الكلام قال بالله العجب، وما سميتم باولاد ابي الطيب
الا لهذا السبب، قال نعم ويشهد لي بذلك القاصي والداني،

وانا

وانا محمد بن عمر بن محمد بن ابي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن ابي الطيب
العمري العثماني، فقال لك المعذرة يا طيب الاسلاف، لولا اني
ظاهر العذر لحملتك علي عاتقي والاكتاف، ولكن سترى ما افعله
معك ومع اصحابك من التكريم والالطاف، ثم انه ودعهم،
وبالتعظيم والاحترام شيعهم، ومنها انه سالهم كتابه، سؤال
اضرار ونكايه، فقال ما اعلي الرتب، درجة العلم او درجة النسب،
فادركوا قصده وفهموا، ولكن عن رد الجواب وجموا، وعلم كل
منهم انه قد ابتلي، فابتدر بالجواب القاضي شمس الدين النابلسي
الحنبلي، وقال درجة العلم اعلي من درجة النسب، ومرتبتها عند
الخالق والمخلوق اسني الرتب، والهجين الفاضل، يتقدم علي
الهجان الجاهل، والمغرق المنيف، اولي للامامة من السيد الشريف،
والدليل في هذا جلي، وهو اجماع الصحابة علي تقديم ابي بكر علي
علي، وقد اجمعوا علي ان ابا بكر اعلم، واثبتهم قدما في الاسلام
واقدمهم، واثبات هذه الدلاله، من قول صاحب الرساله،
لا تجتمع امتي علي ضلاله، ثم اخذ في نزع ثيابه مصبحا التيمور
وما يصدر من جوابه، فعكت ازراره، وقال لنفسه انما انت
عاره، وكاس الموت لا بد من شربها، فسواء ما بين بعدها وقربها،
والموت علي الشهاده، من افضل العباده، واحسن احوالها لمن
اعتقد انه الي الله صاير، كلمة حق عند سلطان جاير، فسال
ما يفعل هذا المهمل، فقال يا مولانا الجليل، انه فرق عساكرك
كامم بني اسرائيل، وفيهم من ابتدعوا بدعا، وتقطعوا في
مذاهبهم قطعا، وفرقوا دينهم وكانوا شيعا، ولا شك ان
مجالس حضرتك تنقل، وعقابيل مباحثها تحل السدود وتعقل،
واذا ثبت هذا الكلام عني، ووعاه احد غير سني، خصوصا
من ادعى موالاة علي، ويسمي في رفضه ابا بكر بالرافضي، وتحقق

مني يقيني . وانه لا ناصر لي يقيني . فانه يقتلني جهارا . ويريق
دمي نهارا . واذا كان كذلك فانا استعد لهذه السعاده . واختم
احكام القضايا بالشهاده . فقال الله هذا ما افصحه . واحراه
الكلام واوجه . ثم نظر الى القوم . وقال لا يدخلن هذا محلي بعد
اليوم .

فصل

وهذا الرجل اعني عبد الجبار كان عالم تيمور وامامه . وممن
يخوض في دماء المسلمين امامه . وكان عالما فاضلا . فقيها
كاملا . بحاثا محققا . اصوليا جدليا مدققا . وابوه
النعمان . في سمرقند كان . وهو في الفروع من اعلم اهل الزمان
حتى كان يقال له النعمان الثاني . وكان من القائلين بعدم
الرؤية في الاخرى . فاعمى الله تعالى بصره كبصيرته في الدنيا .
واكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه الفروع . ونقل عنه
مسائل المشروع . ولا خلاف في الفروع بين اهل السنة واهل
الاعتزال . وانما اختلافهم في اصول الدين في مسائل معدوده
سلكوا فيها سبيل الضلال .

فصل

وتصدى لاستخلاص الاموال من اهل الشام . كل غشوم ظلام
وكفور صدام . وكان في قلة وفاقه . كصدقة بن الحارثي وابن
الحدث وعبد الملك بن التكريتي المتوز بساقه . وغيرهم من
نظرائهم من عواقب الظلم وابنائهم . مع حضور اكابر المدينة
واعيانها الا ذكرهم ورؤساء قطانها . فانهم لم يمكنهم في ذلك ان
يتخلفوا . ولا يتقاعسوا الخطة ولا يتوقفوا . وحضور دواوينه
وحسابه وضابطي امور خزائنه وكتابه . ومنهم خواجه
مسعود السمناني . ومولانا عمر وتاج الدين السلماني . كل
ذلك في دار الذهب وهو مكان مشهور . ونزل الله داد داخل
الباب الصغير في دار ابن مشكور . وجعل كلا من قلبه من احد

ضغينه

ضغينه . او سخيمة دفينه . او غل او حسد او حقد او نكد .
يغمز على اخوته اولئك الظلمة الغلاظ . والزبانية الشداد
الغلاظ .

شعر

لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

بل بادي اشاره . واقل عباره . يبنون على ارض وجود ذلك
المسكين من جبال الخيال قصورا شواهق . ويمشون على
حدائق ذاته من سما العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق .
وتبرق له من الامارات البوار بوارق .

فصل

ثم انه صار في هذه المده . يحاصر القلعة ويعد لها ما استطاع من
عده . وامر ان يبني مقابلتها بناء يعلوها . ليصعدوا عليه
فيهدوها . فجمعوا الاخشاب والاحطاب وعبوها . وصبوا فوقها
الاحجار والتراب ودكوها . وذلك من جهة الشام والغرب .
ثم علوا عليه وناوشوها الطعن والضرب . وفوض امر الحصار
لامير من امرائه الكبار . يدعى جهان شاه . فتكفل بذلك وعاناه .
ونصب عليها المجانيق . ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق . وكان
فيها من المقاتلة . فئة غير طائلة . امثلهم شهاب الدين الزردكاش
الدمشقي . وشهاب الدين احمد الزردكاش الحلبي . فابليا في عسكره
بلاء حسنا . وكانا على جيشه كلما فاء الى فنائهم وباء مصيبة
وفنا . فاهلكا من جيشه بالاحراق . واوغاد المدافع والابراق .
ما فات العد . وتبدد عن دائرة الحد . ولكن لما احاطها من بحار
تجريبه سيل عرم سائلها . وامطر عليها من سهام غمام رطابة وصواعق
بوارق كانه صيب وابلها . اتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن
ايمانها وعن شمائلها . وكلت عن المجاذبة والمنابذة ايدي مقاتلها .
فطلبوا الامانه ونزلوا اليه من غير توان . وكل هذا الامر المهول
والقضاء العجيب . في اواخر شهر ربيع الاخر وجمادين وشهر رجب .

ولكن ما نال من القلعة روما، الا بعد محاصرتها ثلاثة واربعين
يوما، وصار في هذه المدة يتطلب الافاضل، واصحاب الحرف
والصنائع وارباب الفضائل، ونسج الحريريون له قباء بالحرير
والذهب، ليس له درز فاذا هو شيء عجيب، وبنى في مقابر الباب
الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه
وسلم، وامر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم،

ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس خوفا من ان يحل به الباس ووقى بنفائسه النفوس والانفاس

وكان في صفد، تاجر من اهل البلد، احد الرؤساء والتجار، يدعى
علاء الدين وينتسب الى دوادار، كانه تقدمت له خدمة على
السلطان، فولاه حجابة ذلك المكان، فلما توجه النواب الى حلب،
والعادة ان ينوب عن نائب البلد في غيبته من يجب، ناب عن نائبها
التونبغا العثماني، وحاجبها علاء الدين الدواداري، فغرق في
اسر ذلك الطوفان، كل النواب ومن جملتهم العثماني وابن الطحان،
ومات منهم من مات وفر من فر، واستمر في قيد الاسر التونبغا وعمر،
فلما قدم تيمور الشام، وحل بها منه ما يحل من قضاة السوء
باموال الايتام، شرع كل متول في بلاد، يفعل ما ادى اليه
الاجتهاد، فبعض حصن اماكنه، وبعض مكن كمائنه، وطائفة
استخرت للنفار، وفرقة استوفزت للفرار، وقوم سالموا
وساكنوا، وهادوا وهادنوا، ففكر علاء الدين المذكور
وقدر، وتامل في خلاص صاحبه وبلاده وتبصر، وكان من
ابناء الناس، وعنده ذوق الاكياس، واستشار مصيب
عقله في ذلك واستنطقه، فقال داره بما معك من مال واترك
سبب الفرار ونفقه، وما كد به اذ قال له كل مداراة عن العرض

ستر

ستر له وصدقه، وكان ذا مال محمود، فقال ما ادخرت الدنانير
الصفر والدراهم البيض الا للايام السود، فطلب من تيمور
الرياضه، واراد ان يجس اولا بمعاملته مخاضه، فعالج هذا
الامر علاج النطس المريض، وبادر بالمهادنة وحال الجريض
دون القريض، وارسل الى تيمور اجناسا من ماله الطويل
العريض، واستمال خاطره، واستدعى اوامره، ثم اردفها
باضعافها، واضعف خواصرها باردافها، فشكر تيمور له
صنعه، وزاده ذلك عنده منزلة ورفعة، وارسل اليه مرسوم
امان، وان يعامل هو واهل بلاده بالمجاملة والاحسان،
فليؤمن روعهم، وليسكن جنسهم ونوعهم، ولتؤنس
وحشتهم، ولتذهب دهشتهم، بحيث انهم يتبايعون
ويتشاورون، والى معاملتهم من عساكره يتجاورون، وان
استطال احد من اجناده، واعوانه من خونة واولاده،
فليقابله بالمنع والانكار، والضرب والاشهار، وصار
يطلب منه ما اراده، فيرسله اليه بزيادة، وكلما زاد فيما
يقترحه عليه من نقد وجنس طلباه، زاد علاء الدين لذلك
نشاطا وطربا، ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك المقبض،
حمل بصل ابيض، بناء على ان ذلك لا يوجد، في الشام
باسرها فضلا عن صفد، ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة
احمال، فارسلها اليه كما هي، وكان ذلك من الفضل الالهي،
حتى حبه وتمنى قربه، وقال فيه معنى ما قلت شعر،

داريت وقتك واجتهدت ببذل مالك يا بشر،
لو كان مثلك آخر، في الشام ما سبيت بشر،

وتوجه طوائف من العسكر اليهم، واشتروا منهم وباعوا
عليهم، واستمرت عقود المصادقة لم تحل، الى ان قوض خيامه

عن دمشق ورحل، فلما اقشع عن الشام ضباب ضيره، وامتد
في ميدان الرحيل حبل سيره، اعقب علاء الدين الدواداري،
قاصده الي ذلك الاسد الضاري، ومعه تحف سنيه، وتنف
ملوكيه، ومطالعه فحاويها رايقه، ومعانيها فايقه،
والفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه، فيها من الترقيقات
ما تقشعر منه الجلود، ويلين له الحديد والصخر الجلمود،
ويجري في طبايع الابدان اليابسة جري الماء في العود، وطلب
في اثنايها مراحمه في امر العثماني وابن الطحان، وجز ناصية
عبوديتها بمقراض الاعتاق والامتنان، وان يجعل العفو
عنها شكر القدره، ويفيض عليها من بحار مراحمه قطره،
وانهما اقل من ان ينسبا الي الاسر، اذ ملوك الارض تود لو كانت
اطفالا تحت حجره، وراية الشريف اعلى، وامتثال ما يبديه
من المراسيم اولى، فلما اطلع تيمور على فحواه، وفهم ما ابداه وما
انهاه، وشاهد تحفه وهداياه، وتفكر في اول امره ما الجمه
معه من الخدم وما اسداه، والخير له تاثير، والبادي اكرم،
والشر كله تقصير، والبادي اظلم

قلت شعر

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا ؛ ولا تخش من سوء اذا انت لا تسي

وقيل شعر

من يفعل الخير لا يعدم جوايزه ؛ لا يذهب العرف بين الله والناس

لان قلبه وان كان حديدا، وهان صعبه الذي لم يزل شديدا،
فدعاهما، واكرم مثواهما، واحسن اليهما، وذكر لهما شفاعة
علاء الدين فيهما، ثم امنهما الباس، واعطاهما ثلاثة افراس
للعثماني اثنان، وواحدة لعمر بن الطحان، ثم اضاف اليهما
من بلغهما المامن فوصل كل منهما الي دار عزته، وحل ذاك
في صفده وهذا في غزته.

فصل

فصل

ولما تنجز لتيمور اخذ القلعه، جهز امره ورام الرجعه،
وقد استخرج منها ما اراد من نفايس واموال، بانواع العقاب
واصناف العذاب والنكال،

ذكر معنى كتاب ارسل اليه
على يد بيسق بعد ما فروا من بين يديه

وقيل ان السلطان لما هرب، ارسل اليه كتابا ثار منه الغضب
فمن معناه، وفحوى ما عناه، لا تحسب انا جزعنا منك،
وفررنا عنك، وانما بعض مماليكنا قوي نفاسه، واخرج
عن ربقة الطاعة راسه، وتصور ان كل من خرج عرج، ولم
يعتبر بمن رام الارتقاء سلما فدرج، واراد بذلك مثلك القا
الفساد، وهلاك العباد والبلاد، وهيهات فان دون مرامه
خرط القتاد ؛ والكريم اذا بدا بجسمه مرضان داوى الاخطر،
ورايناك انت اهون الخطبين واحقر، فثنى عنها الشريف
عنانه، ليعرك من ذلك القليل الادب اذانه، ويقيم في نظم
طاعته ميزانه، وايم الله لنكرن عليك كرة الاسد الغضبان،
ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان،
ولنحصدنكم حصيد الهشيم، ولندوسنكم دوس الحطيم،
فلنلفظنكم رحى الحرب في كل طريق، لما تعاينون من غليظ
الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق، ولنضيقن عليكم
سبل الخلاص، فلتنادن ولات حين مناص، ونحو هذه
الترهات، ومثل هذه الخرافات، التي هي كالملح على الجروح
وكالريح عند خروج الروح، ولو كان بدل هذا الكلام الذي
لا طايل فيه، والخطاب الهذياني الذي تمجه الاذان وترميه
ما يستميل خاطره، ويطفي من لهيب غضبه ثايره، مع شي

من الهدايا والتقادم، وابرازقضاياهم في صورة المعتذر النادم،
ربما كان كسر من غيظه، او وهن من حنقه وبرد من قيظه،
وانما فعلوا ذلك المعذرة، بعد حريق دمشق وخراب البصرة،
وارسلوا الخدم والهدايا صحبة النعام والزرافات، وقد اعجز
التدارك وفات، وصاروا كما قيل شعر

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله ,, في النائبات ولكن بعد ما افتضحا

وكما قيل مصراع ,, وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

فصل

ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه، واديت الرسالة اليه،
وقرئ الكتاب عليه، قال لي قل الحق، ما اسمك قلت بيسق،
قال ما مدلول هذا اللفظ المزري، قلت له يا مولانا لا ادري،
فقال انت لا تعرف مدلول اسمك يا ثعالة، فكيف تصلح لحمل
الرسالة، ولولا ان عادة الملوك لا يهجو الرسل، وقد مهدوا
على ذلك القواعد وسلكوا السبل، وانا اولى من يتبع آثار
السلاطين، ويحيي سنن الملوك الماضين، لفعلت معك ما يجب
فعله، ولا اوصلتك ما انت اهله، وبعد هذا فلا عتب عليك،
وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك، ولا حرج عليه ايضا لان
ذلك مبلغ علمه، ومدرك عقله وفهمه، وقد ظهر بفعله الوبيل،
نتيجة ما قيل ,, شعر

تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا ,, فمبلغ اراء الرجال رسولها

ثم قال لي توجه الى قلعتكم، ومكان عزتكم ومنعتكم، فذهبت فوجدتها
قد دكت دكا، وسيم حرمها وحريمها خسفا وهتكا، ثم اتيته، وذكرت
له ما رأيته، فقال ان مرسلك اقل من ان احاسبه، واذل من ان
اراسله، ولكن قل له اني واصل اليه على عقبك، وانا منشب
مخالب اسودي بذنبك، فليتشمر للقرار او للفرار الذليل،

صوابه ان لا يهجو

وليعد

وليعد لاتيها الجبار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل، ثم
امرني فاخرجت وما صدقت ان تصوبت الى جهة مصر ودرجت،

فصل

وحين ملأ جرابه طمعه من نفائس الاموال ودنه، واستعد
خلفاته شيئا فشيئا اسافا ورنقا حتى صفاها بقطنه، امر
بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار، فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم
الماء والكلس وكووهم بالنار، واستخرجوا الاموال منهم
استخراج الزيت بالمعصار، ثم اطلق عنان الاذن لعساكره
بالنهب العام، والسبي الطام، والفتك والقتل والاحراق
، والتفتيش بالاسر على الاطلاق، فهجمت اولئك الكفرة الفجرة
على ذلك اشد الهجوم، وانقضوا على الناس بالتعذيب،
والتثريب والتخريب انقضاض النجوم، واهتزوا ودبوا،
وفتكوا وسبوا، وصالوا على المسلمين واهل الذمم صولة
الذئاب الضواري على صنوان الغنم، وفعلوا ما لا يليق
فعله، ولا يجمل ذكره ونقله، واسروا المخدرات، وكشفوا
غطاء المستترات، واستنزلوا شموس الخدور من افلاك
القصور، وبدور الجمال من سماء الدلال، وعذبوا
الكبار والاصاغر بانواع العذاب، وبدا للخلق ما لم يكن في
الحساب، واستخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم
خلاصات الذهب، وصنفوا في استخراج النفائس من
النفوس باصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب، وفرقوا
بين الوالدة وولدها، والزوج وجدها، وذهلت كل مرضعة
عما ارضعت، وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت،
وفر المرء من اخيه، وامه وابيه، وصاحبته وبنيه،
وصار الكل منهم يومئذ شأن يغنيه، وذل العزيز والكريم،

وهان الخطير والجسيم، وطم البلاء وعم القضاء، وطاشت
الحلوم، وتبلدت الفهوم، وتراكمت غيوم الغموم، فأقسم
بالله لقد كانت تلك الايام علامة من علامات يوم القيامه،
واسفرت تلك الساعه عن اشراط الساعه، واستمر هذا النهب
العام نحواً من ثلاثة ايام،

ذكر القائهم النار في البلد لمحو الآثار

ثم انهم لما انهوا العبث والعيث، وقضوا في نحو فسادهم التفث،
واتموه بالفسق والجدال والرفث، وطافوا وسعوا في المنكرات،
ورموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات، وافاضوا ما اراقوا
من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار، ورملوا في اشواط
الاحراق فارسلوا في حرم المدينة شواظاً من نار، وكان فيهم من
روافض الخراسانيه، فاطلقوا النار في جامع بني اميه.
فتشبثت النار بلهيبها، وساعدتها الريح بهبوبها، فتساوقا
في محو الآثار، ريحاً وناراً، واستمر على ذلك باذن الله تعالى ليلاً
ونهاراً، فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس، وامحى بلسان
النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس، وامست
تلك المغاني لا تسمع فيها لاغية ولا همساً، واصبحت حصيداً
كان لم تغن بالامس، وذلك بعد ان اظهروا ما اخذوا من
اموال، واوسقوا منه الاحمال،

اقلاع هاتيك الرزايا
وانقشاع غمام تلك الدواهي والبلايا
عن بلاد الشام بما حملته من اوزار وخطايا

ثم ارتحل ذلك الفتان، واقلع صيب بلائه الهتان، يوم السبت
ثالث شعبان، وقد اخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم،

ويحملوا

ويحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم، فجعلوا يطرحون
ذلك في الدروب والمنازل، ويلقونه شيئاً فشيئاً في اوعار المراحل.
وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل، واصبحت القفار والبراري
والجبال والصحاري، من الامتعة والاقمشه، كأنها اسواق
الدهشه، وكأن الارض فتحت خزائنها، واظهرت من المعادن
والفلزات كامنها،

قلت بديهة شعر

وصار لسان شرهم ينادي بها على فنن الشواهق والبوادي،
ألا ذي شنشنة عرفناها، وعادة فساد الفناها، ومن ملكنا
ودينه اقترفناها، نهبنا اموال المسلمين وحفظناها، وما
في وجهها صرفناها، ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم
فقذفناها، ومع ذلك فلو اخذ من نفائس دمشق اضعاف
ما اخذ، وفلذ من اكباد ذخائرها الافلاذ، ما نقص من ذلك
ما في عينها، ولا انقص من بحار معينها، ولكن النار كانت هي البلاء
الداهي، والمصاب المتناهي، لانها احرقت غالب من كان داخل
البلد لعدم الفوات، فما ظنك بما يكون من العمائر والاقمشه
والاثاث، وضربت الكلاب بالكل لحوم من مات داخل البلد، فما
صار يجسر على العبور الى جامع بني امية احد،

ذكر ما جرى في مصر وسائر الاقطار
عند سماعهم هذه الاخبار
واستيقانهم هذه الاهوال والاخطار

فاما مصر فما دونها من البلاد فانها تخبطت، واختلت قواها وايديها
تربطت، وعدمت القرار، واستعدت للفرار، فلو
رايت الناس وهم حيارى سكارى وما هم بسكارى، ابدانهم
راجفه، وقلوبهم واجفه، واصواتهم خافته، وابصارهم
باهته، وشفاههم يابسه، وصورهم بائسه، ووجوههم

باسره، فنظر ان يفعل بها فاقره، وقد استوفز كل من اهل الامصار
وسكان الانجاد والاغوار، وقد اصاخ لما يرد عليه من جلي
الاخبار، فيبني على ذلك ما يكون، من متعلقات الحركة والسكون.
فاخذ تيمور على طريقته العوجا، ورجع على سبيل بغيه التي
اتخذها شرعة ومنهاجا، وقد سدت عساكره الافاق والاكناف،
وعمت هيبته الارجاء والاطراف،

ذكر من اصيب من سهام القضاء بالرشق ووقع في مخالب اسره من اعيان دمشق

واحد من اعيان الشام، ومشاهير الاعلام، قاضي القضاة
محيي الدين بن العز الحنفي بعد ان عاقبوه بانواع العقاب
وكووه، وسقوه الما والملح بالكلس والنار شووه، وولده قاضي
القضاة شهاب الدين ابو العباس، فوصلا الى تبريز ومكثا
بها مدة في شدة وباس، ثم رجعا الى الشام، واخذا مرهما في
الانتظام، وقاضي القضاة شمس الدين النابلسي الحنبلي،
وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي، فتوفي الى رحمة
الله الوهاب، غريقا في نهر التراب، وشهاب الدين احمد بن
الشهيد المعتبر، وكان متحملا اوزار الوزر، بعد ان راموا
عذابه، وطلبوا عقابه، وكان قد جهز متعلقيه الى الاماكن
البعيده، واقام هو في دمشق جريده، فذكر لهم حكايته،
وبذل لهم في دفع موجوده طاقته، فاخذوا ما اخفاه خفية
ولم يعذبوه، ولكنهم بالاهبة والقلة استصحبوه، فوصل الى
سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن، انواعا من غربة وفقر
ومحن، ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى، ومن
الامراء الخاص، الامير الكبير بتخاص، وكان مقيدا امعه
ومات، عند وصوله الى الفرات، فاما القاضي ناصر الدين

ابن

ابن ابي الطيب فانهم عاقبوه بكل بليه، وكان رقيق البدن لطيف
المزاج سوداويه، فما كان عنده لذلك ثبات، فاعجزهم عما
يرومون منه بالموت وفات، فات واستراح، وشرب من
الشهادة كاس مدام جاءه وراح، فدفنوه عشيه، بالمدرسة
الكروسيه، ولما شرع في النهب العام المبرح، استشهد
غلطا قاضي القضاة تقي الدين بن مفلح، وبرهان الدين بن القوشة
ضعف سبعة عشر يوما، وانقطع في حارة تل الحبن ولحق
بالاموات قوما، وكانوا قد حرجوا على الاحيا والاموات،
وخافوا ان لا يكون لاحد منهم من يديهم نجاة الوفاة فوات،
فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا، وحرجوا ان لا يخرج الاحيا
ولا يجهز الموتى، فلما مات المذكور تعسرت الامور، فتحيروا
في تجهيزه، وتغلبوا في امره وتجهيزه، ثم بعد جهد بليغ
وسعي كثير، دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من الباب
الصغير، وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام، عبد الله
ابن التكريتي فولاه نيابة سيرام، فمكث فيها القليل من الايام،
وهي وراء سيحون، وشخص اخر يدعى بلبغا المجنون، وكان
مقربا عنده، وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده،
واخبره على ما قيل بعداوي، فخلصه بذلك من المهالك والمهاوي
وحصل له بذلك قربه، وزيادة ملازمة وصحبه، فولاه
ذلك الحساس نيابة مدينة تدعى بنكي بلاس، وراء نهر
خجند، نحو خمسة عشر يوما عن سمرقند، بينها وبين سيرام
نحو من اربعة ايام، وكان اسم ذلك المجنون، احمد فتلقب
بلبغا المجنون، واخذ من دمشق ارباب الفضل واهل
الصنائع، وكل ماهر في فن من الفنون بارع، من النساجين
والخياطين، والحجارين، والنجارين، والاقباعية والبياطرة

والحيميه، والنقاشين والقواسين والبازداريه، وفي الجملة
اهل اي فن كان، وجمع كما ذكر السودان، وفرق هؤلاء
الطوايف على رؤس اجناد، وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند،
واخذ جمال الدين رئيس الطب وشهاب الدين احمد الزردكاش
وكان في القلعة كما ذكر واباد من عسكره خلقا لا يحصون، ولا
يحصرون كثرة ولا يستقصون، وكان في حدود التسعين وقد
احدودب، فلما رآه قابله بالسخط والغضب، وقال له انك
اقنيت صاغيتي، وحصبت غاشيتي، وقصبت حاشيتي،
فان قتلتك مرة واحدة لا تشفى غليلي، ولا يهدأ غليلي، ولكن
أعذبك على كبر سنك، وازيدك كسرا على كسرك ووهنا على
وهنك، فقيده بقيد من فوق ركبتيه، زنته سبعة ارطال
ونصف رطل بالدمشقي وقصد بذلك التشديد عليه، فلم يزل
مقيدا، مكتوب على قيده مخلدا ابدا، حتى مات تيمور، وارتفع
الشرور، وخلص من القيد ذلك الاسود، ثم توفي الى رحمة
الله تعالى، وربما يكون اخذ اناسا من الفضلاء، والاعيان
والسادات والنبلاء، من لا اعرفه فكيف اصفه، وكذلك
كل امير من امرائه، وزعيم من زعمائه، اخذ من الفقها والعلماء
وحفاظ القرآن والفضلاء، واهل الحرف والصناعات،
والعبيد والنسا والصبيان والبنات، ما لا يسع الضبط،
ولا يحل الربط، وكذلك كل من عسكره، اخذ كبيرا وصغيرا
واسره في اسره، لانه ما ثم حرج على من نهب شيا وعزله، وكل
من سبقت يداه الى شيء فهو له، وهذا اذا اطلق عنان الاذن
بالنهب العام، تساوى فيه الخواص من عسكره والعوام،
ولو كان الناهب اسيرا فيهم، او دخيلا عليهم، والسالب
من غير طينتهم، ولكن ابيح له ذلك لما سار بسيرتهم، وتخلق

بشيمتهم

بشيمتهم، وأطلق عليه حكمهم، وأجرى عليه شكمهم، فاما قبل
الاذن فلو تعدى احد على احد، وكان عند تيمور بمنزلة الولد
او الوالد، او استطال بمقدار حبه، او تلفظ بغارة او نهبه،
فانه يهدر ماله ودمه، ويهتك حرمته وحرمه، ولا ينجيه
استغفاره وندمه، ولا يجدي به اهله وخدمه، ولا يقال لعا
لمن زلت به قدمه، وكانت هذه قاعدة لا تخرم، وبنية لا تهدم

ذكر ما اباده بعده الجراد

ولما فرغ من مستغلات اموال دمشق الحصاد، وقارب الرحيل
عنها اعقب لقاط الجراد، وصار يسير معه حتى بلغ ماردين
وبغداد، فاغرى بكل شجراء ومرداء، وجرد ما على وجه الارض
جردا، فوصل الى حمص وما نهبها، ولخالد كما ذكروهبها،
ولكن نهبوا قراها، وهدموا قواها، ثم الى حماة فنهبوا
نفائسها، واستخرجوا مكامنها، واسروا غرائسها، واستهلكوا
كائنها، وفي سابع عشر شعبان، انصب الى الجبول ذلك
الطوفان، وارسل الى حلب واخذ من قلعتها ما استودعها، ثم
الى الفرات وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها، ثم الى الرها
فنهبها واستحلب درها، ثم ارسل ذلك الغادر، رسوله الى
ماردين يستدعي الملك الظاهر، وديباجة كتابه اليه قيل
على ما نقل،

شعر

سلام عليكم والعهود بحالها، لقد بلغ الاشواق منا كمالها

فابى ان ينزل اليه، ولا استمع كلامه ولا التفت اليه، فانه كان
اذاه كما ذكر اول مرة، فما احتاج الى تجربته آخر كرة، فسلم معه
بالسلامة، وقال شطر بيت من جرب المجرب حلت به الندامة،
ولكن ارسل اليه قاصدا من بعض الخدم، يدعى الحاج محمد
ابن خاصبك ومعه التقادم والخدم، واعتذر عن حضوره،

بعده امور • وعنوان جوابه • موافق لخطابه • وهو شعر
فشوقي اليكم زايد لاحد وصفه ~ ولكن تخاف النفس مما جرى لها
فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام • واخذ يعنف نفسه بانواع
الملام • كيف خلص من مخالبه اول مرة بسلام •

ذكر وروده ماردين بالهيبه وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبه

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان وارد بن ماء ماردين • فنزلوا دنيسر وغدوا للحصار قاصدين • واذا باهلها وقد اخلوا المدينه • وانتقلوا الى قلعتهم الحصينه •

صفة هذه القلعة

وهذه القلعة عنقاء قلتها تكبر ان تصاد • وعرنين عانسها يابى ان يدخل لخاطب تحت مقود انقياد • لانها في قلة من القلل • على ظهر جبل • لم يكن فرق بينه وبين فم الافلاك الا ان تلك لا ثبات لها وهذا ثابت ليس بمتحرك • بظهره واد بطنه اوسع من صدر الاحرار • فيه جنات تجري من تحتها الانهار • وبه مطارح الزروع • ومسارح المواشي والضروع • وحدوده حروف لا تصل همم ذوي الكرم الى ارجائها • وحروف يعجز قارئ التفكر عن تعديد هجائها • وطريقه من القلعة او على القلعه • والقلعة في غاية المناعة والرفعه • والمدينة مبنية حواليها • متشبثة بذيلها • تاكل من فضلات نعمها • وتشرب من فايض سيلها • فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون • وفي السماء رزقهم وما يوعدون • فاقام المحاصرة على مضايقها • يسترشد الى طرق المضايقة وطرايقها • ولم يكن حواليها مكان للقتال • ولا لنصب المجانيق مجال • فعول على نقبها بالمعاول والفوس • واستعان على ذلك

بالمعاول والفوس • وحاشا ذمتها بل حشمتها وعصمتها ان يسام فتقا • لانها وان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا • فلا زالت المعاول تفل • والقطاطيس تكل • ومناقير الفوس تتعقف • وخصور المرازب كهيف القدود تتقصف •

قلت شعر

كأن معولهم في نقب تربتها ~ منقار طير على صلد من الحجر
او عذل ذي حسد صبا به صمم ~ او غمز عين معنى فاقد البصر

واستمر على اللدد والخصام • الى العشرين من شهر رمضان ولم يحصل على طائل ولم يظفر بمرام •

ذكر تركه في المحاصره العناد والمكابره وتوجهه بماردية ذوي الفساد عن ماردين الى بغداد

ولما علم انه رمى منها بالداهية الدهيا • وطلاب ما لا يستطاع عيا • والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج • والبلاغة في غير مقامها عي تلجلج • سنز عيبه • وابقى بعض الحرمة والهيبه • وخرب الابنية واسوارها • ومحا اثارها • وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها • وقلع اساسها واحجارها • ثم انحدر الى بغداد بعساكر كالذر والفراش والجراد • وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع امداد • فوصلوا الى مدينة صور وليس بها بيت مشاد • ثم الى خلاط وعيد الجوز وهي بلاد الاكراد • اهلة عامرة البنيان • واوليها وجاز تحت حكمه من ولايات تبريز واذربيجان • فعيد الثقل بعيد الجوز عيد رمضان • ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان • وكان اذ ذاك وقد خرج فصل الشتا • وفصل الربيع تزين واتى • وصفا

الرياض بانامل صباغ القدرة تلونت ، وعروس الروض قد اخذت
من صواغ الحكمة زخرفها وازينت ، والاطيار في الازهار ،
ما بين مائية بلبل والف هزار ، قد شنفت الاسماع ، واقامت
السماع ، واستمالت الطباع برخيم صوتها ، واحيت اثار رحمة
الله الارض بعد موتها ، ولا زال التنقل بين تاويب وادلاج
وسير ولا سير الحاج ، كل يوم في مرحلة وكل ليلة في مقام ،
فوصلوا الى نيسابور ثم الى الجام ، ثم قطعوا مفاوز باورد وماخانه
ثم الى اندخوى وانتهوا الى نهر جيحان ، فعبروه بالمراكب ،
وساروا سير النجم الثاقب ، ولم يزالوا منبعثين على ذلك
انبعاثا ، فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلاثا ،
سنة اربع وثمانمائة ، وفيهم من اهل الشام فئة ، امثلهم
القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير ، وباقيهم بياطرة
وصباغون ونساجة الحرير ، وهذا اول ما تحمله من الشام
من احماله الاثقال ، وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من
ثمر الاسارى والاموال ، ثم ارسل الاثقال تترى بالانفال واحماله
الاموال والاسرى ،

فصل

ثم ان تيمور ولى امد قرايلوك عثمان ، وولى عن ماردين يوم
الخميس العشرين من شهر رمضان ، وكان خامس اياره وجعل
يعبث في تلك الاياره ، وخرب قصيبين وبدعي مستغلاتها ، ثم
محا من صحف الوجود صور سورها واياتها ، وكانت خالية من
سكانها ، خاوية من عامري عمرانها ، ثم توجه الى الموصل همه
واخنى عليها بكتائبه الدلهمه ، فبعد ان احلها الحين ، وهبها
الحسين بيك بن حسين ، ثم جز بن مجره ، الى ناحية القنطره ،
واشاع انه كف فساده ، وقصد بلاده ، ولكن السلطان احمد
كان قد تحقق انه قاصد بغداده ، وقد اوهم وورى كالمه بذلك

راب

داب وعاده ،

ذكر ما فعله السلطان احمد بن الشيخ اويس لما بلغه انه توجه اليه ذلك النجس

فلما بلغ السلطان احمد ان تيمور بعد ان تدمشق تمرد ، ثم عزم
على ان يتبغدد ، وقال العوذ احمد استعد ولكن للفرار ،
واستقر رايه على ان لا قرار ، ثم استناب نائبه ابي فرج ، واوصى
اليه والى ابن البلبقي بامور وصحبه قرا يوسف الى الروم وخرج ،
وكان من جملة ما وصى به انه لا يغلق في وجه تيمور باب ، ولا يسدل
دون ما يرومه حجاب ، ولا يشهر في وجهه سيف ، ولا يقابل فيما
يامر به بلم وكيف ، فبلغ تيمور هذه الامور ، فجهز ذلك
المخاتل ، الى بغداد عشرين الف مقاتل ، وأمّر عليهم من امرائه
ورؤساء وزرائه والظلمة المعتدين ، امير زاده رستم وجلال
الاسلامي وشيخ نور الدين ، وامر ان يكون المقدم من الثلاثة
الامير رستم ، فاذا تسلموا بغداد يكون هو حاكم البلاد ،
وحين غربت عن سماء بغداد شمس السلطان احمد في غرب الغربه
ومد ظلام الظلم جناح العساكر التيمورية على آفاقها وارسل
عليها شهبه ، ابى فرج المذكور ان يسلم المدينة طوعا ، واستعد
للمقاتلة بجمع ما عنده من اهبة المحاصرة فاوعى ، فاطلعوا
تيمور على هذا الامر ، وانتظروا ما يكون منه من نهي وامر ،
فثنى نحوها عنان الحنق ، واضمر ما تصل اليه يده من غرق
وحرق ، واظل عليهم بغمام غم بعد ما رعد وبرق ، فوصل
بتلك الفرق ، واحل بهم البوس والقلق ، واذاقهم لباس
الجوع والفرق ، فرجهم اي رج ، وحاصرهم في اشهر الحج ،
فثبتت مقاتلتهم واكثروا من عساكره القتلى والجرحى فخنق اشد
الحنق ، وزحف عليها برجله وخيله فاخذها عنوة يوم الاضحى



فتقرب على زعمه بان جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى، ثم امر كل من
هو في دفتر ديوانه محسوب، والي نزك عساكره من الجند والجيش
منسوب، ان ياتيه من رؤس اهل بغداد براسين، فسعوا لكل واحد
من خرم سلب الروح والمال كاسين، ثم اتوا بهم فرادى وجمله،
وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجله، وطرحوا ابدانهم في تلك
الميادين، وجمعوا رؤسهم فبني بها ميادين، فقتلوا من اهل بغداد
نحوًا من تسعين الف نفس صبرا، وبعضهم عجز عن تحصيل البغدادين
فقطع رؤس من معه من اهل الشام وغيرها اسرى، وعجز بعض عن
رؤس الرجال، فقطع رؤس ربات الحجال، وبعض لم يكن معه
رفيق، فاصطاد من وجده في طريق، واغتال من معه من
رفيق، وفدى نفسه بعدو وصديق، ولم يلتفت الى شقيق
وشفيق، اذ لم يمكنهم الخروج عن رتبة الطاعه، ولم يقبل منهم عدل
ولا انفعهم شفاعه، وهذا العدد المذكور، سوى من قتل وهو
محصور، او قتل في مضيق، او مات في الدجلة وهو غريق،
فقد ذكر ان خلقا، القوا انفسهم في الماء، وماتوا غرقى، ومن جملتهم
فرج فانه ركب سفينه وابق، فاحتوشوه من الجانبين بالسهام
فجرحوه وانقلبت السفينه فادركه الغرق، وبني من الميادين
نحوًا من مائة وعشرين، كذا اخبرني القاضي تاج الدين احمد
النعمان، الحنفي الحاكم ببغداد كان، وتوفي في غرة المحرم سنة اربع
وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى، ثم ان تيمور خرب
المدينه، بعد ان اخذ ما بها من اموال وخزينه، وافقر اهلها
واقفر منازلها، وجعل عاليها سافلها، وصارت بعد ان كانت
مدينة السلام، دار الشام، واسروا من بقي من ضعفة اهلها
فتمزق، ومزقتهم ايدي الزمان كل ممزق، بعد ان كانوا في ظلال
ودلال، ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال، فاليوم عشش

البوم والغراب باماكنهم، واصبحوا لا ترى الا مساكنهم، وهذه
المدينة هي اشهر من ان توصف، وعرف عارفها وعرفانها اذكى
من ان يعرفه، وناهيك انها كاسمها مدينة السلام، وانه على
ما قيل لم يمت بها امام

ذكر رجوع ذلك الطاغ واقامته في قراباغ

ثم ألوى بتلك الاثقال التي يصح ان يقال لكل منها انه في التركية
طاغ، وعزم ان يشتي في مكان يصلح ان يكون في الترك
والعرب كصفانه وذاته قراباغ، واسى كالبازي للطلل كالبوم
المشوم، مراقبا اطراف الافاق وخصوصا ممالك الروم،

ذكر مراسلة ذلك المريد سلطان الروم ايلدرم بايزيد

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز، وصرح بما يروم من بلاد
الروم من غير كناية والغاز، وجعل السلطان احمد وقرا يوسف
سببا، وذكر انهما من سطوات سيوفه هربا، وانهما مادة الفساد
وبوار البلاد، ودمار العباد، وسنخ الخمول والادبار، وكفرعون
وهامان في العلو والاستكبار، وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين، وقد صارا بمن معهما في حمى دراكم لاطئين، واينما حلوا
حلت التعاسة والشوم، وحاشا ان يكون مثلهما من المغلوكين،
تحت جناح صاحب الروم، فاياكم ان تاووهم بل اخرجوهم، وخذوهم
واحصروهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم، واياكم ومخالفة
امرنا، فتحل عليكم دائرة قهرنا، فقد سمعتم قضايا مخالفينا
واضرابهم، وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم، وتبين لكم
كيف فعلنا بهم، فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال، فضلا
عن جدال وقتال، فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال،

وفي اثنا ذلك انواع التهديد والتخويف • واصناف التهويل والاراجيف • وكان ابن عثمان عنده رقاعة وشجاعه • ولم يكن عنده صبر ساعه • مع انه كان من الملوك العادلين • وعنده تقوي وصلابة في الدين • وكان اذا تكلم وهو في صدر مكان • فلا يزال في حركة واضطراب حتي يصل الي طرف الايوان • وكان بواسطة عدله ساعده الزمان • وقويت شوكته في المكان • فاستصفى ممالك قرمان • وقتل ملكها السلطان علاء الدين واسر له عنده ولدان • واستولي علي ممالك منتشا وصاروخان • وهرب منه الي تيمور الامير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرمان • وصالة من حدود جبل بالقان • من ممالك النصارى الي ممالك ارزنجان • فلما وقف علي كتابه • وفهم فحوى خطابه • نهض وربض • وامتعض وارتمض • ورفع صوته وخفضه • وكانه تجرع نقوع الحضض • ثم قال او يخوفني بهذه الترهات • ويستفزني بهذه الخزعبلات • او يحسب انني مثل ملوك الاعجام • او تتارا لدشت الاغنام • او في جمع الجنود • كجيش الهنود • او جندي في الشقاق • كجمع العراق • او ما عندي من غزاة الاسلام • كعساكر الشام • او ان تفعله الجمع لجندي • او ما يعلم ان اخباره عندي • وكيف خذل الملوك وختر • وكيف تولي وكفر • وما صدر منه وعنهم • وكيف كان كل وقت يستضعف طائفة منهم • وانا افصل جمل هذه الامور • واكشف ما خزنه في التامور • واما اول امره فحرامي سفاك الدم • هتاك الحرم • نقاض العهود والذمم • طرف منحرف عن الصواب في الخطا • فصال وجال وسطا • ثم طال واستطال • واتسع له المجال • وغفل عنه الرجال • ومن حين نبغ • استصبى حتي شاب الشيب بالعيب فادرك ما ادرك

وما

وما بلغ • فالتهبت فتيلته بعد ان كانت شراره • وانتشرت فروع جبنه فصارت غزاره • اما ملوك العجم فانه استتر لم يدخله وخذله • ثم استفزهم بحيله ودجله • وبادر الي قتلهم بعد ان امكنتهم فرصة قتله • واما توقتا ميش خان • فان غالب عسكره خانه • ومن اين للتتار الطغام • الضرب بالبتار الحسام • وما لهم سوى رشق السهام • بخلاف ضراغم الاروام • واما جنود الهنود فانه خذلهم في امرهم • ورد كيدهم في نحرهم • فوهت اركانهم لاسيما وقد مات سلطانهم • واما عساكر الشام • فامرهم مشهور • وما جرى عليهم فظاهر غير مستور • ولما مات سلطانهم • وتضعضعت اركانهم • وانفض امرهم وانتقض • وبغى بعضهم على بعض • فقطعت منهم الرؤس الكبار • ولم يبق فيهم الا رؤس صغار • فنثر الزمان نظامهم • وسام التبدد ملكهم وشامهم • مع انهم في الصور ربيع وفي المعاني جمادى • يرمون بواحدة ويحيا انهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى وفرادى • لاجرم تفرقت ايادي سبا احزاب تلك الزمر • فاشتغل جيشه فيها بالمحرم فباض لا خلا له الجو وصفر • ولو كان بينهم اتفاق لفتوه فتا • وبددوا شمله وبتوه بتا • ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتا • ومع اتساق نظامهم • وتسديد سهامهم • وقوة نطاحهم • وشدة كفاحهم • وشدة رماحهم • وكونهم ظهر الكماح • واسود الهياج • أنى لهم نظام عساكرنا • وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا • وكم فرق بين من تكفل بامر الحفاة العراه • وبين من تحمل امر الكماة الغزاة • فان الحرب دابنا • والضرب طلابنا • والجهاد صنيعتنا • وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا • ان قاتل احدكم لنا على الدنيا • نحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا • رجالنا باعوا انفسهم

واموالهم من الله بان لهم الجنه • وكم لضرباتهم في اذان الكفار من طنه
ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنه • ولنونات قسيهم في خياشيم
بني الصليب من غنه • لو سمناهم خوض البحار لخاضوها •
او كلفناهم افاضة دماء الكفار افاضوها • قد اطلعوا من
صياصيهم على قلع قلاع الكفار واحنوا عليها • وامسكوا
بعنان افراسهم فكلما سمعوا هيعة طاروا اليها • لا يقولون
لملكهم اذا غمرتهم في البلاء والابتلاء • انا هاهنا قاعدون فاذهب
انت وربك فقاتلا • ومعنا من الغزاة مشاه • افرس من
فوارس الكماه • اطيارهم باتره • واظفارهم ظافره • كالاسود
الكاسره • والنمور الجاسره • والذئاب الهاصره • قلوبهم
بودادنا عامره • لا تخامر بواطنهم علينا مخامره • بل وجوههم
في الحرب ناضره • الى ربها ناظره • وحاصل الامر انكم كل اشغال النسا •
وجل احوالنا وافعالنا • حز الكفار ولم الاسرى وضم الغنايم
فنحن المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم •
وانا اعلم ان هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا • فان لم تاتنا
تكن زوجاتك طوالق ثلاثا • وان قصدت بلادي وفررت
عنك ولم اقاتلك البته • فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا
بته • ثم انهى خطابه • وورد على هذا الطريق جوابه • فلما
وقف تيمور على جوابه القلق • قال ابن عثمان مجنون حمق •
لانه اطال واساء • وختم ما اقرأه من كتابه بذكر النساء • لان
ذكر النسا عندهم من العيوب • واكبر الذنوب • حتى انهم
لا يلفظون بلفظ امراة ولا بانثى • وانما يعبرون عن
كل انثى بلفظ اخر ويحثون على الاحتراز عنه حثا • ولو ولد
لاحدهم بنت يقولون ولد له مخدره • او من ربات الحجال
او مستره • او نحو ذلك •

ذكر

ذكر طيران ذلك البوم
وقصده خراب ممالك الروم

فوجه تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل • وطلب الرفيق
والطريق ورام الدليل • وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت
وانبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت • وماج
فاذا الجبال سيرت • وهاج فاذا القبور بعثرت • وسار
فزلزلت الارض زلزالها • ومار فاظهرت القيامة اهوالها •
وارسل الى ولي عهده • ووصيه من بعده • حفيده محمد
سلطان بن جهانكير • ان يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف
الدين الامير • وركب الى الروم الطريق • وساعده الاتفاق
لا التوفيق • وجرى بذلك البحر المطرخم • والليل المدلهم •
نداروداخ • وعلى قلعة كماخ اناخ • فاذا هي في الوثاقة
كيقين موحد • وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد •
لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم • ولا يهتدي الى طريق
التوصل اليها صايب فهم • مؤسس اركان هضباتها معمار
القدره • ومهندس بنيان قبابها نجار الفطره • ليست
بالعالية الشاهقه • ولا بالقصيرة اللاصقه • غير انها
في مناعتها وحصانتها فايقه • من احدى جهاتها نهر الفرات
يقبل اقدامها • ومن الجهة الاخرى واد متسع يحفظ اعلامها
لا يمكن للاقدام فيه الثبات • وهو مسيل ماء يصب
في نهر الفرات • ومن الجهتين الاخرتين هضاب • يتلو
لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا الشيء
عجاب • فاخذها من غير كلفه • وفتح حرمها من غير طواف
بها ووقفه • وذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه • ووكل
امر حصارها وقتالها اليه • وسبب ذلك ان الوادي الذي

وراءها، كان يرد بالجنبة لو عورته من جاءها، لكونه مزلة الاقدام، واسع الانعام، بعيد مهوى المرام، لا يثلب لسان السهم لرعرضه عرض، ولا يثبت له تحت قدم غواص البصر قرار ارض، فبمجرد ما وقع نظره عليها، نظر بعين الفراسة اليها، ثم امر بقطع الاخشاب، ونقل الاحطاب، فلم يكن الا كلمح البصر، حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر، ونقلوا جميع ذلك الخشب والاعواد، وطرحوها في قعر ذلك الواد، فبادروا به الارض، وملأوا الطول والعرض، وحين شعر اهل القلعة بهذه الفعال، القوا النار والبارود على تلك الاخشاب فاخذت في الاشتعال، واما اساس القلعة فلا ينال، لانه راكب على قلل الجبال، فلم يبد ذلك من امره، ولم يشرد من فكره، بل امر في الحال كل واحد من الرجال، ان ياتي من تلك القفار، بعدل من الاحجار، فانبثوا كالنمل والجراد، في تلك المهامه والاطواد، والبراري والوهاد، وجابوا الصخر بالواد، ففي الحال ملأوا تلك الدائرة، من الحصباء والحجارة، ثم امر ان يفعل بتلك الحجارة في ذلك المهوى البعيد، ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد، فالقوا في ذلك الوادي بعض ما المرء، من كل اس تلك الحجارة فطلوه، وبقي في بيادر ذلك الحجر، اضعاف ما رمي من البصر، ولما امتلأ الوادي من الاحجار، مشوا عليها وقربوا من الاسوار، ونصبوا السلالم وتسلقوا، وبناصية مراميها تعلقوا، فاقلع اهل القلعة عن الكلام، وطلبوا الامان وقالوا ادخلوها بسلام، وكان هذا الحصار والتلجئة في شوال سنة اربع وثمانمائة، ولما استقر فيها، امر بتلك الاحجار ان تنقل من واديها، ففي الحال سفوها، ومن مكانها اخذوها ثم رموها، ثم ولى بها

شخصا

شخصا يدعى الشمس، وولى عنها كما ولى امس، وهذه القلعة نحوا من نصف يوم عن ارزنجان، ومن القلاع المشهورة في الدنيا بالمناعة والعصيان، فلاجرم حين استولى عليها، وافضى بصارمه الاكراه اليها، وفتحها قهرا، ومنحها جبرا، ابرد بهذا المغنم البارد، الى كل مناد يحي ممالكه ووارد، بكتب ترجم فيها من الاخبار كل سائغ وشارد، وعنوان هذه الترجمة، بلفظها من غير ترجمة،

شعر

بحد سيوف دامياتٍ اذى الوغى، فتحنا بحمد الله حصن كماخ

وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه، وكيف رد جوابه الحمق عليه، ومن جملته، وبعض ترجمته، انا ما جفوناه ولا تغلبنا عليه، ولكن رققنا له القول وتلطفنا اليه، وقلنا له يخرج من قروح مملكته مادة الفساد، وهي احمد الجلايري وقرا يوسف التركماني اللذان اخربا البلاد واهلكا العباد، والرضى بالمعصية معصية، والاقرار على الكفر كفر والفاسق المجذوم البائس، شر من الفاجر الظلوم اللابس، فصارا في الفساد وزيريه وهو الامير، وفي العناد صغيرين وهو الكبير، وعاشراه على ذلك وواليا، فلبئس المولى ولبئس العشير، فافسداه وما انصلحا، وخراه وما ربحا، فكانه عنى شانهم، من اظهر قولهم وشانهم، بقوله

شعر

ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة، اليها ولكن الصحيحة تجرب

ولم يزل على طريقته العوجاء، فاشبه لما اجاءهم مجبرام عامر العرجاء، فنهيناه فما انتهى، ونهناه فما ارعوى، واريناه العبر في غيره فما اعتبر، وناداه لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر، وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا، على عادة حشمتنا وادبنا في المراسلات ورسمنا، فتعدى طوره،

صادر في ممالكه

وابدى جوره، وكان في بعض مراسلاته، وما وضعه في مكاتباته،
كتب اسمه تحت اسم طهرتن، وهذا هو الواجب عليه والحسن، ولا
شك ان طهرتن بالنسبة الينا، كبعض خدمنا واقل حشمنا، ثم
انه أغني بايزيد لا طالع كتابنا، ورد جوابنا، ووضع اسمه
فوق اسمنا بالذهب، وهذا لا فيه من كثرة الحماقة وقلة الادب،
ثم ذكر انه توجه بروم، استخلاص ممالك الروم، وتشدق في
هذا الكتاب، وتفيهق في هذا الخطاب، فهو احد اساطير
الكتاب، والاساطير المستعملة في الخطاب والجواب

ذكر ما عزم ابن عثمان عليه
عند انصباب ذلك الطوفان اليه

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده، وانه جعل طالعه في سماء الحرب
رصده، توجه لقتاله، واستعد لاستقباله، وكان على مدينة
استنبول محاصرًا آتيها وكفارها، وقد قارب ان يفتحها وتضع
الحرب عنها اوزارها، وان جنده كان عنده، ولكن امر بطارقة
الغزاة، والشواهين من كواسر جيشه والبزاة، وسراة السرايا
وكرام كرمان، واحلاس خيل السواحل وقروم قرمان، وامجاد
ولايات منتشا واساورة صاروخان، وجميع امراء التومانات
والصناجق، واصحاب الرايات ورؤوس الفيالق، ونواب
جميع الثغور والامكنة، مما هو جار تحت تختي بروسا وادرنة،
وكل من دبج البحر الاخضر من بني الاصفر عن رايته البيضاء
بالدم الاحمر، وفلق سويداء كل عدو ازرق بسهامه السود
على جواده الابلق، ان يعملوا مصلحتهم، ويأخذوا حذرهم
واسلحتهم، واستعان في ذلك بكل بطريق وعلج مارجي داخل
في امان المسلمين على قتال كل باغ وخارجي، واستدعى التتار،
وهم قوم ذوو يمين ويسار، ناس سوادج، لهم مواش نواتج

ملاووا

ملأوا الاقطار بمواشيهم، وعلوا الشواهق والبوادي برؤسهم
وحواشيهم، ربما يكون لواحد منهم عشرة الاف جمل، ما منها واحد
حمل، ومثل ذلك افراس، ما اسرج لها ظهر ولا الجم راس، واما
الغنم والبقر، فلا يحصى عددها ولا يحصر، وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر، لهم في ممالك الروم وقرمان الى ضواحي
سيواس مشتات ومصايف، وللملوك والسلاطين عليهم اعتماد
كالهم في انواع المبرات وظايف، لو قصدهم فقير او غريب، او
طالب علم واديب، جمعوا له من الغنم والبقر، والصوف والشعر،
والسمن والاقط والوبر، ما يكفيه وذويه الى اخر العمر، وكانوا
يسمّون لكثرتهم وما معهم من الامم، ثمانية عشر الف عالم، فلبى
كل من صدى هولاء الجبال مدى صوته بالاجابة، وبادر الى
امتثال اوامره بالاطاعة والانابة، وانبعث اليه التتار بعضهم
وقضيضهم بعثا، وقتّ اليه اطواد عساكرها وبحار جنودها
قتّا، وحث على ملاقاة تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حثا،

ذكر ما فعله ذلك الخداع المكار
وسعيه في تخذيله عن ابن عثمان جنود التتار

فلبث تيمور في امره، واستورى زناد فكره، فاورى زناده ناره،
ان يخذل عن ابن عثمان تتاره، فارسل الى زعمائهم، والكبار من
امرائهم ورؤسائهم، واميرهم يدعى بالفاضل، وكان في المكرمات
من الافاضل، غير انه ما مارس الايام، ولا اطلع على مكائد اللئام،
أن حسبكم حسبي، ونسبكم متصل بنسبي، وان بلادنا بلادكم،
واجدادنا اجدادكم، فكلنا فروع نبعة، واغصان دوحة،
وان اباءنا من قديم العصر، وغابر الدهر، نشأوا في عش
متوحد، ودرجوا في وكر غير متعدد، فانتم في الحقيقة
شعبة من شعبي، وغصن من اغصاني، وجارحة من جوارحي

وخالصتي وخلاني، وانتم لي شعار، وباقي الناس دثار، وان كان الناس ملوكًا بالاكتساب، فانتم ملوك بالانتساب، وان اباءكم من قديم الزمان، كانوا ملوك ممالك توران، فانتقل منهم طائفة من غير اختيار، الي هذه الديار، فاستوطنوها وهم علي ما هم عليه من الكرامه، وشعار السلطنة واسباب الزعامه، ولم يزالوا علي هذا النشاط والهزه، الي ان اندرجوا الي رحمة الله تعالي وهم علي هذه العزه، وكان المرحوم ارتنا اخر ملوككم، واكبر ممالك في بلاد الروم اصغر مماليككم، ولبس بحمد الله في شوكتكم فله، ولا في كثرتكم قله، فاني رضيتم لانفسكم بهذه الذله، وان تصيروا مسخرين، كانكم من المسخرين، وبعد ان كنتم اكابر متكبرين، كيف صرتم اصاغر مصغرين، ولستم بلا رهوان ولا مضيعه، وارض الله واسعه، ولم صرتم مرفوقي رجل من اولاد معتوقي على السلجوقي، ولا ادري ما العلة لهذا والسبب، ومن اين هذا الاخاء والنسب، سوي عدم الاتفاق، وانتفاء الاتساق، وعلي كل حال فانا اولي بكم، واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم، وان كان لا بد من سلطانكم هذه التخوم، وبسط تلك البلاد الفسيحة بمضايق ممالك الروم، فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها، مالكي نواصي صياصيها راقين سنامها، باسطي اياديكم فيها قابضين زمامها، وهذا المهم انما يتم اذا كفينا هذه المنازله، وقضينا الارب من هذه المناضله، وتمهد لنا الميدان، وارتفع من البين ابن عثمان، فاذا خلا الجو من المنازع، وصفت لي في هذه البلاد المشارع، وظفرت بهذه الممالك، وسلكت فيها الطرق والمسالك، اعطي القوس باريها، وانزلت الدار بانيها، ورددت المياه الي

مجاريها، وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها، وقررت كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها، وحدها وضواحيها ان لا تتعبوا علينا، وامكنكم ان تنحازوا الينا، وان رايتم فرصتكم، وخذوا من انتهازها حصتكم، فاغتنموا صورة ومعنى، واما الان فكونوا بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا، حتى اذا التقينا امتازوا، والى عساكرنا انحازوا، ولا زال الحل كلامه ينثر وعلى جمر جمرهم ولا يجف مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر، غائصًا في درر افكارهم ليردهم عن ان تتبع ابن عثمان وتعفر، كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر، حتى خلبهم بهذا المقال، واستخفهم في معنى ما قال، واستهواهم حب الرياسة الذي طالما استرق احرار الصديقين، واستعبد كبار الاولياء والصالحين، وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين، فوافقوه على الانخزال، عند المواقفه للنزال

ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل وتوجهه الى ملاقاة تيمور بعسكره الثقيل

فاما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم على بلاد الروم، لان الزروع كانت قد استحصدت، وصدور الفواكه والثمار قد استنهدت، وخضراوات الارض قد اسودت، والرعايا في ظل الامن والرفاهية قد امتدت، فخشي ابن عثمان ان يصيب العباد منه ضرر، او يتطاير الى قبائل بلاده من لهيب نارة شرر، فبادر الى ملاقاته، وساقته سوابق المنون الى شرب كاسها في ساقاته، واراد ان يكون مصطدم الناس خارج بلاده على ضواحي سيواس، فاجري من عساكره السيول الهامره، واخذ بهم على قفار غامره، حذرًا على

كاسها

رعاياه ، من مواطئ مطاياه ، فانه كان على الضعيف من رعيته شفيقا ، وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقا ، يحكى انه كان في بعض مغازيه ، فعطش بعض حواشيه ، فاتى في قرية بعض النساء ، فطلب منها شربة ماء ، وكانت اشام من البسوس يضرب بها المثل في اللوم والبوس ، فقالت ما عندي ما تشرب فخذ طريقك ولا تتعب ، وكان العطش قد غلبه ، ورأى عندها في بعض القعبة شيئا لبن فشربه ، فقالت هذا قوت الصبيان واشتكت عليه لابن عثمان ، فطلبه واستفسره ، فخاف شدة نقمته فانكره ، فقال للمرأة انا ابعج قبقبه ، واتبين صدقه وكذبه ، فان ظهر في بطنه اللبن اعطيتك الثمن ، وان تبينت بالصدق قوله ، جعلتك مثلة مثله ، فقالت والله انه شربه ، وما فهت في حقه بكذبه ، ولكني فرجت كربته وابرأت ذمته ، فقال لا بد من اجراء العدل ، وانهاء هذه الحكومة بالفصل ، ثم دعا بالسيف ووسطه ، واجرى على بطنه ما شرطه ، فانبعج بطنه وهو منبعق ، وجرى اللبن وهو بدمه ممتزج ، فاشهره في الوثاق ، ونادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيئا بغير استحقاق ، ثم ان ابن عثمان تابع الترحال ، وسلك في رمضان السفر صوم الوصال ،

ذكر ما فعله ذلك الساقطه مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان اخذ على الطريق العامره ، نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ على الجادة العامره ، فدخل هو وعسكره على ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون ولسان حالهم الفصيح ، ينشد في الآفاق ويصيح ،

شعر

ولستُ

ولستُ أبالي بعد ادراكي العُلى ، أكان تراثًا ما تناولت ام كسبا

فلم يزالوا في مراح وتراوح ، ومراع وضروع ، بين سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وهواء بالراحة مصبوب ، ونعيم بالسلامة مصحوب ، في امن ودعه ، وخصب وسعه ، آمنا من الوجل ، سائرا على غير عجل ، مستيقنا بالنصر والظفر ، مستبشرا بالملك والوزر ، مستتبعا تدبيره القضاء والقدر ، لا تبرد حرارة حميته لتسخين عين عدوه واحراز المغنم البارد فترة ولا في الكليل كواكب عساكره المنتظمة نثره ، ولا بين اسود جيشه مكاشرة ولا نفره ، ولا في قوائم الاعادي الهزيمات على موائد طعام اطعامهم جبن ولا كسره ، فلم يفق ابن عثمان من رقاده ، الا وتيمور قد دمر على بلاده ، فقامت عليه القيامه واكل يديه حسرة وندامه ، وزاد زفرا وزرقا ، والتهب حنقا وكاد ان يموت خنقا ، وسلب القرار والهجوع ، وعزم في الحال على الرجوع ، فتلاطمت من بحر عساكره امواجه وتصادمت اثباج اطواده وابراجه ، فرجع عوده على بدئه واغرى بوصال السير وحثه ، فنهكهم السير بسرعته والمكان بقفرته ، والزمان بهجيره ، والسلطان بزئيره فلم يدركوه الا وقد ذاب كل منهم وصبا ، وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ،

فصل

وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره ، وخيله ورجله مستريحة موفره ، للقتال منتظره ، وللنزال متشمره ، بل لم يكونوا به مكترثين ، ولا به مختلفين ، وقد سكروا الصناديد قريش الى الماء ، وتركوا عساكره كسلي بدرٍ في جانب الظماء ، فهلكوا كربا وآوا ما ، وذابوا عطشا بلا ماء ، وكانه الى ذلك المنزل هو

ارشدهم وبلسان حاله انشدهم

شعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ۞ نحن الضيوف وانت رب المنزل

وانقرة هذه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الكنانة وهي

شعر

نزلوا بانقرة يسيل عليهم ۞ ماء الفرات يجيء من اطواد

فاذا النعيم وكل ما يلهى به ۞ يوما يصير الى بلى ونفاد

فلما تدانت الجيوش من الجيوش، وضربت الوحوش على الوحوش، وامتلأت منهم الصحاري والقفار، وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار، اندفعت من عساكر ابن عثمان التتار، واتصلت بعساكر تيمور كما رسم اولا واشار، وكانوا هم صلب العسكر والاوفر من عساكر ابن عثمان والاكثر، حتى قيل ان جماعة التتار كانوا نحوا من ثلثي ذلك العسكر الجرار، بل قيل ان ذلك الجمهور كان نحوا من ثلثي جند تيمور، وكان مع ابن عثمان من اولاده اكبرهم امير سليمان، فلما راى ما فعلته التتار علم انه حل بابيه البوار، فاخذ باقي العسكر، وقهقر عن ميدان المصاف وتاخر، وترك اباه في شدة الباسا، وانخزل بمن معه الى جهة بروسا، فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن دانا هم، وبعض من الكماة وقليل ما هم، فثبت للمجادلة بمن معه من الرفاق، وخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق، وكانه في تلك المعركة والمعركة كان متمثلا بما قاله عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ۞ مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها ۞ لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فصبر لحادث الدهر وما ازم، واراد ان يفتي على مذهب الامام مالك بما به التزم، فاحاطت به اساورة الجنود، احاطة الاساور بالزنود، وحين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسرة، وعلت

انها تورطت في جيش العسرة، وثبت المشاة على الكماة، واستعملت الاطيار، وكل صارم بتار، وكانوا في ذلك المصاف نحوا من خمسة الاف، فسددوا انداد هم، واباد وا اعدادهم، ولكن كانوا كسا في الرمال بالكربال، او كايل البحار بالغربال، او محاولي زنة الجبال بقراريط المثقال، فامطروا على قلل اوليك الاطواد وجفول ذوات تلك الاسود، من غمام القتام صواعق دم المدميات وامطار السهام السود، ونادى محرش القدر، وصياد القضاء الكلاب على البقر، فلم يزل الوابل وفيد ورافد، ومضروب بحكم القضاء نافذ، حتى صاروا كالشياهم والقنافذ، واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر، وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر، ثم لما كلت منهم السواعد، وقل المؤازر والمساعد، وتحكم فيهم الاباعد، والمباعد تتقفوهم بالسيوف والرماح، وملأوا بدمائهم الغدران وباشلائهم البطاح، ووقع ابن عثمان في قنص، وصار مقيدا كالطير في القفص، وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقرة، يوم الاربعا سابع عشرين ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة حجة، وقد قتل غالب العسكر العطش والضموز، لانه كان ثامن عشري تموز

فصل

ووصل امير سليمان الى بروسا معقل ابن عثمان، فاحتاط على ما فيها من الخزاين والاموال، والحريم والاولاد ونفايس الاثقال، واشتغل بنقل ذلك الى برادرنه، وراء البحر المحيط بكثير من الامكنة، المتشعب من بحر مصر الاخذ بعد ما يتعدى برسا الى بلاد الدشت والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس

ذكر ما وقع من الخباط بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر ورباط

ولما حصل لراس مملكة الروم هذه الوعكه، واندعكت اجرام
عسكره الجسام اقوى دعكه، واختى عليهم الجد المشوم، ونعق
في صباحها غراب البين ورعق في رواحها البوم، وتلا في محراب
انسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم، خضعت
رؤسها ونواصيها، وتزلزلت حصونها وصياصيها، وترعزع
دانيها وقاصيها، وانبهر طايعها وعاصيها، فحاصوا حيصة
الحمر، وايسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر، اذ فقد
ذهب منهم الراس، ولم يبق فيهم من يقيم الباس، فلما سمعوا
ان امير سليمان ضم الناس الى بحره، وعزم على العبور الى برادرنه
بقطع بحره، سالت بهم الاودية والشعاب اليه، وعولوا في
خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه، فصالح اهل استنبول
وداذهم، وعاهدهم على ان لا يغدر كل منهم بالاخر وما ذمهم
قصدهم ان يعينوه على الوصول، بقطع البحر من ثغري كاليبولي
واستنبول، اذ ليس لهذين البحرين، من هذين البرين،
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين، فان بحر اسكندريه
ياخذ على انطاكيه، وعلائيه ثم يروم، بلاد الروم، فيتحصره
الجبال، قبل وصوله بلاد الشمال، فلا يزال الحصر يدق، وشفتا
جانبيه ترق، حتى يتراى حافتاه، ويكاد تنطبق شفتاه،
ومسيرة هذا الانضمام، نحو من ثلاثة ايام، ثم ياخذ
في المد والانبساط، والجريان على وجه النشاط، ثم تدور
كتائب امواجه وتتكردس، وتاخذ نحو بلاد الدشت والكرج
حتى تتصل كما ذكر الى بلاد الجركس، وما امكن احدا من سواحي
الحكمة ومهندسي النواتى، ان يعبر هذين المعبرين في مدة

هذا

هذا الانضمام ثالث، فثغر كاليبولي بيد ملاحي المسلمين، وثغر
استنبول بيد النصارى اعداء الدين، وهما اعظم الثغرين، واهم
المعبرين، وكانت النصارى ملاحيه، فصار غالب الناس يقصده
وينتحيه، فاستطارت الزنج فرحا واستطالت، وخاضت
في دماء المسلمين وحريهم واموالهم وجالت، فان ابن عثمان كان
بالحصار قد انهكها، وابادقراها وضواحيها واهلكها، وضيق
على اهلها في مجاري ارواحهم مسلكها، فبينما هم وقد بلغ السيل الربا،
وجاوز الحزام الطبا، وانشب كل شئ فيهم حده، واذا بتيمور
جاءهم بالفرج بعد الشده، فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان،
وحصل لهم بذلك الفرج والامان، وزاد ذلك بان احتاج المسلمون
اليهم، وترامو في طلب الخلاص من العدو عليهم، فبعد ان زالت
عنهم الغصص، اغتنموا في درك الثارات من المسلمين الفرص،
فجعلوا يوسقون المراكب من الناس والحمول، ويتوجهون
بذلك الى صوب استنبول، وان استنبول وراء ذروة
جبل، ومخزنة خلف قلة من القلل، وهي من اكبر مدن الدنيا،
حتى قيل انها قسطنطينية الكبرى، فكانوا اذا عطفوا وراء
تلك الذروة بالمراكب، واستتروا بالهضبة النائية عن عين
من هو في هذا الجانب، يصيرون كالاموات النازلين الى
الحفائر، الملقين في قعر اللحود والمقابر، لا يدرى الى اين
يتوجهون، والى اي ناد يصيرون، الى بر السلامة والاسلام
ام الى دار الحرب واسر الكفرة الطغام، فيذهب منهم الذاهبون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون، فاذا جاءت
المراكب وهي فوارغ، تعلق كل من هذه الخلايق فيها بجهد
كامل وجد بالغ، ولم يدر ماذا يجري عليه، والى ماذا يصير
امره اليه، واشبهوا في ابصارهم الكليله، وخطوبهم الجليله،

مالكا الحزين والسمك المذكورين في كتاب كليله • وحاصل
الامر انه لم يسلم من ذلك السواد الاعظم • في كل غراب ادهم
الا مثل الغراب الاعصم • واستطالت اعداء الدين • كيف
شاءت على المسلمين • وقطع امير سليمان البحر • واستولى
على ذلك البر • وضبط ممالكه • وربط مسالكه • وهو اوسع
من هذا الجانب وافسح مرجا • وادر ريعا واكثر خراجا
وخرجا • واعظم حصونا وامكنه • وتحته مدينة
ادرنه • فاجتمع الناس على امير سليمان • وسهل الامر في
الجملة شيئا ما وهان

ذكر اولاد ابن عثمان
وكيف شتتهم وابادهم الزمان

وكان للسلطان بايزيد الذكور من الاولاد الذكور •
امير سليمان هذا وهو اكبرهم • وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى
وهو اصغرهم • وكل منهم طلب لنفسه مهربا • وانحاز اليه
من ابيه طائفة بجبال • فكان منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه
وهي خرشنة الشاهقة العاصية • التي قال فيها ابو الطيب •

شعر

حتى اقام على ارباض خرشنة • تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا • والنار ما زرعوا والنهب ما جمعوا

وقلعتها شاهقة • كانها بقبة الفلك عالقه • بعيني النازل
عنها في نزوله منها • اكثر مما يعني الصاعد الى غيرها • يسميها
اهلها بغداد الروم • لان قرار ارضها بنهر كبير من الوسط
مقسوم • وبينها وبين توقات مسيرة يوم للمجد • واما
عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان • الى ان قتله اخوه
امير سليمان • وموسى فيما بعد قتل امير سليمان بعيسى • ثم

ان محمدا قتل بعد الكل موسى • ونسخ الاحكام المحمدية شرايع
الملة الموسوية والعيسوية • الى ان مات حتف انفه في اوايل
سنة اربع وعشرين وثمانمائة او مات بشيء دس اليه على يد
قوجقار في الهدايا الملكية المؤيدية • وانتقل الملك من
يده • الى مراد ولده • وهو في يومنا هذا اعني سنة اربعين
وثمانمائة مستقل به • واما مصطفى فانه قد فقد وقتل نحو
من ثلاثين مصطفى بسببه

عود الى ما كنا فيه
من امور تيمور ودواهيه

ثم انه تيمور لما قبض على ابن عثمان • جرد الى برصا طائفة من
الجنود والاعوان • واضافهم الى الشيخ نور الدين • ثم اتبعهم
بوقا رمكين • وجاش مستكين فوصل اليها • ونزل نزول
القضا المبرم عليها • وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن
عثمان وحرمه • وامواله وخزائنه وحشمه وخدمه •
وخلع على امراء التتار ورؤسهم • واستعطف خواطرهم
بتطييب نفوسهم • ووزع امرائهم على مراتبه • واضاف كل طاهر
منهم الى زاهر من رؤسائه • ووصاهم بهم وعليهم • وبالغ في ان
يصلوا ما امكنهم من البر اليهم • ومشى على عشيه القادم • في
استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبي الحرائم • وجعل
يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه • ويلاطفه ويباسطه
ويترفق اليه • ويسخر منه ويضحك عليه

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكايه
عدتها وصارت الفضيحة على مر الزمان حكايه

ثم انه في بعض الايام • جلس في مجلس عام • وخفض جناح
النشاط للخاص والعام • وطوى بساط النهي والامر • ومد

بُسماط الجمر والزمر، وحين غصّ بالناس المكان، استدعى بعض بعًا ابن
عُثمان، فجاء وفؤاده يرجف، وهو في قيوده يرسف، فسكّن
قلبه، وازال رُعبه، ثم احسن جلوسه، وازال بالانتعاش
اليه عبوسه، ثم امر بافلاك السرور فدارت، وبشموس الراح ان
تسير من مشرق اكواب السقاة الى مغرب الشفاه فسارت، وحين
تقشعت عن شموس السقاة سحاب الخدود، ودارت في سماء
العشرة بجوم بجثها من مراسيه بروج وبدور، نظر ابن عثمان
فاذا السقاه جواريه، وعامتهم حرمه وسراريه، فاسودت
الدنيا في عينه، واستحلى مرارة سكرات حينه، وتصدع
قلبه، ونضر لبّه، وتزايد كمده، وتفتت كبده، وتصاعدت
زفراته، وتضاعفت حسراته، ونكى جرحه، واغذ قرحه،
ونثر على جرح مصابه من قصبات الاسى ملحه، وكانت هذه
نكاية لابن عثمان بما اسلفه، في مكاتباته بذكره النسا وحلفه
لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاى وقبايل الترك من اكبر
الحُرُم، واعظم من الخيانة في الحُرُم، وايضًا مكافاة لما فعله
ابن عثمان، مع حريم طهرتن في ارزنجان، ومن تمام اساءته لابن
عثمان، احسانه لاولاد ابن قرمان، وكان قبل ذلك ابن
عثمان، قد استولى على ممالك قرمان، وقتل متوليها السلطان
علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه، ونقل الى حبس بروسا
محمدًا وعليا ولديه، فلم يزالا عنده في ضيق وضنك، حتى
افرج عنهما بالحبس عليه تمرلنك، فاخرجهما وخلع عليهما
وابرهما واحسن اليهما، واولاهما ما اواهما، وليس ذلك لحب
على كرم الله وجهه ولكن لبغض معاويه، **قلت**
ولم يرفض معاوية حبا لعليا بل لان ربي يزيدا،

وقيل

وليس

وليس لحبه يحنو عليه ، ولكن لبغض قوم آخرينا،

وقلت بديعًا

أُصادق ضدّ اعدائي وان لم ، يكن بيني وبينهم ولاءُ
وابغض من يعادي لي صديقا ، وانا اثني على بما اشاءُ
وذاك لينتكي ضدي ويهنا ، فتى قد سرني منه الاخاءُ

والامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين محمد بن
دلغادر امير التراكمة المسدنين، وقتل ولده مصطفى في البلا،
وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا، وذلك في شهر رجب سنة
احدى وعشرين وثمانمائة

ذكر وفود اسفنديار عليه ومثوله سامعًا مطيعًا بين يديه

ثم ان الامير اسفنديار بن بايزيد، وهو احد ملوك الروم وله
في السلطنة قصر مشيد، ورث الملك عن ابيه وكان مستقلا
بالامر، وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة ونفره،
وتحت حكمه بعض مدن وقلاع، واوهد وبقاع، منها مدينة
سينوب الملقبة بجزيرة العشاق، يضرب بظرافتها المثل في
الآفاق، وهي في لنخ من البحر في جزيرة كبيره، سبيل الاخول
اليها عسيره، بها جبل احسن من ارداف الحور، متصل
بمعبرها من رقيق الخصور، وهي معقل اسفنديار
ومعاذه، وحرز خزائنه وملاذه، اعصى من ابليس،
واوثق من كف بخيل يخاف التفليس، ومنها قسطمونية
تخت ملكه، ونحر فلكه، ومنها سامسون وهي قلعة على
جانب البحر للمسلمين، مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين،
بينهما دون رمية حجر، وكل منهما آخذة من الاخرى الحذر،
وغير ذلك من القلاع والقرى، والقصبات في الوهد والذرى،

ولما بلغه ما فعله تيمور الغدار، مع اولاد ابن قرمان والتتار
ومع قرايلوك وطهرتن حاكم ارزنجان، والامير يعقوب بن
علي شاه متولي كرمان، ومن توجه اليه من حكام منتشا
وصاروخان، وانه لا يهيج من اطاعه، وتلقى لاوامره
بالسمع والطاعه، سارع الى المثول بين يديه، وتهيأ
للوفود عليه، فاقبل بالتحف العاليه، والتنف الغاليه،
فقابله بالبشرى، وعامله بالحسنى، واقره في مكانه نكاية لابن
عثمان، ثم امره واولاد قرمان، ومن اتسم له بميسم الطاعة
والاذعان، من امراء تلك الاكناف والاكنان، ان يخطبوا
ويضربوا السكة باسم محمود خان، والامير الكبير تيمور
كوركان، فامتثلوا اوامره، وتجنبوا زواجره، وامنوا
بذلك الغارة والمصادره، وتوفي اسفنديار المذكور
في شهور سنة ثلاث واربعين وثمانمائة وهو طاعن في
السن وهو من اواخر الملوك الذين وفدوا على تيمور،
واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ووقع بينه وبين
اخيه قاسم بك مشاجرات وانحاز قاسم الى الملك مراد بن عثمان
ولله الامر من قبل ومن بعد

فصل

ثم ان تيمور اخرج ما لابن عثمان وغيره من الذخائر، واستصفى
لخزائنه ما كان ادخر الملوك الاروام من النفائس
والاخاير، وشتى في ولايات منتشا، والقى لديها مراسي مباحث
تصريفه كيف شا، وانتهى الى اقصاها، وجرد البحث في مسائل
الخمس والمغانم فاستقصاها، وانبثت جنوده في افاقها،
وغاصت في بحار ممالكها من اشباح اطوادها الى قرار اعماقها،
فمن فارع الى اجبال جباهها وقمم صياصيها، ومن متعلق باذيال

مراميها

91

مراميها ومتسلق باذيال نواصيها، ومن راكب اكتاف اكنافها
نازل في سواحلها، دائس بارجل سعيه خدود روضها الانف
حابس بتجاهل مناهلها، ومن دامغ دماغها بالهذاب رماحه لاجل
العين، بالغ من غير حاجب لمنتهى ما رام باليد والبدين، ومن
خال على نهد صدرها، تالٍ رؤسها ووجوهها للجبين على ظهرها،
ومن مادٍّ انامل تعديه من غير كف الى معاصمها ومرافقها،
كادٍّ باقدام الفساد في بطون مغارها وافخاذ مشارفها، فجزّوا
الرؤس وحزّوا الرقاب، وفتّوا الاعضاد، وبتّوا الاكباد،
وحرقوا الاكباد، وشوّهوا الوجوه واسالوا العيون،
واشخصوا الابصار وبطّوا البطون، واخرسوا الالسنه،
وصكّوا المسامع، وارغموا الانوف، واذلّوا العرانين،
وهشّموا الثغور، وحطموا الصدور، وقصموا الظهور،
ودقّوا الفقر، وشقّوا السرر، واذابوا القلوب، وفطروا
المرائر، واراقوا الدماء، واستباحوا الفروج، واحرجوا
الانفاس، وابادوا النفوس، وسبكوا الاشباح، وسلبوا
الارواح، ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع،
وصارت جماعاتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية
ونطيحة وما اكل السبع

ذكر فتح قلعة ازمير وحتفها ونبذة من عجيب وضعها ووصفها

وحاصر قلعة ازمير، وهي حصن في وسط البحر مناله عسير
بهمزة مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء
مهملة، قلعة قد اقلعت في البحار، واضرمت في قلب خاطبها
بتمنعها وعصيانها النار، اعصى من قلاع الجبال، واقصى
في المنال ان تنال بخيل ورجال، فاعد لها انواعا من الا

المحاصرة، واخذ يوم الاربعاء عاشر جمادى الاخرة، سنة خمس
وثمانمائة، سادس كانون الاول من السنين الرومية، فقتل
كبارها، واسر نساءها وصغارها، وبنى من ابدان القتلى جوامع
وشيد من رؤسها منارها، ثم سلب عن القلعة غناءها وافقرها،
واقوى من ذخايرها واقفرها، واخلاها وقد استصفى منها
ابيضها واصفرها، وطير بهذه الامور اجنحة البشاير، واطارها
على رغمه في الآفاق باسعد فال واسرع طاير،

ذكر ما صنعه من امر مردم، وهو في بلاد الروم، من قصده
بلاد الخطا، واستخلاص ممالك الترك والجتا، وافكاره
وهو في الغرب مشغوله، في استصفائه سائر ولايات
الشرق والمغول، وكيف عاندته القضاء المبرم، بنازل
الهب فواده واضرم، فصادمه الزمان وعكس
غرضه، وهذه كالجملة المعترضة،

ثم ان تيمور كان قد استدعى من سمرقند سبطه، محمد سلطان
والامير سيف الدين ورهطه، كما ذكرا اولا وكان محمد سلطان هذا
للفضلا ملاذا، وللعلما معاذا، مخايل السعادة في غضون جبهته
لايحة، وبشاير النجابة من اسارير طلعته واضحة،

شعر

في المهد ينطق عن نجابة جده، اثر السعادة لايح البرهان،

وسيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور في مبداه، واس اركان
دولته في منتهاه، وهما اللذان كانا نجيا اشاره، واسسا
فيه قواعد النهب والغاره، وهي في نحو بلاد المغول والجتا،
واقصى حدود ما ينتهي اليه حكم تيمور ومبدا بلاد الخطا، وولياها
اميرا يدعى ارغون شاه، وامداه بطوايف من العساكر في
ثغر المغول ارصداه، كل هذه الامور، باوامر تيمور، ولما شرعا

في ذلك

في ذلك، لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك، لانهم كانوا يعلمون ان
ذلك الافعى، اذا جاورهم لابدانه في الفساد يسعى، فلا يامنون
غايلته، ولا يطيقون مجاورته، فتشوشت خواطرهم، وتكدرت
ضمايرهم، فاستوفزوا للفرار، واخلاء الديار، فزاد الجتاي
فيهم طمعا، ومد كل من اشرار الطايفتين الى الاضرار يد التطاول
ورجل الفساد وسعى، وشربه كاسات التحرم فاكل ما حل بيده وما
تزهد في تعففه ورعا، وفرح الجغتاي بذلك، ووقعت
العداوة بين الجانبين فسد كل على الاخر طرق المسالك، وجعلوا
يرسلون اليهم السرايا، ويحلون ما تصل يديهم اليه من متعلقاتهم
البلايا، وجعل المغول ايضا يفعلون مع الجغتاي ذلك،
وتربصوا بتيمور لبعده عنهم ريب المنون، وتشبثوا بعشوبات
المهالك، واتصل الخبر بتيمور، فسر بذلك اشد السرور، ثم انهما
حصناها بالاهبة الكاملة، والعدة الشاملة، والرجال المقاتلة،
منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان، وقوم من جند عراق العرب
واذربيجان، وفرقة من فوارس فارس وخراسان، وشرذمة
من اناس تدعى جاني قربان، واضافوا هولاء الكماة، مع نومانه
من باشاق الجغتاي الى الامير ارغون شاه، ووصلا الى الجند،
وقطعا سيحون وقدما سمرقند، ووليا بها اميرا يدعى خواجه
يوسف، فكان في قيد الطاعة والاخلاص يرسف، ثم خرجا
من سمرقند قاصدين ذلك الغشوم، ثم انهما ماتا جميعا سيف
الدين في خراسان ومحمد سلطان في بلاد الروم، فوقع تيمور
في الاحزان، على حفيده محمد سلطان، ولبس عسكره السواد،
واقاموا شرايط الحداد، ولم يكن بهم حاجة الى السواد المعلم،
فانهم كانوا السواد الاعظم، ثم جهز عظامه في تابوت، الى
سمرقند مع عظموت وجبروت، ورسم ان يتلقاه اهل المدينة

بالنوح والبكاء، ويقيمون عليه شرائط العزاء، وان لا يبقى احدٌ
من العباد، الا ويلبس من فرقه الى قدمه السواد، فخرج اهل
سمرقند عند موافاته، وقد انغمسوا في السواد لملاقي تره،
وصار الشريف والوضيع، والدني والرفيع، بالسواد متعلما،
فكانما أغشي وجه الكون قطعًا من الليل مظلما، فدفنوه بمدرسته
الحصينة المعروفة بانشائه، داخل المدينة وذلك في سنة خمس
وثمانمائه، ولما اوصل الله تعالى جدثه، دفنوه كما سيأتي ذكره عنده،

ذكر حلول غضب ذلك الجبار
على الله داد ونفيه اياه الى اقصى البلاد

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد، وفارقه تيمور متوجها
الى استخلاص بغداد، وكان الله داد، له انداد، واكفاء وحساد
واعداء واضداد، والحسد في عنق صاحبه غل قمل، وتحاسد
الاكفاء جرح لا يندمل، وجد اعداؤه للطعن فيه مجالا، وفي
مقام ثلب عرضه مقالا، فانتهزوا فرصة غيبته، واكلوا بلا
ملح لحمه، وتنقلوا بغيبته، ووشوا به الى تيمور، وذكروا ما
فعله في الشام من الامور، وانه التمس من ذخايرها ما لا يحصى،
واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى،
وكان كما قالوا، وما اهملوا الاكثر مما نالوا، فبذروا امره، واوغروا
عليه صدره، لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه،
وكان من الابهة والجلالة بحيث ان تيمور كان يخافه ويرتجيه، وله
في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهوده، ونتائج فكر باقية معهوده،
فلما وصل الله داد الى سمرقند، اعقبه تيمور مرسومًا من عنده،
بان يتوجه الى اشاره، ويستعد هناك للنهب والغاره، وذلك
كالنفي لاله داد، والقائه في اقصى البلاد، وطرحه في نحر المخالفين،
وثغر ذوي العناد، وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه، ولم يزل

بها

92

بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله، فجعلت المغول تجهز الى
اشارة الفيالق، وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق،
وتغتنم الفرصة لبعد تيمور عنها، وكان الله داد يحترز اشد الاحتراز
منها، وهو مع ذلك يجهز لهم التجاريد، ويحفر لهم بالكرا الآبار
والاخاديد، ويقتل ويأسر، ويبطش ويكسر، حتى اتوا بعد تيمور
وسيأتي ذكر هذه الامور،

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط
وما كان يصل اليه غواص فكره النشيط

ثم لما كان تيمور المشؤوم، مخيمًا ببلاد الروم، ابرد الى الله داد مراسله
فيها امور مجملة ومفصله، امره بامتثالها، وارسال الجواب
بكيفية حالها، منها ان يبين له اوضاع تلك الممالك، ويوضح له
كيفية الطرق بها والمسالك، ويذكر كيفية مدنها وقراها،
ووهدها وذراها، وقلاعها وصياصيها، وادانيها واقاصيها،
ومفاوزها واوعارها، وصحاريها وقفارها، واعلامها ومنارها
ومياهها وانهارها، وقبائلها وشعابها، ومضايق طرقها ورحابها
ومعالمها ومجاهلها ومراحلها، ومنازلها وخاليها واهلها، بحيث
يسلك في ذلك طريق الاطناب المهل، ويتجنب مآخذ الايجاز وخصوصًا
المخل، ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين، وكيفية السير بين كل
مرحلتين، من حيث تنتهي اليه طاقته، ويصل اليه علمه ودرايته،
من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور، والى حيث ينتهي اليه
من جهة سمرقند على تيمور، وليعلم ان مقام البلاغة في معاني
هذا الجواب، هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل واطناب،
وليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلاله، وليعدل عن
الطريق الخفي في هذه الرساله، الى ان يفوق في وصف الاطلال
وحدود الرسوم، وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم،

فامتثل الاميرداد ذلك المثال، وصوّر له ذلك على احسن هيئة و
تمثال، ونقوّانه استدعى بعدة اطباق، من نقي الاوراق ولحمها
بالالصاق، وجعلها مربعة الاشكال، ووضع عليها ذلك المثال
وصوّر جميع تلك الاماكن، وما فيها من متحرك وساكن، واوضح
فيها كل الامور، حسبما رسم به تيمور، شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً،
يميناً وشمالاً، مهاداً وجبالاً، طولاً وعرضاً، سماءً وارضاً،
مرداء وشجراء، غبراء وخضراء، سهلاً منهلاً، ومنزلاً منزلاً،
وذكر اسم كل مكان ورسمه، وتمييز طريقه ووسمه، بحيث انه
بيّن له فصله وعيبه، وابرز الى عالم الشهادة غيبه، حتى كانه
مشاهده، ودليله ورائده، وجهز ذلك اليه حسبما اقترح
عليه، كل ذلك وتيمور في بلاد الروم يمور،

ذكر ما فعله ذلك المكار
عند تنجيزه امر الروم من الغدر بالتتار

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر، وقضى الكون من
افعاله العجب واهل الروم النحب وجيشه من الغارة الوطر،
وامتلا من الغنائم وادي سيله العرم، وكان فتى الربيع فادرك
وشيخ الشتاء قد هرم، واندرج الى رحمة الله الحميد السلطان
السعيد، الغازي الشهيد، ايلدريم بايزيد، وكان معه مكبلاً في
قفص من حديد، وانما فعل ذلك تيمور، قصاصاً كما فعله قيصر
مع شابور، وكان قصد استصحابه الى ما وراء النهر، فتوفي عنه
في بلاد الروم في آق شهر، وفي هذا المكان، توفي حفيده محمد
سلطان، وعزم على الرحيل، وحزم احمال التحميل، ثم جمع رؤس
التتار، وقد اضمر لهم الدمار والبوار، وقال قد آن ان اكافيكم
بما صنعتم، واجازيكم بما فعلتم، ولكن قد اضر بنا المقام،
وملّنا الاقامة في مضايق الاروام، فهلم نخرج الى الفضا الفسيح،

ونشرح صدورنا من ضيقي الزمان والمكان في الهامة الفيح، ضواحي
سيواس، ومتنزه الناس، ومثوى الاكياس، فهناك نضبط
احوال هذا الاقليم الوريف، ونقرر كلاً منكم فيه حسبما يقتضيه
راينا الشريف، فانه لا بد من تفصيل جمله، واعمال النظر في كيفية
تدبيره وعمله، وحصر مدنه وقلاعه، وضبط قلاعه وضياعه،
وحسبان توامينه واقطاعاته، والاحاطة بافراده وجماعاته،
فاذا فُصّل لنا ما أجمل، ووضح عندنا ما منه استشكل، فحصنا
عن رؤسكم وحاجاتكم، وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجمكم،
وجمعنا رؤساكم، وحصرنا زعماكم، واحصينا اعدادكم،
واستقصينا اباكم واجدادكم، واعتبرنا اخوانكم واولادكم،
ونظرنا متعلقيكم واحفادكم، وحققنا شعار الروم ودثارهم،
واورثناكم ارضهم وديارهم، ثم فرضنا هذه المسالة على اعداد الرؤس،
وقسمنا تعاكيس هذه الممالك على النفوس، ثم رددناكم اليها
مكرمين، وكفيناكم وعيالكم العيلة اذ كنتم علينا معولين، وعلى كل
حال فانا نفعل مع كل منكم ما يجب فعله، ونبقي عليكم من افعالنا
ما يتحلى في بطون الدفاتر والتواريخ نقله، فكل منهم ارتاح لهذا
القول، وعوّل في هذه المسالة على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من
الغول، فاتفقوا على هذه الحركة بنفس ساكنة، لم يتخلف منهم في
هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم لمماثلة مباينة، فسار
بالناس حتى بلغ سيواس،

فصل

ولما برق ركام ركائبه المتراكم في افاق سيواس ورعد، وحان له ان
يفي لطائفة التتار بما وعد، جلس جلسة عامة، واقام من
زبانية الجند طائفة طامة، ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس،
والظهور والضروس، ومن تخشى مضرته، وتتقى معرته، والمرة

من شياطينهم، والعتاة من اساطينهم، فاستقبلهم بوجه طلق،
ولسان بالحلاوة ذلق، واجلسهم مكرمين في مكانهم، وزاد في تمكينهم
وامكانهم، ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها، وتبينت
جميع قراها وضواحيها، وقد اهلك الله عدوكم فاستخلفكم
فيها، وانا ايضا افوض ذلك اليكم، واذهب عنكم واستخلف الله
عليكم، ولكن اولاد بايزيد غير تاركيكم، ولا يرضون بان يكونوا
فيها مشاركيكم، واما صلحهم فقد سدت فعالكم مع ابيهم طريقه،
فلا مجال لكم الى شريعته على الحقيقة، ولا شك انهم يراقبون
صدعهم، ويندبون جمعهم، ويستوحون عليكم اهل المدر والوبر،
ويلبيهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم لانكم في زعمهم اهل الغدر،
فيلبسون لكم جلد النمر، ويصلونكم الجحيم بكل امر ومؤتمر، فيعرضونكم
من كل جانب، ويتخطفونكم من الاطراف والجوانب، لاسيما
وبيدهم غالب الحصون والدساكر، وتحت اوامرهم من بقي من
طوايف الجنود والعساكر، فان كنتم كما انتم في الناس فوضى،
فانهم يخوضون في دمائكم خوضا، فعوا واسمعوا، ان كنتم لم
تعقلوا ولم تسمعوا،

شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما انا فلست منكم بدان، ولا الى المدافعة عنكم بدان، فلا بد
لعقد امركم من نظام، ولصلاة جماعتكم من شرايط واركان
يجب القيام بها اولا والسلام، واول شرايط ذلك امام، يرجع
الى الاقتداء بافعاله الخواص والعوام، ثم بعد ذلك ترتيب
الجماعة، وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعة، ثم وضع
الاشيا في محلها، ورمام المناصب والوظايف في يد اهلها، وايصال
كل مستحق الى استحقاقه، وجمع الراي على امر واحد باتفاقه،
فاذا اتفقت اراؤكم، وائتلفت اهواؤكم، وعظمت ابناؤكم،

وكبتت

وكبتت اعداؤكم، وكنتم يدا واحدة على من ناواكم، وانتصرتم على من
خالفكم وعاداكم، وكان ذلك احرى ان لا تمتد اليكم بمكروه يد، ولا
ينالكم من مخالفيكم كيد ولا كد، وهذا انما يتم بالنظر في احوالكم،
والتفحص عن امر خيلكم ورجالكم، وضبط الاهبة والسلاح،
فان ذلك آلة الظفر والفلاح، فليذكر كل منكم ولده واهله،
وليحضر خيله ورجله، وليأت بعدده وعدده، وجنده وولده،
وليعرض ضرورته ان كانت، ولا يستصعبها فقد هانت، فمن
كان محتاجا الى كمال شيء اكملناه، ومن كان مفتقرا الى ايصال
شيء اوصلناه، واضفناه الى كل ما يجب اضافته، فيحصل
امنه وتذهب مخافته، فاعرضوا اول شيء علينا سلاحكم،
حتى نكمله ونعمل صلاحكم، فاحضر كل منهم اهبته، وعرض
عليه عدته، وطرحوه في ذلك الجمع النظيم، فتراكم فكان
كالطود العظيم، كما فعل اول الزمان باهل مدينة سجستان،
فلما سلب تلك الاسود براثنهم وانيابهم بهذه الاساليب،
وخلب اولئك الكواسر الجواسر على مناقيرهم والمخاليب،
واولج صارم فكره الذكر في احشاء عقولهم وانزل، وصار سماك
عزمهم الرامح وقد نحره سعد الذابح اعزل، امر كل من عنده
احد من التتار، ان يقبض عليه ويوثقه بقيد الاسار، ثم
امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه، وقد اشعل قبايل التتار
بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه، ففت ذلك من اعضادهم
وفت من اكبادهم، وقصم ظهورهم، واشعل نارهم، واطفأ
نورهم، ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبة، واستعطف
قلوبهم بالاماني الخايبة، واستصحبهم بالاقوال المموهة،
والافعال المشوهة، وحال بهم الحال، وامر في الحال بالمسير
والترحال، قبل ان السلطان بايزيد قال لذلك العنيد،

اني قد وقعت في حبائلك، واعلم اني غير ناج من معاطبك، وانك
غير مقيم في هذا الاقليم، ولي اليك ثلاث نصائح، هن
بخير الدارين لوائح، أولاهن لا تغتفل رجال الاروام، فانهم
رداء الاسلام، وانت اولى بنصرة الدين، لانك تزعم انك
من المسلمين، وقد وليت اليوم امر الناس، وصرت لبدن الكون
بمنزلة الراس، فان حصل لو فق اتفاقهم من تعدي يدك بسط
وتكسير، تكن فتنة في الارض وفساد كبير، ثانيهن لا تترك
التتار بهذه الديار، فانهم مواد الفسق والفساد فلا تهمل
امرهم، ولا تأمن مكرهم، فخيرهم لا يعدل شرهم، ولا تذر على ارض
الروم منهم ديارا، فانك ان تذرهم يملأوها من قبائلهم نارا،
ويجروا من دموع رعاياها ودمائهم بحارا، وهم على المسلمين وبلادهم
اضر من النصارى، وانت حين تخذتهم عني زعمت انهم اولاد
اخوتك، وبنو اعمامك وذووا قرابتك، والاولى بجماعتك
وناسك ان تتبعك، وبحل منا ولا داخلك ان يقول الله عمر
خذني معك، ان عمل افكارك المصيبة في اخراجهم، واذا اخليتهم
حبسا فلا تطمعهم في افراجهم، ثالثهن لا تمد يد التخريب الى قلاع
المسلمين وحصونهم، ولا تجلهم عن مواطن حركتهم وسكونهم،
فانها معاقل الدين، وملجأ الغزاة والمجاهدين، وهذه امانة
حملتكها، وولاية غلا تكها، فتقبلها منه باحسن قبول، وحمل
هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم الجهول، واستكثرها
على عقل ابن عثمان، ووفى بها بقدر الطاقة والامكان،

ذكر ارتفاع ذلك الغمام
بصواعق بلايه عن ممالك الاروام

وهار قتار غباره اخذ عين الشمس منه الابهار، وفار بحار
التتار، فكان البحر امده الله بسبعة بحار، وقرر لا يدخل قرية الا

افسدها

افسدها، ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها، ولا يمر على مكان الا دمره،
ولا ينحي ذئب عن ربقة طاعته حيث الا كسره، ولا يمتنع عليه شمراخ حصن
شامخ الا هدمه، فخلع على عثمان قرا يلوك حين وصل الى ارزنجان،
وقرره في ولاياته وزاده بعض معاني ومغان، ووصاه بشمس الدين
الذي ولاه قلعة كماخ، وان يكون كل منهما للاخر قوة وطباخ،

ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا
على ممالك الكرج وبلاد النصارى

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللجج، حتى ارسى على بلاد الكرج، وهم قوم
يعبدون رب المسيح، كلامهم غير فصيح، ولكنه مصون بواسطة
قلاع وحصون، ومغاير وكهوف، وجبال وجروف، وقلال
وحروف، وكلا من ذلك اعصى في المنال من نفس كريم حسيب شتيم
الانذال، ومن مدنهم تفليس وكان اخذها ذلك الابليس، وطرابزون
وابخاص، وهي التخت بالاختصاص، فتمنعت هذه الاماكن
عليه، ولم تسلم قيادها اليه، فاقام يحاصرها، وقعد يناقرها
ويناقرها، فمن ذلك مغارة بابها في وسط جرف شاهق، آمنة من
البوائق، سالمة من الطوارق، وسقفها آمن من صواعق المجانيق
وذيلها ارفع من ان يتشبث به علائق السالك، مدخلها اخفى
من ليلة القدر، وعدم التوصل اليها اجلى من القمر ليلة البدر،
فاولع بمحاصرتها، والتزم بمصاحرتها، واستعمل من فكره مهندسه
وجعل لا يفتر من الافكار والوسوسه، ثم انتج رايه المتين وفكره
الرصين، ان يرسل عليها عذابا من فوقها، وان يحطها دنالك الحمام
الصاعدة في الجو بارجلها من طوقها، فامر ان يصنعوا توابيت
على هيئة الدبابات، كانهن شياطين النسا المرجل غلابات،
واوثقوهن بالسلاسل المحكمه، واوسعوهن بالرجال ذوي الشكيمه،
وادلاهن من تلك القلال، واهواهن من شواهق الجبال، فتدلين

في الهواء، تدليه مبرم القضاء، فلاذ النقانق، وارجفن من
الجبال والرجال الروانف، وصار لسان حال تلك الصقور ٢
والشواهين ينادي كل من رآه، الوزر الى الطير مسخرات في
جو السما ما يمسكهن الا الله، فحين وازوا باب تلك المغاره، كبتوهم
بالنبال السحاره، وكفوهم بالكاحل الطياره، وهاوشوهم بانواع
الاسلحه، وناوشوهم بالاوهاق والكلاليب المفلطحه، فلا زالت
الجوارح في الهواء صافات ويقبضن، ويتعلق الى ذلك الوكر،
حايمات عليه ولا يعرضن، يتفرق اسره اهله بمناقير المناقيب
ويلتشبن فيهم مخاليب الكلاليب، وتكره الناس تمانعهم عن
الولوج، وتستعين في مدافعتهم بمن فيها من العلوج، فلم
يتشبث احد من اولئك الجوارح، ان انشب في الباب كلوبه
الجارح، ثم استقصد الفتح واستنهض الظفر، واعتمد على الله
ومن دبابته الى الوكر طفر، فاحتضنه ساعد الساعده، واكتنفه
عضد المعاضده، وقبض على رسغه كف السلامه، فنكصت
النصارى على عقبهم امامه، ولم يزل وحده مبيدهم، حتى قتل
اوباشهم وصناديدهم، ثم ادخل رفقته فيها، واخرجوا ما كان
في مخابيها، واسم هذا الرجل لهراسب ستة احرف ليس فيها غير
متحركين اللام مضمومة والهاء، والراء مفتوحة والالف
والسين والباء، واجتماع ثلاث سواكن في الفارسي كثير،
وفي التركي ايضا موجود ولكنه عن غير عزيز، ومن جملة هذه
القلاع قلعة شاهقه، حروف ذاتها كحروف اسمها بمناعتها ناطقه
لا يعمل في فتحها الا رفاعها العل وليت، لان اسمها كما زعموا كل
كوركيت، اي تعال انظر ارجع، بمعنى انه لا يناله الوافد عليها
سوى النظر اليها، ثلاثة اطرافها مبنية على قلل الاكام،
شمخت على ما حواليها من الهضاب فهي على الاعلام اعلام، وطريقها

من

من الوجه الرابع وهو دقيق في سلوكه عسر، فينتهي بعد انواع المشقة
الى جرف منقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن جسر، اذا ارتفع
ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن الحيل، واعاذ كل من
لاذ بقلته من بنيه فصح ان يقال له معاذ بن جبل، فلما اطلع
على حقيقة امرها، وانكشف له مستور خبرها، ابى ان يرحل
عنها الا ان يصل الى غرضه منها، ولم يكن بالقرب منها مكان
ينزل فيه، ولا بر يحمل ذلك البحر الطاغي ويحويه، بل انما كان
حواليها جروف وهضاب، غضون جبينها كانها وجه شوها
ناشز عن زوج مجيب عتاب في غضاب، فطمع منها في غير مطمع
ونصب سرادقه بحيث كان منها بمرأى ومسمع، وصار من
عساكره الاسود الحوادر، يغاودون حصارها ما بين وارد
وصادر، وهم يرفعون الجسر بالنهار، فيامنون مكايد القتال
والحصار، لانه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال،
ولا مفحص قطاة يتمكن فيه النضال، فكانوا يرمونها بالنهار على بعد
بسهام الاحداق، ويرضون منها بنظرة من بعيد كقانع العشاق
فاذا جنهم الليل شمروا الى جهة مخيمهم الذيل، لانهم لم يمكنهم
حواليها مبيت ولا مقيل، فتضع النصارى الجسر ويرمون
الى حاجاتهم السبيل، فلما لاح له منها امارات الحرمان، وبان له
ان امل ظنه من فتحها قد مان، كما قلت

ولعظم شيء في الوجود ممتنعا ❊ نتاج مرام من عقيم زمان

هم العزيمة على الرحيل، ولكن خاف العار فطلب لهذه المسألة
الدليل والتعليل

ذكر سبب اخذه لهذا الحصن المنيع
وبيان معاني ما جرى في ذلك من صنع بديع

وكان في عسكره شابان نديدان، اسدان حديدان، يتشابهان

في الخُلق والخَلق لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق
يتجاريان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق فكانا
كفتي ميزان وفي مضمار فرسي رهان فاتفق ان احدهما صاد
علجاً من الكرج في الجراءة كالاسد وفي الجثة كالبرج فنازله ثم
قتله وقطع راسه والى تيمور حمله فعظم شانه واعلى على الاقران
مكانه فاثر ذلك في نديده وكانه قطع حبل وريده ثم افتكر
في شيء يصنعه يتضع من نديده ويرفعه وكان اسمه بير محمد
ولقبه قنبر فلم ير اكبر من مراقبة ذلك الجسر ولا اشهر فاعتمد
على الله سبحانه وحده واستكمل ماله من اهبة وعدة ورصد
بجنبه في بعض الليالي ولطا في مكان خالي ولا زال يترقب
النجوم ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم وبشر
تلك الفتن يبدير ويدرع ويمشي تارة على بطنه واخرى على
اربع الى ان طرح الضوء نقابه وسلخ الجو اهابه
ورجع النصارى الى كسرهم وتعاونوا على رفع جسرهم طفر
بير محمد الى الجسر فقطع حباله وتابع عليهم من خبيئته نباله ولم
يمكنهم من رفعه ولا غير موضوعه عن وضعه فتراكموا عليه
بالنبال والاحجار وارسلوا عليه من ذلك السما المدرار ولا يرد
عما هو بصدده ولا يلتفت الى جنبه ويتلقى ما يصدر من مراشيق
نبالهم واحجارهم بالقبول على راسه وعينه ولم يزل على المكافحة
والمناضحة والمكاشحة والمكالحة حتى تعالى النهار وعض
الكون من فعاله انملة التعجب واخذ عين المكان الانبهار وكان
المحاصرون لها كفوا عن القتال وتيمور قد عزم كما ذكر على الترحال
وكان سرادقه منصوبا بمكان عال فناداه لسان الفتح وخاطبه
منادي النجح
شعر
لا تياسن من مطلب لمنقطع الورى اسبابه

ان

98
انا غلقوا بابهم فالله يفتح بابه
فتراآى على باب القلعة من بعد كان ناسا يتواثبون واشباح
طائفة يتكالبون ويتضاربون فقال القبيلة اي اولي النجدة
والعون اني ارى ما لا ترونه فانعموا في النظر ثم اسرعوا نحو
المعسكر واتوني بحقيقة الخبر فاندفعوا يستشفون لذلك
خبرا ويستكشفون لسرائره سترا وهم ما بين عاد من النمر
اعدى وجار من الاسد اجرى وكل منهم في عدوه وعدوانه
تأبط شرا ولم يزالوا يتجارون على تلك ارسالا ويتترون كانهم
الشياطين نهاض ووثاب وعداء وهم جراء حتى ادركوا مقدمتهم
بير محمد وهو في غمرات الموت بناره يتوقد وقد صار لسهامهم
غرضا وكاد جوهره ان يصير عرضا فلما راهم من بعيد عاش
وحصل له الانتعاش وزال عنه الارتعاش وتلاحقت بهم
السنادينة فكفت عنهم تلك الافسال الرعاديد وحين عجزوا عن
رفع الجسر وولوا الاعقاب عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا
الباب فاختلط بير محمد معهم ودخل الحصن ومن اصادفه منهم
ندفوه بالسيوف ورضوه باحجار الحتوف وهو يأبى الا المدافعة
ويجتهد في مراجعة الممانعة لا يشعر بما يناله من رمي الحجر وجراح
الحديد كانه من شاء له عزاه الفناء في الغناء في التوحيد الى ان
غشيتهم تلك الليوث وانذفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء
النجدة سيول الغيوث فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم
وخلصوا بير محمد من مخاليبهم ثم قبضوا على النصارى
واخرجوا اموالهم فيا وحريمهم سبايا واولادهم اسارى وحملوا الى
تيمور بير محمد واخبروه بما قصده في ذلك وتعمده وتفقدوا
ما به من جراح ادمى فاذا هي ثمانية عشر جرحا كل منها يدمي
فشكر له فعله ووعده مواعيد جزله واحله المحل العزيز

وجهزه الي تبريز • وامر بعد الوصية به الامرآء من النواب
والرؤساء • ان يجمعوا عليه كل نطيس من الاطباء وخريت من
الاساه • بحيث ان يبذلوا في معالجته جهدهم • ويستوعبوا
في اساه كدهم • ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل • فاقتلوا
من راسه وعالجوه بما امكنهم وازاحوا العلل • حتى اندملت جروحه •
وبرئت احسن مما كانت قروحه • فلما انصل • والي تيمور وصل •
جعل راحة فؤاده • وريس طائفة من اجناده • وقدمه علي
كثيرين بعد ان كان خلف • وصيره امير مائة مقدم الف •

تتمة ما جري للكرج
مع تيمور شيخ العرج

وهذه القلعة والمغارة كانتا عيني قلاع الكرج • ونارا اعلامهم
والباقي سرج • فحين قلعت من وجوههم عيناهم • تيقنوا ان قد نزل
بهم عناهم • واحاط بهم غرامهم • فانحلت قواهم • وانخرمت عزامهم •
وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامه • وتجهمت بهم الي جهنم
الزبانية واسلمتهم السلامه • وتفاءل تيمور بحصول الفلج •
وانثني عزمه الي استخلاص ممالك الكرج • وانبثت شياطينه فيها
فهزتهم هزا • وقدت ثوب حياتهم قدا وجزتهم جزا • وخاطت
لهم اكفان المنايا بالسلاح فاوسعتهم شلا وكفا ودرزا • وتلا
عليهم لسان الانتقام الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تازهم ازا

ذكر طلب الكرج الامان
واستشفاعهم الي ذلك بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان

فاستدركوا تقصيرهم • واستنهضوا تدبيرهم • ورقعوا
خرقهم قبل الاتساع • ووصلوا حبل حياتهم قبل الانقطاع •
واستغاثوا الامان الامان • واستعانوا في خلاصهم بالشيخ
ابراهيم حاكم شروان • والقوا الي ايادي تدبيره الزمام • ورضوا

ان

[illegible] والسواقي

ان يكون بجماعتهم وان كان على غير ملتهم الامام • وجعلوه خطيب ذلك
الخطب • واستحلوا ما تثمر لهم سعايته من يابس ورطب • وكان
اذ ذاك جيوش المصيف لجمع الكرج قد ولت • وجنود الخريف
والشتا لجيش تيمور قد اظلت • وسلطان الاجرد • قد صقل فرند
المياه وجرد • ورفع من الاغصان الاعلام السلطانيه • ونصب
على قلل الجبال الصيوانات البلاريه • والبس متن الغدير من
نسج نسيم الاصيل الدروع الداوديه • فكان ما في الكون من جوامد
ونوام • من جملة عساكر تيمور حام له او محام •

فلت شعر

واذا اراد الله نصرة عبده • كانت له اعداؤه انصارا
واذا اراد خلاصه من هلكة • اجرى له من نارها الانهارا
فترى العقول تقاصرت عن كنهه • وترى له في شوكه ازهارا

فدخل الشيخ ابراهيم عليه • وقبل الارض بين يديه • وحياه بتحية
الاكاسرة من الملوك • ووقف في مقام اصغر مملوك • ثم استاذن
في الخطاب • واستلطف في رد الجواب • فاذن له فقال ان عموم شفقة
مولانا الامير • وحسن حنوه على المسكين والفقير • وشمول عاطفته
الكريمه ورحمته المنيفه • حملت المملوك على عرض ما عن له على
الاراء الشريفه • وهو انه بحمد الله المرام حاصل • والمراد على
وفق الاختيار متواصل • وهيبة مولانا الامير في الشرق والغرب •
اغنته عن الاستعداد للضرب والحرب • ثم ان العساكر المنصورة اكثر
من ان تحصي • وفيهم من الاسرى والرمق الحال ما فات عن الاحصا •
خصوصا جماعات التتار • الذين ولى سعدهم الادبار • واحلوا
قومهم دار البوار • قد اضربهم البرد • وتردد نفس حظهم بين
العكس والطرد • فان استمرت الامور • على هذا الدستور • رق
الجليل وهلك الرقيق • ودق العظم وانطحن الدقيق • وهذه
البلاد بل وسائر الاقاليم • محال الا بامرك ان تستقيم • وان

١١٢

١٠٠

فاذا رطب الاغصان متمايل، وهزهزة القواصل، فانساب في الفصيل
مرهف الجداول، وتضحضحت السنة الخناجر والنيازك فبرزت
عذبات العذبات، ونشرت اعلام الكتائب فانبتت اشاهير الازاهير
على عقبات العقبات، وعلى الجملة فان الربيع حاكي ببروقه بوارقه،
وبرعوده صواعقه، وبخمائله وروابيه زرابيه ونمارقه، وبركامه
قتامه، وبشقائقه اعلامه، وباشجاره المزهرة خيامه، وباغصانه
رماحه، وبعواصف امره ونهيه رياحه، وبكتائبه السود كتبه
الخضر، وبازاهره الزرق مزارقه الزهر، وبسيوله الجارفة مسير
جحافله، وباضطراب بحر فيالقه تموج خمائله، عند هبوب صائله،
واستمر بين ذلك العراق والرند، قافلا بالبال الفارغ الى سمرقند،
فسار والسرور نديمه، والحبور حريمه، والاشر معاقره، والنشاط
مسامره، وبين التفريط والافراط موارده ومصادره، حتى
قطع ولايات اذربيجان، وحل ركابه بممالك خراسان، وفي خدمته
ملوك الاقاليم وارباب التيجان،

ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله ووفودها عليه مهنية له بحسن ماله

ولما تسامعت اقطار البلدان، انه قفل قاصدا الاوطان، اقبلت اليه
الملوك من اطرافها، والمرازبة من اكنافها، وسارع الى استقباله المداره
والجحاجيح، وتبادر من ماوراء النهر وغيره السراة والمراجيح،
وتطاير اليه من الاقاليم اساطينها، ومن الولايات والثغور ملوكها
وسلاطينها، ومن كان مرابطا في ثغره، ومواظبا على كيد امره،
ارسل نائبه او قاصده، او حاجبه او رائده، يتباشرون بقدوم
اقدامه، ويهنئونه بما فتح عليه من هنده وعراقه ورومه وكرجه
وشامه، ويقدمون التقادم والحمولات، ويهيئون الضيافات
والاقامات، ثم اردفهم السادات والعلماء والمشائخ والكبراء، ورؤساء

رؤساءها من الفجرة والفسقة، علموا اما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو
والشفقة، فتراموا والعلة المجاورة على المملوك، ورجوا من الصدقات
الشريفة ما يرجوه من الغني الكريم المحتاج الصعلوك، ومهما برزت
به المراسم المطاعة، تلقاه بالقبول كل من المملوك وهولاء الجماعة،
وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعة، وان كان المقصود جمع
مال، فالمملوك يقوم به على كل حال، وانى للمملوك مال الا من
صدقات مولانا الامير، وما قصد المملوك بذلك الا رفع الكلفة
عن الجانبين وتيسير الامر العسير، ورعاية لحق الجوار، عملا
بقوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار، والراي
الشريف اعلى واحرى، انه لا يخيب رجاء المملوك واولى، فاجابه الى
سؤاله، وطلب منه مالا عوضا سواء كان من مالهم او من ماله، فقال
الشيخ ابراهيم انا به زعيم، وابلغ ذلك الى خزانته اتم ابلاغ، ثم
رحل واكمل شتويته في قراباغ، وذلك في سنة ست وثمانمائة

ذكر ثني عنانه الى اوطانه وقصده بلاده بعد استكماله فساده

ولما زينت ماشطة الكون عروس الكان، واقام مزين الجمادات
قوام الزمان، وتبجحت القوى النامية، وتبرجت مخدرات الذرى
السامية، وشبت الجمرات، ودبت الحشرات، تحرك للرحيل ذلك
الافعى، ونفث على هوام اموات الزمهرير من احياء عساكره فاذا
هي حية تسعى، فدق الكوس، فجاوب صداه الرعد القاصف ولمعت
مرايا اللبوس، فانعكس منها ايماض البرق الخاطف وعرض قبوله
في التروس، فاحاط بالاطواد قوس قزح، وسير خيوله في اللبوس
فتحلت كتائب الكثبان بشفوف الورد والريحان، خائلة في ذلك
البر المنتزح، ومارت الجبال، فمرت الجبال مر السحاب، وسارت
الرعال فصعد العثان من النقع الضباب، وشرعت الذوابل،

الوابذة ومرابذة الرؤساء، فجعل يتيمن لكل واحد منهم سمتا،
ويامره فيجنح بالسمع والطاعة اجلا لا وصما، ويمهد له فيما ولاه
قواعد ومباني فلا ترى فيها عوجا ولا امتا، ثم جهز كلا منهم بما
اقتضاه رايه واجازه، ووصل الى جيحون وقد اعدت له السفن
والمراكب فجازه، فخرج اهل المدينة للاستقبال، وكل منهم منشرح
البال، ملتئم الحال، فدخل سمرقند اوائل سنة سبع وثمانمائة،
ومعه من طوائف الامم الاثنان والسبعون فرقة واكثرهم قدرية
ومرجئة، ثم اذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت، ولطوائف جد
ما وراء النهر فتمزقت،

ذكر توزيعه التتار ارسالا شرقا وغربا ويمينا وشمالا

فلما استقرت به الدار، اخذ في توزيع التتار، فكانوا ذوي
عدة وعده، ونجدة وشده، فخشي سلبهم عدته، كسر شوكتهم
وشدتهم، ولكن ابقى الله عدتهم، فخاف لذلك نجدتهم، فشتت
جمعهم، واقوى من اجتماعهم ربعهم، فبذرهم في فيافي وبطاح،
ووزعهم في قفار وضواح، وبددهم في اقطار عناء وبراح،
ونددهم في اقطار بكاء ونواح، فسد برؤسهم افواه الثغور،
واوصد ببطونهم ابواب البحور، فجهز طائفة الى كاشغر، وهو
بين حدي الخطا والهند احد الثغر، ووجه فرقة الى الدويرة،
في وسط بحيره، تدعى اسي كول، وهو ثغر بين ممالك تيمور
والمغول، فصادفهم بعض السعد، فانقطعوا عما اضيفوا اليه
كما ينقطع عما يضاف اليه بعد، فانضموا منهزمين ولم يلووا، واخذوا
من صوب الشمال وخرجوا على الدشت الى ايدكو، ثم اضاف سائرهم
وقبائلهم وعشائرهم، من كل حي بن اواه، الى ارغون شاه، وجهزه
بعزم وحزم، الى ثغور الدشت وحدود خوارزم، وهذا كان

هجيره، وما بنى عليه اوامره واموره، فانه كان من الشياطين النقاله، وفي
المكر واللعب بالناس كدابة المحتاله، فلما بنى في قطر قلعه، او استولى في
بحر من بحور المخالفين على بقعه، انزل بها من العساكر من هو في اقصى
جهات تقابلها من الحصون والاساكر، ونقل اليها من لها من الرجال، ان
كان في الشمال الى اليمين وان كان في الجنوب الى الشمال، فانه لما استولى
على ملك تبريز وما والاه، استناب فيه ولده لصلبه اميرانشاه،
وامده من الجغتاي بطائفة غلاظ شداد، منهم خداي داد اخو
الله داد، ونقل الى اطراف الخطا وتركستان، طوائف من عسكر
العراقين والهند وخراسان، وولى سماقة ابن التكريتي الذي اخذه
من الشام، نيابة مدينة سيرام، وهي من سمرقند الى جهة الشرق
نحو من عشرة ايام، وولى بلبغا المجنون نيابة ينكي بلاس وراء سيرام
بنحو اربعة ايام، وهما كورتان مختصرتان، وراء سيحون من معاملات
تركستان، وهما كانا اقل من ان يذكرا، فضلا ان يصير احكاما وامرا،
وانما فعل ذلك، ليتنسى اطراف الممالك، ان عنده من رؤساء
الشام، جماعة من اعيان الاعلام، وان في ممالكه من الخدم، رؤسا
الامم حكام العرب والعجم، وان ذلك الطرف جال وسطا، وملك
ما بين الشام والخطا

فصل

ثم اخذ يتفقد ما حدث في غيبته، من امور بلاده ورعيته، ويتفحص
عن قضايا الممالك، ويسلك للوكها المسالك، ويدبر مصالح الاطراف
والثغور، والاكناف والبحور، ويراعي احوال الكبير والصغير،
ويتعاطى مصلحة الغني والفقير، ويضع الاشياء في محلها، ويرام
الوظائف والمناصب في يد اهلها، ويبادر بما قال الشاعر،

لله در انوشروان من رجل، ما كان اعرفه بالوغد والسفل
نهاهم ان يمسوا عنده قلما، وان يذل بنو الاحرار بالعمل

واخذ بزي السادات، ويكرم الاولياء ذوي الكرامات، ويبجل العلم
واهله، ويعلي الفضل ويعز محله، ويقلع المفسد ويهم المارق،
ويخنق الزاني ويصلب السارقه حتى استقامت في زمنه امور
السياسه، وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسه،

ذكر ما ابتدعه من منكراته وطبع بخاتمه خواتيم سيئاته ووالى باستيفائه زائد وفاته

ثم شرع في تزويج حفيده اي وزنا الولد الوغ بيك بن شاه رخ النبيه،
الذي هو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة حاكم سمرقند من
قبل ابيه، فامر اهل المدينه ان يشرعوا في الزينه، وان يرفع عنهم
الكلف والمظالم، ويعفى عن الطروحات والمغارم، ويبسط لهم
بساط الامان، ويعامل الكبير والصغير والرفيع والوضيع منهم
بالفضل والاحسان، وان لا يشهر في ممالكه سيف، ولا يجري
فيها ظلم ولا حيف، وان يخرجوا زينتهم الى مكان نحو ميل من صوب
سمرقند، يدعى كان كل هواوه اذكى من المسك وماؤه احلى من
القند، كانه قطعة من رياض الجنان، غفل عنها خازنها رضوان،

قلت شعر

رعى فيه غزال الترك شيحاً ... فصار المسك بعض دم الغزال

رياح هوائه الطف من نسيم السحر، ورواشح مائه اعذب من ماء
الحياة صفاء بلا كدر، وتغاريد طيوره الذ في السماع من نغمات الناي
على الوتر،

قلت شعر

بساط زمرد نثرت عليه ... من الياقوت الوان الفصوص

وقيل شعر

كأن مدور الازهار فيه ... وورداً في محاسنه تنضد
صحاف من لجين او عقيق ... ومرجان وياقوت وعسجد

فهذي

١٢٧

فهذي حشوها مسك فتيت ... وهذي ضمنها تبر مبدد
اراد الروض يجلوها علينا ... فصاغ لها اكفا من زبرجد

صباغ القوة الخيالية يتعلم خلط اصباغ النقوش من تشاهير ازاهيره،
ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال من تحارير تصاويره،

قلت

كأن رباه بشا وقت صبح ... خضمت بانواع الحلي مرصع

افسح من امل حريص طامع، في جاه غني كريم نافع، وانزه للابصار
والبصائر، من غض شباب زاه زاهر، ساعده الدهر بوجه بسيط
وادب كامل وعمر طويل ومال وافر، وهو احد الاماكن المذكوره
والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهوره، ومبدأ
السعد الذي جهاته بالنعم موفرة موفوره،

قلت

شقائقه خدود ناضرات ... تخشت من سواد المقلتين

عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم، تضاهي بني اسرائيل في قطر من
اقطار التيه، ثم امر الملوك والسلاطين، وارباب التيجان من
الاساطين، ان يخرجوا اليه، ويبنوا عليه، وفرز لكل منهم في ذلك
المرج مقاما، ورتبه ميمنة وميسرة ووراء واماما، وامران
يظهر ما امكنه من تجمل وتحسين، ويضرب ماله من خيام وقباب
متكلفة بانواع النقوش والتزيين، ثم رتب من دونهم من الكبراء
والاعيان، ورؤساء الامراء والاعوان، في ذلك الروض
الاريض، والمرج الطويل العريض، فاخرج كل منهم ما حواه
وكاثر نظراءه لينظروا ما قدمت يداه، وفاخر ذوي الفخار
منهم وباهى، واستقصى في المباهاة والمفاخرة وتناهى،
فنشروا ما طوته صحائف ايامهم، على جمعهم اياه سجلات
آثامهم، من طرف اطراف الاقاليم وامهات الامصار، وتحف جواهر
المعادن والبحار، ونفائس ذخائر نهبوا عليها النفوس والهبوا



الانفاس، وعرائس اخاير سقوا عليها الكوس وحرقوا الاكياس،
ما ازري على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر، واسري
منظره البهيج سرايا المسرات الى سر السرائر، فزاد حسن حديث ذلك
المكان ونماه، وعلا قدره بهجة على كل ارض وسماه، ثم امر بسرادقاته
فجعلت مركز تلك الداره، ونقطة دائرة تلك الافلاك المداره،
وهي سور محيط مضروب، على ماله من خيام وقباب منصوب،
له باب واسع، يدخل فيه من دهليز شاسع، الى ما به من معالي
ومغاني، وله قربان شامخان، تنكس لهما الروس، وتذهل عند
مشاهدتها النفوس، ولاجل هذين كان يلقب ذا القرنين
ونصبوا له داخل هذا الجناب، عدة من الخيام والاخبية
والقباب، ومن جملتها قبة اعلاها واسفلها بالذهب مزركش،
وظاهرها وباطنها بلب الريش مريش، واخرى كلها بالحرير
محبوكه، وبانواع النقوش والوان الاصباغ مبنية مشبوكه،
واخرى من فرقها الى قدمها محلاة باللالي الكبار، التي لا يعلم قيمة
احدها الا عالم الاسرار، واخرى مرصعة بانواع الجواهر، على
صفائح الذهب مدهشة للابصار والبصائر، وجعلوا لما
بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون، وليبوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون، وبين ذلك الاوراق المنقشه،
ورواقات الاخبية المزركشه، والبساطيط والابنية المدهشه،
وفيها مراوح الخيش، الجالبات لبرد العيش، والنافع والمرافق
والمفاتح والمغالق، واظهروا الذخائر الغريبه، وارخوا على
ذلك الستائر العجيبه، ومن جملتها ستارة جوخ كان اخذها من
خزانة السلطان بايزيد، قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة
ادرع بالذراع الجديد، منقشة بانواع النقوش، من صور
النباتات والبنيان والعروش، واشكال الهوام والطيور والوحوش،

واشخاص

واشخاص الشيوخ والشبان، والنسا والصبيان، ونقوش الكتابة
وعجائب البلدان، والعروق اللاعبة وغرائب الحيوان، بالوان
الاصباغ، البالغ في احكامها واجادتها احسن بلاغ، كان
صورها متحركة تناجيك، وثمارها الدانية لاقتطافها تناديك،
وهذه الستارة احد عجائب الدنيا، ولبس المتيم كالمرآى،
ونصبوا امامه سرادقات بمقدار شوط فرس الحيوان،
الذي يجتمع المباشرون فيه وارباب الديوان، وهو حجر عالي
الذرى، شامخ في الهوا، له نحو من اربعين سطوانه، وعواميد
واسوار شيدوا عليها اركانه، وسددوا بنيانه، يتسلق
الفراشون الى اعلاه كالقرده، كانهم مسترقوا السمع من الشياطين
والمرده، ويتعادون على سطحه، حين يرفعونه بعد بطحه،

فصل

واخرج اهل المدينة ما عبوه، من تجمل وزينة ونصبوه،
تجاه تلك السرادقات على مد البصر، وتانق كل واحد من اهل البلد
بما وصلت اليه القوى والقدر، واجتهد كل ذي حرفة بما يتعلق
بحرفته، وبالغ كل من ارباب الصنائع فيما يليق بصنعته، حتى
ان ناسج القصب اخرج فارسا مكمل الاهبه، واستقصى في اكمال
هيئته حتى اظافيره وهدبه، واستوفى دقائق ما يتعلق به
من الالات، كقوسه وسيفه وسائر الاستعدادات، كل ذلك
من القصب، ورفع ذلك في مكانه من غير تعب ونصب، وصنع
القطانون من القطن مدينة رفيعه، محكمة بديعه، ذات
قد رشيق، وصنع وثيق، ومنظر انيق، بيبا من جسم يسمو
على الحور، وكمال قوام يعلو على القصور، ونصبوا فصارت
بحسنها تستوقف النظاره، وبعلو قامتها ترشد في ذلك المهمه
الماره، حتى غدت علما للسياره، وعلى جوامع تلك الابنية مناره،

وكذلك اهل الحرف من الصواغين، والحدادين والخفافين والقواسين
وساير الطوائف، وارباب الملاعب واللطائف، ولقد كانت
سمرقند مجمع الافاضل، ومحط رحال اهل الفضائل، فرتبت
كل طايفة ما اخرجته على حدة في مكانه، امام سرادقاته وصيوان
ديوانه، ونصبت وراء ذلك كله الاسواق، وضربت بين
الناس بوقات الابواق، وزينت الفيول وجياد الخيول بالفخر
لباس، واطلق عنان الرخص والتمتع بانواع الملاهي والملاذ
للناس، فسارع كل طالب الى مطلوبه، واجتمع كل محب منهم مع
محبوبه، من غير ان يتعدى احد على احد، او يستطيل اعلى من يكون
علي ادنى من يكون من الجند واهل البلد، او يجري تعد ما، من شريف
ما، على وضيع ما،

فصل

ولما استتمت الامور على مراد تيمور وزينته، واخذت الارض
زخرفها وازينت من جنده واهل مدينته، توجه الى ذلك المرج على
وقاره وسكينته، وخرج على قومه في زينته، ثم امر ان تجري
يواقيت الصهباء، على زبرجد ذلك المرج الاحوى، وسبلها للكل
ناظر وعام، فسبح في تيارها كل خاص وعام، فدارت في سماء تلك
الارض للسرور افلاك، وهبطت في افقها بوحي اللذات من افلاك
الملاهي املاك، فاصبحت تلك الاسود الحواذر، وهي ظباء جواذر
وتنزلوا من جحيم المنازلة، الى نعيم المغازلة، وتبدلت تلك الغلاظة
والكثافة، باللطافة والظرافة، واصبحوا بعد جورهم يتجاورون،
وبمعنى ما قلته يتحاورون،

شعر

محا الظلم من بين الورى سيف عدلنا ... فلم يبق شيء مستغيث بمعتدي
سوى قلب صب صاده طرف احور ... وخصر نحيل اده ردف اغيد
فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور،

ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قد وهو مع ذلك بالعناق مهصور
وصرت لا ترى الا عودا يحرك او يحرق، او قدحا يروق او يروق، او
شاديا يغرد، او شاربا يعربد، او جارية تستقي، او ساقية تجري
او خد ورد يعشق، او ورد خد ينشق، او كاس ثغر يرشف، او
غصن خصر للعناق يقصف، او فرص عيش تغتنم، او لسان حال
ينشد ويترنم،

شعر

في ربيع الوصل لما ... ان وفى الظبي الشرود
ونشر نشر الصبا للروض ... تثنى بالورود
خرت الانهار والاغصان ... مالت للسجود
واجتمعنا في رياض ... حسنها يسبي الوجود
فالسحاب الصب فيها ... بالحشا امسى يجود
نثر الدر علينا ... منه بلور الغمام
فوق صحن سندسي ... فيه ملياقوت جام
وثغور من عقيق ... زانها حين ابتسام
وعيون من لجين ... ناظرات لا تنام
وغصون الدوح حفتنا ... بانواع النقود
طيرها غنى عليها ... اذ علا عودا واوطار
وشذا ها ضاع فيه المسك لما منه غار
والصبا امسى عليلا ... في رباها حين سار
جنة الفردوس فيها ... وجه بدري حين نار
اصبحت جنات عدن ... تشتهي فيها الخلود
بالها من عشرة جا ... ءت بانواع الهنا
ليس فيها غير لثم ... وارتشاف واعتنا
وكؤوس دائرات ... وغناء وغنى
لو رآها زاهد من ... دينها كان انثنى

لم يسعه عندما من ... زهده الا الجحود
قم نديمي عاطني فالدهر ... لا يسوي الحزن
كاس عيش يمحي في ... مزجها صرف الزمن
الطلا والماء والخضرة ... والوجه الحسن
لا تطع في ذا عذولا ... انه خب كمن
في حشاه غليان ... لا تقل خل ودود

فحصل الامن والدعه، والفراغة والسعه، ورخص الاسعار، وقضاء الاوطار، واعتدال الزمان، وعدل السلطان، وصحة الابدان، وصفاء الوقت، وذهاب المقت، وحصول المطلوب، ووصال المحبوب، مصراع، وعند التناهي يقصر المتطاول، واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت، والسطوة والجبروت، شيء لم اظنه حصل لاحد من الخلفا المتقدمين، ولا يقع فيما بعد لاحد من المتاخرين، وان كان المامون فرش تحته ليلة عرسه حصيرًا من الذهب، ونثر على راسه اللؤلؤ المنتخب، ولم يلتفت اليه، ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه حتى قال، قاتل الله ابا نواس كانه كان حاضرًا حيث قال،

كان صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على ارض من الذهب

لكن تيمور كان في عرسه ذلك بنات الملوك وصايفه، وبنوها عبيدًا كل منهم في مقام العبودية واقف، واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام، ومعهم الجمولات والتقادم ومن جملتها الزرافة والنعام، ورسل الخطا والهند والعراق والدشت والسند وبريدي الفرنج ومن سواهم، وقصاد كل الاقاليم اقصاهم وادناهم، ومن كل مخالف وموافق ومعادٍ ومصادق، فاخر الجميع حتى شاهدوا عظمته، وعاينوا جبروته في ذلك العرس وابهته، فباشر ذلك على تلك الحال، لا يخاف النكال، ولا يخشى الوبال،

قلت

قلت شعر

فقير العين لا يرجو الهًا ... خلي البال لا يخشى معادا

يتناول المحرمات ويبيحها، ويروج عنده مستهجنها وقبيحها، مهما امر بر جا عنه في ذلك الناس تلوه، يتناهون في كل قبيح عملوه، ولا يتناهون عن منكر فعلوه،

قلت شعر

تبدل من نسك وهان بجرمه ... احل بها ما حرمته الشرايع

وجعل يدعو الملوك والامراء، وسلاطين الافاق والكبراء، وقواد التوامين، وزعماء الجيوش والمقدمين، ويسقيهم الكاسات بيده، ويحل كلا منهم محل اخيه وولده، ويخلع عليهم الخلع السنيه، ويجزل لهم المواهب والعطيه، ويجلس كلا منهم بحسبه ذات اليمين، واما ذات الشمال فانها للنسا والخواتين، فان النسا لا يستترون من الرجال، خصوصًا في مجلس الاجتماع والاحتفال، واستمر في ذلك بين جنك وقانون، وعود وارغنون، وناي مرقص مطرب، وشادٍ معجب مغرب، وساقٍ فاتن ودهر مواتٍ وهوى متبع، وامرٍ مستمع، وشمس تدور على نجوم وبدور، وكاس تملا وكيس يفرغ، وامر يمضي وامل يبلغ، حتى استخفه الطرب والبطر، واستفزه النشاط والاشر، فصنع الى من استعضده، ومد للنهوض اليه يده، فتعاضدوا المعاونته، وتعاونوا على معاضدته، وحين استوى قائمًا تهادى بينهم بشيبته وعرجته راقصا،

قلت

ومن عجب الدنيا اشل مصفق ... وابكم قوال واعرج راقص

فنثر عليه الملوك والكبراء، ونساء السلاطين والامراء، الجواهر واللآلي، والفضة والذهب وكل نفيس غالي، ولم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته، ودخل العروس منصته، وانقضت تلك الامنية، وتفرقت هاتيك الجمعية،

شعر

ما كان ذاك العيش الا سكرة ... لذاتها رحلت وحل خمارها

فصل

ولما بلغ من دنياه المرام، وانتهى ليله الى الكمال والتمام، وعرج فيما يرومه الى ما عرج، وصعد في سلم ارتقائه الى اعلى الدرج، وقارب بدر عمره الافول، وشمس حياته ان تزول، رشقه الزمان بسهم اصماه فامهله، ونادى بلسان فصيح، فرغ العروس يا بيت الاحياء لو سمع لكان يصيح، قلت شعر

وما الدهر الا سلم فبقدر ما ... يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات ما فيه نزول وانما ... شروط الذي يرقى اليه سقوطه
ومن صار اعلى كان اوفى تهشما ... وفاء بما قامت عليه شروطه

فافاق من سكره، وعاد الى عسكره، وارعوى وما ارعوى، وعلم انه اضل قومه وما هدى، وراى انه قد فرط في امر الرياسة، وحط من جانب الايالة والسياسة، وانه سام الملك خسفا، وسايس السلطنة وجد عليه مائة طريق في التقصير والغا، فاخذ يتدارك ما كان فرطه، ويطلب التفصي عما فيه تورطه.

ذكر بعض حوادث متقدمة لتعلقات ذلك العايث

وكان تيمور قد راى في الهند جامعا، للبصيرة مرتعا وللبصر رائعا، عرشه في حسن بنائه ونقشه، من الرخام الابيض كبساط فرشه، فاعجبه شكله، واراد ان يبنى له في سمرقند مثله، فعزل لذلك مكانا في فرزه، ورسم ان يبنى له جامع على ذلك الطرز، وان يقطع له احجار من المرمر الصلد، وفوض امره الى رجل يقال له محمد جلد، احد اعوانه، ومباشري ديوانه، فاجتهد في بنيانه، وتشييد اركانه، واستقصى جهده في تحسينه، من تاسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه، واعلى له اربع

ميادينه، وباهى فيه ائمة البنايين والاستاذين، وظن انه لو كان على ذلك احد غيره، لما قدر ان يصنع صنعه ويسير سيره، وان تيمور سيشكر له صنيعه، وينزله عنده بذلك منزلة رفيعة، فلما آب من سفرته، وتفقد ما حدث في غيبته، توجه الى الجامع لينظر اليه، فبمجرد ما وقع نظره عليه، امر بمحمد جلد فالقوه على وجهه وربطوا رجليه، ولا زالوا يجرونه، وعلى وجهه يسحبونه حتى يصفوه على تلك الحال، واستولى على ماله من اهل وولد ومال، واسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى، امراة تيمور العظمى، امرت ببناء مدرسة، واتفق المعمارية واهل الهندسة ان تكون في مواضع، مقابلة لبناء هذا الجامع، فشيدوا اركانها وشددوا ابنيتها، وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها، فكانت ارسخ منه تمكينا، واشمخ منه عرنينا، وتيمور كان نمري الطبع، اسدي الوضع، ما تكبر عليه احد الا شدخه، ولا تجبر عليه ظهر الا فضخه، وكذلك كلما اضيف اليه، او عول في النسبة عليه، فلما راى قامة تلك المدرسة طالت، وعلى قد جامعه الجبير ترفعت واستطالت، نغل صدره غيظا واشتعل، وفعل مع مباشر ذلك ما فعل، فلم يصادفه فيما امله سعد، وهذه الحكاية متقدمة لما نذكره بعد، **نكتة** كان هذا الجامع كصاحبه، احاط به اوزار الاحجار بجوانبه، وتثاقلت على غواربه ومناكبه، ودقت عنق طاقته عن حملها ورقت، وتلا لسان سقفه اذا السماء انشقت، وما امكن تيمور الاشتغال بهدم ما تم احكامه، ونقض بنائه واستيفاء ابرامه، فطوى ثوب عمارته على غره، واستبقى خشبه اخشى على وهنه وكسره، لكن امر خاصته وذويه، ان يجتمعوا ويجمعوا فيه، واستمر ذلك في حياته وبعد وفاته فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلاة، يرتقبون

من تلك الحجارة ما يهبط من خشية الله، وصار ملك الجبال في تلك المحلة، يتلو وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة، ففي بعض الأحيان، وقد غص بالناس ذلك المكان، وأخذ كل منهم حذره، سقط من حجارته من علاه شذرة، ففر كل من كان جاثما، وانفضوا إلى الأبواب وتركوا الإمام قائما، وكان من جملتهم الله داد، أحد الأكفاء والأنداد، فلما اطلعوا على حقيقة الخبر، تراجعوا وزال عنهم الخور، فلما قضوا الغرض وانتشروا في الأرض، قال لي الله داد، وكان من الدهاة ذوي الكياد، والأذكياء النقاد، له حوالي كعبة المجازي مائة شوط وألف طوف، ينبغي أن يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلاة فيه بصلاة الخوف، وقال لي الله داد، وقد فهم معنى هذا الإنشاد وينبغي أن ينشد، في شأن هذا المعبد، ويكون رقم طرازه، ونقش صدره ومجازه، قول الشاعر

سمعتك تبني مسجدا من جباية ... وأنت بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها ... لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

فصل

ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول، كان استخلاص ممالك الشرق في فكره يجول، وقد ذكر أنه أرسل إلى الله داد، يستوصفه أوضاع تلك البلاد، ولما انكشفت له أحوالها، وتبينت له قراها ومضافاتها وأعمالها، حتى شاهدها عين بصيرته، واستقرت كيفيتها في سرير سريرته، جهز لتلك النواحي رؤوس هاتيك الضواحي، ومن جملتهم بيردي بيك وتنكري بيردي وسعادات والياس خواجه ودولت تيمور وزيادات، وأضاف إليهم طوائف من الأجناد، ورسم أن يتوجهوا كلهم إلى الله داد، وأن يجهز الله داد أمره، ويتوجهوا فيبنوا قلعة تدعى باشخره،

وهي

وهي عن أشباره نحو من عشرة أيام، ومن متعلقات المغل الطغام، وكانت أمورها اضطربت، ولكونها متنازعة بين مملكتين خربت، فتوجهوا إلى تلك الدارة، بالعساكر الجرارة، واشتغلوا على غير عادتهم بالعمارة، وكان توجه هذه الفئة، في أواخر سنة ست وأوائل سنة سبع وثمانمائة، وقصد بذلك أن تكون لهم معقلا، وعند توجههم إلى الخطا وإياهم ملجأ وموئلا، فلما أحكموا أساسها وصنفوا أنواع بيوتها وأجناسها، ووضعوا من حجار الأساسات أقدامها، ورفعوا على أعلام الأسوار أعلامها، أرسل إليهم مرسوما أنهم يرجئون أمرها، ويتناسون ذكرها، ويأمرهم فيه بالرجوع والاشتغال بتغليق البلاد بالزروع، بحيث أن فقهاء الدرس وأكياس من أهل القرى والأمصار، والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحي الأنجاد والأغوار، وأهل الرستاقات والأكارة، من حدود سمرقند إلى أشباره، يتركون مسائل المعاملة والمبايعة، ويكررون البحث قولا وعملا في درس المساقاة والمزارعة، ويؤذن في جماعتهم أن يقيم كل منهم في الزرع صلاحه، وإن اضطر أحدهم أن يترك صلاته فالحذر أن يترك فلاحه، ورام بذلك أن يكون لهم في سفرهم عتادا، وإن نقص لهم في الدرب قضيم وخصيم زادا، فتركوا العمارة، وقصد كل من الأمراء دياره، واشتغلوا باستخراج البقر والبذار، واجتهدوا في إحياء جميع الموات كما رسم وأشار، فما فرغوا من ذلك إلا وقد طوى المصيف بساطه، ونشر الخريف على العالم أعلامه وأنماطه

ذكر عزمه كما كان على الخطا ومجيئه سكرة الموت بالحق وكشف عنه الغطا ثم انتقاله من سفره إلى سقره

فلما أفاق، أخذ فيما كان عليه من التوجه إلى الآفاق، وقصد

الحواشي والاطراف، واستخلاص الممالك والاكناف، وصرف عنان
الذهاب، نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب، فارسل الى
امم عساكره ان يستوفزوا، وياخذوا اهبة اربع سنين او اكثر
ويتجهزوا، فلبت كل امة دعوة رسولها، وشنفت باقراط مراسيمه
اذان قبولها، وحمل كل اسد جوزاء عتاده، وامتطى جدي بغيه
وعنده كل ثور سنبلة زاده، ودلو سقيه، ودب كل عقرب منهم
دبيب السرطان، وانسابوا انساب الحوت في بحار العدوان، مطارفين
مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان، فابرد هلال القوس سهم برده برسومه
الى كل صماخ، بخبر ان جند الشتا على عالم الكون والفساد اناخ،
فليستعد له الكفاه، وليحذره العراة والحفاه، ولا يكتفوا في كفه
بكافاته فما كل كاف له كفوا، لانه في هذه المرة اية من ايات الله فلا
تتخذوا ايات الله هزوا، وان قصده بقدومه تبريد الانفاس،
وتشبيط الانوف والاذان واسقاط الاكارع وقلع الراس، وان
فصل الخريف رائد جنوده، وقائد بنوده، ونموذج طلعته،
ومرآى عين غلته، وعنوان مكاتبته، ومقدمة كتيبته، ثم
زمجر بعواصف رياحه البارده، وختم على العالم بخيام غيومه
الصادرة والوارده، فارتعدت الفرائص من زئيره، ولاذ كل
من الحشرات بقعر جحره خوفا من زمهريره، وخمدت النيران،
وجمدت الغدران، وارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان،
وخرت على وجهها الانهار، جارية من الانجاد الى الاغوار،
وتخبت الاسود في اخياسها، ونكست الظباء في كناسها،
وتعوذ الكون من آفته، واصفر وجه المكان من مخافته،
واغبرت خدود الرياض، وذبلت قدود الغياض، وراح
ما كان بها من النضرة والارتياح، واصبح نبات الارض هشيما
تذروه الرياح، فاستنشق تيمور لفظات هذه النسمات، واستبرد

نفثات هذه النفحات، وامر باعداد لبوس القباب، واستعداد
بركستوانات الجباب، واتخذ الصفاح الجمد وسهام البرد، من
المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد، ثم ضاعف لملاقات الشتاء
مضاعفات اللباس، واقر بها على قامة عزمه الثاقب وامد امر
كافات كفايته باتراس، ولم يلتفت الى كلام وملام، واستغنى من
الشتا بالبسه واعده من كل كاف ولام، وقال لعسكره لا تكترثوا
بامر الشتاء فانما هو برد وسلام، وحين اجتمعت عساكره،
والتأمت اموره واوامره، امر ان يصنع له خمسمائة عجله، وتضبب
بالحديد ليحمل عليها ثقله، فبادر الشتاء خرجه بالدخول، واورد
بانقطاع جراية عمره من ديوان الفناء الوصول، فبرز في شهر
رجب، وقد اصبح البرد عجبا واي عجب، وسار لا يرق لمرق
ولا يرثي لجسد من البرد محترق، فوصل في سياحته الى سيحون، وقد
تجمد، وبنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد، قلت قديما

شعر

على البحر قد عاينت جسرا ممددا
بناه اله العرش صرحا ممردا
بكيت فخلت الدمع في جنباته
رقيق رحيق في زجاج مجمدا

فعبره ومر ومضى على ذلك واستمر، وتمادى على لجاجه واصر،
فدمر الشتا عليه بالدمار، واحاط عليه من الجوانب بكل اعصار فيه
نار، وحط جيشه بكل نكباء صرصر، وضرب اثناقات عسكره،
بصرة طول كفيها وما قصر، وهو بذلك الجمع الكثير يسير، لا يجن
لاسير، ولا يجبر وهن كسير، يسابق البرد ببرده، ويجاري
اجره بجرده ومرده، فجال فيهم الشتاء براجف عواصفه،
وبث فيهم حواصب قواصفه، واقام عليهم نائحات صراصره،

وحكّم فيهم زعازع صنابره، وحلّ بناديه، وطفق يناديه، مهلاً يا مشوم، وتريّد ايها الظلوم الغشوم، فالى متى تحرق القلوب بنارك، وتلهب الاكباد بأوامك وأوارك، فان كنت احد نفسي جهنم فاني انا ثاني النفسين، ونحن شيخانا اقترنا في استيصال البلاد والعباد فاخس بقران النحسين، وان كنت بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات زمهريرك منك ابرد، او كان في جرايدك من جرد المسلمين بالعذاب فاصماهم واصميهم ففي ايامي بعون الله ما هو اصم واجرد، فوالله لا احابيك، فخذ ما اتيتك، ووالله لا احميك يا شيخ من برد ريب المنون، لواعج جمر مجمرة ولا وامج لهيب في كانون. ثم كال عليه من حواصل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك الزرد، وانزل عليه وعلى عساكره من سماء الزمهرير من جبال فيها من برد، وارسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في اذانهم وما فيهم، ودسها في خياشيمهم فاستقبلتها تنزع ارواحهم الى تراقيهم، وجعلت تلك الريح العقيم، ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم، واصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج المنفضه، كانها عرصات القيامة او بحر صاغه الله من فضه، فكانت اذا بزغت الصفعاء ولمع الصقيع ترا اي شيء عجيب، سما من فيروزج وارض من بلور ملأ ما بينهما شذور الذهب، فاذا هبت فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح، على نسمة ذي روح، اخمدت نفسه، وجمدته وفرسه، وكذلك الجمل والجمال، حتى اتت على كل مرمق الحال، وانتهى الشان الى ان طابت النار وزدا، وصارت لواردها سلاماً وبردا، واما الشمس فانها ارتجفت، وجلدت عينها من البرد ونشفت، وصار

كما قيل

يوم تود الشمس من برده، لو جرّت النار الى قرصها

وكان

وكان الرجل اذا انتفس جمدت انفاسه على سباله ولحيته، فيصير كانه فرعون وقد رصع لحيته بحليته، وان لفظ من فيه نخامة عائده، لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة جامده، فانكشف ستر الحياة عنهم، وانشد لسان حال كل منهم

شعر

فيارب ان البرد اصبح كالحاً، وانت بحالي عالم لا تعلّم

فان كنت يوماً مدخلي في جهنم، ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

فهلك من عسكره الجم الغفير، واتى الفنا على كبير منهم وصغير، وشاط منهم انوف واذان وسقط، وانحل عقد نظامهم وانفرط، ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم بحاراً وبحار، حتى اغرقهم فيها وهم عاجزون حيارى، ونودي عليهم مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً، فلم يجدوا لهم من دون الله انصاراً، وهو مع ذلك لا يلتفت الى من مات، ولا يتأسف على ما فات

ذكر مرسوم ارسله الى الله داد
بت منه الاكباد
وفتّ القلوب والاعضاد
وزاد ما ختله فيه من هموم بانكاد

وكان تيمور حين مخرجه من سمرقند ارسل الى الله داد باشارة مرسوماً اذهب فيه قراره، ونفّر طائر نومه عن وكر اجفانه واطاره، وفهم من فحواه بالاشاره، انه طالب دماره، ومويّم اولاده ومخرّب دياره، شدد عليه فيه المضايق، وسدّ في وجهه الطرق والطرائق، واقترح عليه فيه باموره يسهل عندها قطع الجبال ونقل الصخور، ويعذب عندها شرب البحور، من ادناها ان يهيئ له بمفرده، اقامة ليوم قد ومهدون غده، خصيباً ياكله ليله، وقضيماً يطعمه خيله، ومن عرض ذلك مائة حمل جمل طحيناً خاصه، وهو مخصوص به لليلة واحدة خاصه، وانه مع عساكره الجراره،

لا يبيت سوى ليلة واحدة باشبارة الى غير ذلك فلما اطلع الله داد
على هذا الكتاب وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب علم انه قد حل
به العذاب فسلك وعبه وبذل سعيه واخذ في اعداد الطحين
واجتهد في ادارة الطواحين وكانت الطواحين اوقف من حال
اديب في هذا الزمن العجيب ومجاري مياهها ايبس من كف
شحيح كلفه من القحط تذريه الدقيق في الريح ودماء الانهار
في مجاري عروق الجبال ناضبه ودموع العيون في آماق الغروب
غاربه فبذل ما كان اعده لكل نائبة وشده واهان
نفائس الاموال واستعان على اجراء الماء بالمال واستغاث
باولي النجدة من الرجال واستمد المدد من كل عدة وثمه
واستنهض اراء المتفقين من الاصحاب واستدفع بهم ما نزل به
من مخلب البلاء آب وناب وقرع لفتح ما ارتج عليه مما لا طاقة
له به كل باب فاستجابوا دعاءه واجابوا صداه ونداءه
وتاوهوا المضضه واستطبوا المرضه وجمعوا من العملة
والفعلة الاسود والسراحين فعملوا في سوق لانهار من
الاعمال ما يدير الطواحين وجعلوا يعاندون البرد ويقطعون
في طريق الماء الجمد فكانوا كالضارب في حديد بارد والكابد
بتزديق وعظه قلبين قلب الجاحد حتى سهلت حزونه
ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه وصاروا لا يقطعون من الجليد
مقدار ذراع بالحديد الا وتهب نسمة يابسه على تلك الوجوه
العابسه فاذا هب بارد النسيم قابله الماء بوجه بسيم
فيبرد قلبه عن نارهم وينصد لبه عن اوارهم فيجمد ما فوق
ذلك فتضيق عليهم المسالك فيرجعون القهقرى ويمشون
كالحبالى الى ورا والله داد مع ذلك يبذل الاموال ويبادي
مستغيثا بالماء بالرجال قلت

فكان

صوابه عدة

١١٠

فكان كل منهم كالحمار يجرج ما امكنه بالمدار
يوقفه الماء لاجرائه وكلما اوقفه البرد دار
الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق ان هذه مسئلة تكليف ما لا يطاق
وحين تبين له امرهم وتعين عنده عذرهم قارنه الحظ الحالك
وتيقن انه لا محالة هالك وانه قد وقع في البلاء العريض الطويل
وان مخدومه ما طلب منه في ذلك الحر الا قبول الامر جليل وكان
بلغه ما وشاه براضاده ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده
وعلم ان خاطره تغير عليه وفعله مع محمد جلد منذ جامعه قد
نقل اليه وكيف قتله شر قتله ونهب امواله واسر اولاده
واهله وكان متوقعا من تيمور اضعاف هذه الشرور لا يقر
له قرار ولا يسكن له ليل ولا نهار وقد غسل من الحياة يده
وودع حياته واهله وماله وولده وقد قرب شهر الصيام وما
بينه وبين تيمور نحو من عشرة ايام وقد انقطعت الدروب وضعف
الطالب والمطلوب

مفرد

اذا تضايق امر فانتظر فرجا فاضيق الامر ادناه الى الفرج

ذكر سبب انكسار ذلك الجبار وانتقاله الى دار البوار واستقراره في الدرك الاسفل من النار

وجعل تيمور يواصل التسيار حتى وصل كورة تدعى اترار ولما
كان ظاهره من البرد آمنا اراد ان يصنع له ما يبرد الابردة عنه
باطنا فامر ان يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحاره
والافاويه والبهارات النافعة غير الضاده وابى الله ان تخرج
تلك الروح النجسه الا على صفة ما اخترعه من الظلم واسسه
فجعل يتناول من ذلك العرق ويتفوق فاويقه من غير فرق
لا يسال اخبار عسكره وابنائهم ولا يعبا بهم ولا يسمع دعاءهم

حتى سقته يد المنية كاس وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم، فانه
لم يزل للقضا معاندا، وللزمان مجاهدا، ولنعم الله تعالى جاحدا،
ولاشك انه جاء ناقصا وتحمل مظالم فراح زائدا، فاثر ذلك العرق
في امعائه وكبده، فتزخ بنيان جسمه وزخ اركان جسده، فطلب
الاطباء، وعرض عليهم هذا الداء، فعالجوه في ذلك البرد، بان
وضعوا على بطنه وجبينه الجمد، فانقطع ثلاث ليال، وعكم
احمال الانتقال، الى دار الخزي والنكال، وتفتت كبده، ولم
ينفعه ماله وولده، وصار يتقيأ دما، وياكل يديه حسرة وندما

مفرد

وإذا المنية انشبت اظفارها … الفيت كل تميمة لا تنفع

وجرعه ساقي المنية امر كاس، وآمن حينئذ بما كان جاحده فلم ينفعه
ايمانه لما راى الباس، فاستغاث فلم يوجد له مغيث، ونودي
عليه اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي
ذميمة، ظالمة اثيمة، وابشري بجهنم وغساق، ومجاورة
الفساق، فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق، ويجهد
لونه ويزبد شدقاه كالبعير المشنوق، ولو ترى ملائكة العذاب
وقد اظهروا استبشارهم، واخذوا على الظالمين ليجتثوا ديارهم
ويطفئوا نارهم ويهدموا منارهم، ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم، ولو ترى نساءه وحاشيته
وهم حواليه يجارون، واعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا
يفترون، ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو
ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون، ثم انهم احضروا
من جهنم المسوح، وسلوا سل السفود من الصوف المبلول تلك
الروح، فانتقل الى لعنة الله وعقابه، واستقر في اليم زجره

وعذابه

وعذابه، وذلك في ليلة الاربعا سابع عشر شعبان ذي الانوار،
سنة سبع وثمانمائة بنواحي ابزاره، ورفع الله تعالى برحمته عن العباد
العذاب المهين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين،

قلت شعر

الدهر دولاب يدور … فيه السرور مع الشرور
بينا الفتى فوق السما … واذا به تحت الصخور
كم من شموس في سما … فلك العلاء لها يدور
لما استوت في عزها … زالت واكسفها القتور
وملوك دنيا اضرمت … من نار عدواها البحور
ملكوا البلاد واهلها … ماضي الاوامر والامور
اغراهم الدهر الخؤو … ن وغرهم بالله الغرور
ضحك الزمان بثغره … لهم وقد ملكوا الثغور
فغدوا ذئابا في الاذى … وغدوا اسودا في الشرور
غنى لهم فتراقصوا … مثل الشخوص بلا شعور
وحكوا على باباتهم … طيف الخيال اذا يدور
وتوهموا ان الزما … ن مطاوع غير النفور
او ان ما نالوه من … دنيا يفور ولا يغور
فتواثبوا وتضاربوا … وتكالبوا شبه السنور
وتلاكزوا وتلاحزوا … وتناجزوا الضرب الهصور
وتناخزوا وتلابزوا … وتناقروا نقر النسور
هذا وان يتصالحوا … يتصالحوا مينا وزور
فتنافتوا في نارها … متصورين النار نور
بيناهم في عزهم … والدهر مكار غيور
انقض فيهم صرفه … كالصقر في دقل الطيور
امسوا وكل منهم … كاللحم يلقى للصقور

لا مَلَكَ رَدَّ يدَ الرَدَي — عنهم ولا مُلكٌ ودُور
كلا ولا جيشٌ ولا — ولدٌ ولا مددٌ نصور
ثم امحت آثارهم — محو الحيا نقش السطور
لم يبق منهم دهرهم — شيا سوي ذكرٍ يدور
ناهيك منهم فتنةً — كالابحر الظلما تمور
الاعرج الدجال من — قصم الجماجم والظهور
داخ البلاد ودارها — ونوائب الدنيا تدور
أملي له الله الحليم — فزاد عدوي في فجور
وامده ستةً رجا — اياه في شيء يبور
ليراه في امضائه — حكماً أيعدل ام يجور
فاجتاح كل الخلق من — عرب ومن عجم القطور
ومحى الهدي وغدي الردي — بحسامه الباغي يمور
افني الملوك وكل ذي — شرف وذي علمٍ وقور
وسعي علي اطفاء نو — ر الله والدين الطهور
بفروع جنكزخان ذا — ك الظالم النجس الكفور
فاباح اهراق الدما — من كل صبار شكور
واحل سبي المحصنا — ت المومنات من الخدور
ورمي علي النار الصغا — ر كانهم فيها بخور
واضاف في هذا الي — فعل الزنا شرب الخمور
طوراً يري نكث العهو — د وتارة نقض النذور
وعدا علي السادات من — اهل الصيانة والوقور
من كل ذيب صائل — منهم ومن كل كلب عقور
فتكوا وقد بتكوا القلو — ب وبعد ما هتكوا الستور
وشووا جباهاً طالما — سجدت لذي الرب الغفور
وكووا جنوباً قد جفت — طيب المضاجع والظهور

واستخلصوا

١١٧

واستخلصوا الاموال من — ايدي البرايا بالفجور
وسقوهم كاس السمو — م وجرعوا كاس الحرور
واستاسروا آل النبي المص — طفي الطهر الطهور
باعوهم من مشركي الاتـ — راك في اقصي الكفور
وكذاك واحد امه — من كل مقلاتٍ نزور
وجروا علي هذي الجرا — ئم واستمر لهم سرور
ما بين ايران وتو — ران البلاد لهم عبور
وامند ذاك من الخطا — اخذاً الي اقصي القطور
لما انتهي افساده — وتكاملت تلك الشرور
هجم القضاء لاخذه — ولكل تكميل قصور
حذفته ايدي الموت من — تلك القصور الي القبور
وتبدلت منه الكرا — مة بالمذلة والعثور
ومضي الي دار النكا — ل بما تحمل من وقور
وتفرقت تلك الجمو — ع وهذه ما شاد الدثور
ابقت عليه فعاله — لعناً علي مر العصور
وتخلدت اثارها — آذي علي كر الدهور
فانظر اخي ثم افتكر — في ذا المساء وذا البكور
لا فرق عند الموت بين — شكور فضلٍ او كفور
اين الذين وجوههم — كانت تلالا كالزبور
اهل السعادة والحجي — وذووا السيادة والوقور
المطفيوا بدر السما — والمخجلوا فيض البحور
كانوا عظاماً في الصدو — ر وهم صدور في البدور
طحن الردي تلك العظا — م وفت هاتيك الصدور
وسفتهم ريح الفنا — سفي الرمال يد الدبور
اين البنون ومن غدا — للقلب افراحاً ونور

كانوا اذا رفع الحجا ... ب وزحزحت عنهم ستور
تلقى الدنا قد اشرقت ... كالشمس من سجف الخدور
من كل ظبي احور ... او ظبية تزري بحور
نشر الجمال عليهم ... ثوب الدلال على حبور
وفدتهم مهج الورى ... من شر احداث الدهور
كانوا اذا سكنوا مكا ... نا حركوه من السرور
كانوا على وجه الدنا ... حدقا وللاحداق نور
وحدائقا لرياضها ... وعلى حدائقها زهور
بيناهم في سكرهم ... قد مازج الدل الغرور
والعمر غض والزما ... ن مسلم لهم الامور
واذا بساقي الموت فا ... جاهم بكاسات الثبور
فسقى رياض حياتهم ... قدحا اعاد الكل بور
تركوا فسيح قصورهم ... رغما الى ضيق القبور
وسقوا كؤوس فراقهم ... صبرا لكل شج غيور
من شق حزنا جيبه ... ولفقدهم دق الصدور
لو كان ينفعه الرشى ... او كان يجديه النذور
لفداهم ووقاهم ... ورعاهم رعي الخدور
سكنوا الثرى فتغيرت ... تلك المحاسن والشعور
ورعاهم دود البلى ... وفراهم فري الجزور
امسوا رميما في الثرى ... وثووا الى يوم النشور
يسعى المحب مخاطبا ... اجداثهم يوما يزور
يبكي ويندب نائحا ... قبرا اتاه وشه الدثور
ويمرغ الخدين في ... ترب براها كالذرور
يدعو فليس مجيبه ... الا صدى صم الصخور
بينا تراه زائرا ... واذا به امسى مزور

هذا

هذا بتقدير الاله ... وحكم فعال صبور
دنياك جسر فاعتبر ... واحرص على زاد العبور
واطمح الى اللب الهني ... فجميع ما فيها قشور
لو لم تك الدنيا وما ... فيها هباء خيثعور
ما كان يزوي برها ... عن كل صبار شكور
كلا ولا انقادت لمن ... قد صار مختالا فخور
هذا وغالب من عنا ... في ارضها عرج وعور
خلقوا للحق فانثنوا ... عنه الى مين وزور
يا رب ثبتنا على ... ما ترتضيه من امور
واغفر لنا ما قد علمت ... من الخطايا يا غفور
واختم لنا بسعادة ... نكفى بها شر الغرور
وامنن لنا بتجارة ... من باب فضلك لن تبور
وادم سحائب رحمة ... تهمي على بدر البدور
خير الانام محمد ... الشافع الزاكي الطهور
والآل والصحب الكرا ... م وتابعيهم يا شكور

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور من حوادث وامور وما ظهر من سرور وشرور

وكان الله داد احد الخلان، يدعي سعادات نائب اندكان، من ذوي النباهة والشهرة، وهو احد الامراء الذين توجهوا للعمارة باشخرة، فارسل قاصدا الى الله داد، انه ارتفعت مادة الفساد، وان تيمور ترك تبعة الممالك، وتوجه بتبعاته الى درك مالك، فوصل القاصد بهذا السرور، رابع عشر شهر رمضان من العام المذكور، ففرج عن الله داد همه، وازاح عنه غمه، وكانه استانف له الحياة، او رد راحلته التي عليها طعامه

وشرابه بعد ان اضله في فلاه • وسياتي حكاية الله داد وامره • وما
جرى له بعد ذلك الي اخر عمره

ذكر من ساعده البخت واستولى بعد تيمور على التخت

فلما قضى تيمور نحبه • وازال الله عن العالم كربه • لم يكن معه في
اجناده • من اقاربه واولاده • سوى خليل سلطان بن اميران
شاه حفيده • وسوى سلطان حسين بن اخته الذي هرب الي
السلطان في الشام عند وروده • فارادوا كتم هذه القضيه •
وان لا يشعر بها احد من البريه • فشاعت وذاعت • وعلى رغمهم
ذاعت • فاضطربوا واضطرموا • واصطدموا واصطلموا •
فاطلع الناس كلهم على ذلك وفهموا وعلموا • انه قطع دابر القوم
الذين ظلموا • فخفت العساكر واجفلوا • وحملوا اعظامه الي
سمرقند فقفلوا • وساعد خليل سلطان البخت • وخلا له الجو
فاستولى على التخت • وكان ابوه اميرانشاه • متولي ممالك
اذربيجان وما والاه • وعنده ولداه عمر وابو بكر • وبينهم
وبين ما وراء النهر • من الاطواد والاشجار مائة سباسب والف
سكر • وكان ابو بكر هذا في الجغتاي من الفوارس • والضاربين
بالبيض الهام والقوانس • يذكر انه كان يوقف بقره • او
ينيخ بكره • ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين • فيجعلها
قطعتين مفصولتين • واميرانشاه هذا قتله قرا يوسف بعد
تيمور واستخلص منه ممالك اذربيجان • وولده عمر قتله اخوه
ابو بكر وابو بكر قتله ايدكو متولي كرمان • ومصافاتهم
مذكوره • وحكاياتهم مشهوره • وشاه رخ كان في هراه •
وممالك خراسان • وبير عمر كان في ولايات فارس وتلك البلدان
وتيمور كوركان • جعل ولي عهده محمد سلطان • وهو وان كان من

احفاده

احفاده • لكنه قدمه على اولاده • لما لاح له من فلاحه • وظهور
رشده وصلاحه • فعاجله القضاء فيما يروم • ومات كما ذكر
في اق شهر من بلاد الروم • وكان له اخ يدعى بير محمد • فجعله
تيمور ولي عهده من بعد • فلما هجم عليه رائد الموت • وانهب
روحه الخبيثة بازعج صوت • كان مستغرقا في بحار غفلته •
مسترجيا ارجاء مهلته • فذبح اغتباطا • وسام عسكره
اختباطا • وكان اذ ذاك من اولاده واحفاده بعيد الدار •
مستغر القرار • آمنا من البوار • فارغا عن الدمار • وهم
كتيمور غافلون وبير محمد في قندهار • وهي بين حدي خراسان
والهند وبينه وبين ما وراء النهر سباسب وقفار • فلم يكن
اقرب الى دار الملك الذي انشاه • وهي سمرقند سوى خليل
سلطان بن اميرانشاه • مع ان قطان الشتاء وندافه • كان قد
بسط على فراش الارض بحلافه • وندف عليه من اقطان الثلوج
ما غطى وجه العالم واطرافه • وطم ظهره واكتافه • فلم يقدر
احد من اوليك الحشرات ان يخرج راسه عن اللحاف • او يفتح
ثغر زهره انملة في كميم خوفا من جاني النسيم ان يبادره باختطاف
الاقتطاف • فضلا ان يتمطى في فراش اهبته الي حركة سفر •
فيمد يده نحو بطش او رجله نحو طواف • فاستولى خليل سلطان
على ذلك المغنم البارد من غير منازع وعديل • واستبدل الملك
بل العالم من جهنم الكوثر والسلسبيل • ونادي لسان السلطنة في
رفعتها نعم البديل • بذلك عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل •
وتمكن من العساكر والامراء • وخلاصة الجند واساطين الزعماء •
واحتوى على تلك الامم • وطوايف الرؤس من العرب والعجم • وادخل
عنق الجميع في ربقة المتابعه • وفتح لهم في اسواق الصدقة حوانيت
الصلات فعاملوه بعقود المبايعه • ولم يمكن احد منهم الخروج

عن الدخول في الطاعه والتخلف عن المبادرة الي مبايعته في ذلك
اليوم والساعه فاطلق لهم البشر واحسن معهم العشره
وكان يوسفي الخلق محمدي الخلق خليلي الرفق اسمعيلي
الصدق جمع حروف الملاحه وحاز صنوف الصباحه
نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف والنون على احسن
ما يكون من الحركات والسكون فاول ما شق على لوح الجمال
الف قده القويم فباء له كل من فاء عن لام عذاره منقوشا
في خدمته كالدال والجيم وحسن لكل راء بما فيه من زينه
وما شين سين ثغره وميم فمه مذ فاها بخلف ولا مين
فاستقفي بوابله كل قاف واستكفي بنائله كل كاف وامطر
من عين كفه العين فصاد من الجند كل ذي لام وباء وذال بذلك
على كل من باء عن وعده ورجع عن عهده وفاء فقلدت الوافيات
مهجته ورقته من عين الحوادث بالجنه وعوذته منه الارداف
بالطور والاحقاف وحمت نون حاجبه وفاه وطرفه وطرته
ورفعه نجم عشق وفتحت له الملوك بالثنا افواها وخفضت
لارتفاع خدودها معوذة له وقالت بس وطه

ذكر خلاص العساكر من البليه وقفولهم مع عظامه الي سمرقند

ولا ذبح فصار العناء تيمور ونحره جزرا كالجزور
لجعل بجوده كالثور وبقره ثم اراد ان يصليه من نار الجحيم
حفره فاستغاث بخليله فاجاره واخره وقال لا تعجل عليه
وحمله في محفة بعد العجله وصبره والوى راجعا الي سمرقند
وكان قد اتخل بهر خجند وطالب الثار قد ادرك ثاره وبرد
قلبه وسكنت الحراره

قلت

ورق للعالم قلب النسيم واقبل الدهر بوجه بسيم

ثم

ثم هجم جيش الربيع المنصور فانهزم جند البرد فولي وهو مكسور

ذكر ما اضمره وزراء تيمور واخفاه كل منهم في التامور

وكان في افلاك ذلك العسكر سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر
وبار انهم تقتدي وبرؤيتهم تستضاء

قلت

من كل منتخب للامر منتجب كالشمس رايا وكالضرغام اقداما
قد هذبتهم الامور وشذبتهم بلايا تيمور واستفتح بهم
المغالق واستوسع بسداد اتهم المضايق وتخلص
بحلاتهم من شدة كل مارق وتوصل بعزمهم الي نيل المارب
وتوسل بعزيمتهم الي الكنوز المطالب وكان هو البدر وهم
الهاله وهو الفاعل وهم الآله وهو الروح وهم الحواس
وهم الاعضاء وهو الراس فلما كورت شمس مواكبهم
وانتثرت كنس كواكبهم ورحل زحلهم وخاب املهم

قلت

وعوض الكوكب الدجي بالضحي وبدل المريخ بالمشتري
اجال كل منهم قداح فكره وتدبر في ذلك الحادثة وعاقبة
امره واستصغر خليل سلطان وعلم ان موج المنازعة
سياتيه من كل مكان وانه لا يصفو له ورد الملك من مكدره
ولا هواه من مغيره واقل الاشياء ان يقول له يقول اكابر
اقاربه كبر كبر فاعد لكل شدة شده ولكل عدة عده
ولكل خزة فزه ولكل حزة حزه ولكل بوس البوسا
ولكل سهم ترسا ولكل نائبة نابا ولكل بائقة بابا
ولكل خطبة خطابا ولكل خطاب جوابا ولكل حرب حرابا
ولكل امر امرا ولكل غدر غدرا ولكل ازمة حزمه
ولكل نصب نصبه ولكل كسرة جزمه ولكن شكيمة البرد

ردت جناح كل جموح ، وصفحة الجد قد تجناح كل سبوح ،
فما وسع كلا منهم الا الاطاعه ، والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع
والطاعه ، واستمروا معه على القفول ، مضمرين لخليل ما اضمره
للحبيب عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان احدهم يدعى برندق ،
فرام الى التحصن بقلعة المخالفة التسلق ، فقال لخليل سلطان
اقتضت الاراء ان اتقدم ، واهد لك الامور الى حين تقدم ،
واكون رائد دولتك ، وقائد سلطنتك ، فاشيد القواعد ،
وابشر الصادر والوارد ، فيكون كل مستعد للملاقاه ، ومهيأ
اسباب الموافاه ، فاذن له ، وامامه ارسله ، فوصل الى سيحون
وقد عقد عليه جسر بالمراكب ، وهيئت اسباب عبوره لكل راجل
وراكب ، فعبره برندق بجماعته ، ثم امر بقطعه من ساعته ،
واعلن العصيان ، وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان ،

نظم انتفاني

فكشرت اسوارها في وجهه انيابها
واسبلت عصمتها ذ بابها حجابها
واسدلت على حيا منعه نقابها

فاستدرك فارطه ، وسلك في مسألة منطقه المغالطه ، ووصل
خليل سلطان الى الجسر فوجد عقده قد انحل ، ونظامه قد اختل ،
فلم يكترث ببرندق وما فعل ، بل عقده مرة ثانية ودخل
وولي ما وراء سيحون من البلاد ، متوليها اولا وكان يدعى خدايداد ،
وهو اكبر اعدائه ، ومن رفقاء تيمور ونظرائه ، ومنسوبا
الى السلطان حسين ، وهو في تلك البلاد بمنزلة الراس
والعين ، فلم يسع خليل سلطان الا مسالمته ، واقراره في
بلاده ومهادنته ، اذ اموره كانت في اوائلها ، فغوض اليه
امرها والقلوب في غوائلها

ذكر

ذكر وصول خليل سلطان بما ناله من سلطان الى الاوطان

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها ، وخرج اليه نائبها
وزعماؤها ، ووفد عليه نواب البلاد ، منغمسين في السواد ،
لابسين اثواب الحداد ، وجاء الاكابر العظام ، معظمين
تلك العظام ، ومهنين خليل سلطان بالسلامه ، ونيل سرير
الزعامه ،

قلت

ووجه كل قد غدا مثل الربيع القادم
بعين سحب قد بكت وثغر زهر باسم

وجعلوا يقدمون التقادم السنيه ، والحمولات البهيه ،
وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته ، وينزله في منزلته ،
وقال لبرندق لا تثريب ، وقابله مقابلة الخليل الحبيب ،
ومهد له بساط المباسطه ، وسلك معه مسئلة المغالطه ، وحين
ثبتت اوتاده اقتلعه ، والقاه على غفلة في فم اسد المنية
فابتلعه ، ثم استولى على دياره كلاب النهاب ، وشهاب الالتهاب
فرق اديمها ، وهتك حريمها ، ومحا حديثها وقديمها ،

ذكر مواراة ذلك الجثث والقائه في قعر الحدث

ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جده ، وتنجيز امره والقائه في
حفرة لحده ، فوضعه في تابوت من ابنوس ، وحمله الروس على
الروس ، ومشى في تشييع جنازته الملوك والجنود ، حاسري
الروس لابسي الثياب السود ، ومعهم طوائف الامراء والاعيان ،
والتزلوه على حفيده محمد سلطان ، في مدرسة حفيده المذكور ،
بالقرب من مكان يسمى روح اباد وهو موضع مشهور ، فكان
هنالك على اثافه في سرداب معلوم غير خاف ، واقام عليه

شرائط العزاء، من اقراء الختمات والربعات والدعاء، وتفريق
الصدقات، واطعام الاطعمة والحلاوات، وسنم قبره، وبخر
امره، ونشر على قبره اقمشته، وعلق على الجدران الاسلحة وامتعته
كل ذلك ما بين مكلل ومرصع، ومزركش ومصنع، ادنى شيء
من ذلك بخراج اقليم، وحبة من كل من تلك الجواهر تفوت
التقويم، وعلق نجوم قناديل الذهب والفضة في سماء غواشيه
وبسط على مهاده فرش الحرير والديباج الى اطرافه وحواشيها،
ومن جملة هذه القناديل قنديل من ذهب زنته اربعة آلاف
مثقال، رطل واحد بالسمرقندي وبالدمشقي عشرة ارطال، ثم
رتب على حضرته القراء والخدمه، وارصد على المدرسة البوابين
والقومه، وقدر لهم الادرارات، من المسانهات والمياومات
والمشاهرات، ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من فولاذ، صنعه
رجل من شيراز ماهر في صنعته استاذ، وقبره في مكانه المشهور
تنقل اليه النذور، وتطلب عنده الحاجات، وتبتهل عنده
الدعوات، وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما، وربما تنزل عن
مراكبها اجلالا له واكراما،

فصل في اعتدال الزمان واخبار خليل سلطان

ولما اخذت تيمور الصيحة بالحق فصار غثا، وقعد خليل سلطان
على التخت وقام الثناء بعد ان كان جثا، مد الشعراء السنتهم
للزمان بالمدح ولخليل سلطان بالتهنئة ولتيمور بالرثاء، فسمع
الشتاء وغني صوته واجاز، ورفع عن العالم في نهوضه الكلاكل
والاعجاز، فابتهج الكون بورود الربيع، وشكر الروض للسحاب
ما اسداه اليه من حسن الصنيع، ورفع على الروابي من
الشقائق اعلامه، ونصب مما زهره خيام الصنع من ازهار الانجم

خيامه، ونوّر الحدق بأنوار الحدائق، واستنطق بتسبيح الخالق،
من خطباء الاطيار على منابر الاغصان في جوامع الرياض ما استنبطت
بلغاته كل ناطق، من كل مغرب في ديوان الفصاحة رائق، ومعجب
باسرار البلاغة فائق، فرقصت الاشجار، لغناء الاطيار،
وصفقت الانهار، واعتدل الليل والنهار، واكتسى البسيط
الاغبر، خلع السندس الزاهر، وتبدلت الاغصان من قطني
الثلوج، كل ثوب باصباغ القدرة مزهر، وبدمقس الازهار
منسوج، وكل قباء صار مزهرا في كل دف اغن لكل طائر
وفروج، وبسط الكون على الكان، لاقدام خليل سلطان، شقق
الورد والريحان.

فصل

ولما فرغ خليل سلطان من ذلك، شرع في تمهيد الممالك، وتسليك
المسالك، وعلم انه لا يتقيد حر انسان، الا بقيد الاحسان،
ولا يجتمع له البال، الا بتفريق المال، فعقد القلب على فك طلسمات
الختوم، وحل الرموز، وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطالب
والكنوز، وقوى العزيمة على فتح الخبايا، وصيد عصافير
القلوب ببذر حبات الهبات تحت شباك العطايا، ففرق ما كان
شتت جده في جمعه شمل البرايا، وثقل الكواهل بتخفيف ما اثقل
ظهر غيره بالمآثم والخطايا، واوسق احمال الآمال، ورتوع
الاطماع بالاموال، وامطر ايادي يمينه بالنوال، ففاض الخير
من صوب الشمال، وملأ الافواه والمسامع والمقل من الناس
بما افرغ من حواصل الكنوز والصناديق على اغنام الجند
والاكابر، فنثر اغصان الدوح عند ورود الربيع اصناف
ازهاره، فكأنه انامل كفه المنتظمة في نثار درهمه وديناره،
وجاد السحاب بدرّ دره وامطاره، فضاهى جود جوده
الهامي على العالم واقطاره، فتقيد الناس كلهم بهذا القيد، وتحوا

حُرّاف بذلك مُعربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد ،،

ذكر من اظهر العناد والمراء
وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامرا والوزراء

غير ان بعض تلك القواد ، وزعماء الوزراء والاجناد ، اعلن بكمان
أسَرّ ، ووضع المضمر من العصيان موضع المظهر ، فاول من شهر
سيف العصيان ، وفوّق سهام العدوان ، وشرع بمخالفة
الزدبني ، خدايداد الحسيني ، متوليا ما وراء نهر سيحان ، واطراف
تركستان ، فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطاعة ،
اماما يقتدي به في البغي ومخالفة الجماعة ، لاسيما وقد كان صواغ
الربيع قد اذاب بحرارته سبائك الجمد والثلوج ، ورصع بما اخرجه
من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنات واربا من المروج ،
واستمعت اموات الحشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم
الخروج ، فاقتفى خدايداد ، في العصيان والعناد ، شيخ نور
الدين ، وكان عند تيمور من المقدمين ، وذوي الاراء
والتمكين ، فانخزل جهارا ، وسار ليلا ونهارا ، فوصل الى
خدايداد ، وتقوى منه الظهر والاعضاد ، وشاركه في التمرد
والفساد ، ثم بعده فرط نظام الطاعة شاه ملك ، واخذ في
طريق المخالفة وهو منهمك ، وخرج من سمرقند وهو يصرخ ،
وقطع جيحون ووصل الى شاهرخ ، وكان نظير شيخ نور الدين ،
وذا راي مكين ، وفكر رصين ، فلم يكترث خليل سلطان بالعاصي
والكرم من ثم نقض ، وعم نتاج انعامه كل راس وما خص بعض(?)

ذكر اخبار الله داد صاحب اشاره واخلائه اباها
وقصده دباره وما صنع فى تدبير الملك واثاره
قولا وفعلا واشاره الى ان ادرك فى ذلك دماره
وبواره

ثم ان الله داد جمع اخصاءه ليلة ورود الخبر اليه ، وشاورهم فيما
يصنع وما يبني اموره عليه ، فاتفقت كلمتهم ، واجتمعت
مشورتهم ، على قصده دباره ، واخلائه اشباره(?) ، فانهم كانوا
في ذلك المكان ، كالفسيق في شهر رمضان ، والزنديق بين قراء
القرآن ، فلما طوى الجو ملاءته المسكية ، ونشر على المكان مروطه
الكافورية ، والقى ثعبان الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع
خرزته المضيئة ، حضر الى خدمة الله داد ، امراء الجيش على
عادتهم ورؤس الاجناد ، من الترك والخراسانيين ، والهنود
والعراقيين ، فاختلى باماثلهم ، ومداره معاقلهم ، ونشر لهم من
هذه القضية طيها ، وطلب من ارائهم فيها رشدها وغيها ،
واستكتمهم امرها ، لئلا يستنشي الغول نشرها ، واني لعين
الشمس في الصحو استتار ، وكيف يخفى على ذي عينين النهار ،
فكل منهم فوض الامر الى مرسومه ، وطرح قصبة(?) هذه القضية
في جيب مكتومه ، فاستدعى من اولئك الرفاق ، ان يكونوا
معه فيما يراه على طبق الوفاق ، فاجابوه الى سؤاله ، وربطوا
افعالهم باقواله ، فاكد ذلك بطلب ايمانهم ، وان اسرارهم في ذلك
كاعلانهم ، فشرع كل في المخالفة ، انه ليس في موافقته مخالفة ،
وانه مهما راه الله داد امتثله ، وما امر به فعله ، وحين امن من
مخالفتهم وعصيانهم ، وحصل له اليسار بربط اعناقهم بايمانهم ،
قال اي جماعة الخير ، وقنية الضر وكفية(?) الشر ، ارى ان اكون
في صلاة هذا الامر امامكم ، فتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم
لا مهد لاموركم ، وارسل الى بلادكم هذا بدلكم ، وايم الله
لا ياخذني قرار ولا هدو ، ولا اترككم مضغة لضاغم
ثغر العدو ، فان رايتم ان تضبطوا الحصن لانتظام(?) اموركم ،
وتحموا فرجة وتردوا قلعتكم من سورة شارب العدو وسوركم ،

فلن أمهلكم الا بقدر ما اقطع نهر خجند، وأصل الى سمرقند،
فامهلوني ريثما اصل، وبخليل سلطان أتصل، فتبعوا مراده،
واقتفوا ما اراده، وعاهدوه ان لا يخلعوا من بعده، ولا
يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده، فامّر عليهم راس جنود
العراق، وكان هو اكبر الرفاق بالاتفاق، وقرر لكل مسلحة
في اسوارها من كل سالح جزاءً مقسوما، وصار زعيم اولئك
السالحين كالنبي في امته مع انه كان يدعي معصوما،

فصل

ثم امر الله داد بتنجيز الامور، وخرج سابع عشر شهر رمضان
المذكور، ولم يلتفت الى برد وحر، وكان قد استوطن اشبارة
واستقر، ونقل اليها حريمه واولاده، وبذلك امر حاشيته
واجناده، فانقلع الكل معه كبيرا وصغيرا، ولم يدع بها مما
يتعلق به فتيلا ولا نقيرا، فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا،
وطورا تسوخ بهم الارض من ثلجها خسفا، وآونة تسقط السما
عليهم كسفا، فادركهم العيد المرقوق في مكان يدعى فم الاعجوق،
من برد البلاد، كانه ينبوع ريح عاد، قلت شعر
اذا احتاجت جهنم زمهريرا تنشق منه انفاس الهجير

ذكر ورود مكتوبين الى الله داد من خليل سلطان وخدايداد تخالفت معانيهما وتصادمت فحاويهما

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان، يذكر فيه ما حصل لجده من
حادثة الزمان، وانه استولى على سريره، واطاعه من الملوك كل
كبير القدر وصغيره، وان الامور بحمد الله مستقيمة، وقواعد
الملك على عاداتها القديمة مقيمة، فلا يحدث امرا، ولا يخرج

من

من جرمه بنته براه، وليسد ذلك بمكانه، وليتثبت باشارة مع
طوائف جنده واعوانه، وليطيب خاطر الجزء والكل، فانه
عقيب ذلك يرسل اليهم بدل الطل من الكل، فتحير الله داد وتفكر
وحاسب نفسه هل يربح في سفره ذلك او يخسر، ففكر وقدر،
فقتل كيف قدر، فبينا هو في مره بعيد ويبدي، ويلج في
شقة افكاره ويسدي، واذا بقاصد خدايداد ورد
عليه، يستحثه على الخروج من اشبارة والوصول سريعا
اليه، فوجد لخروجه من اشبارة عند خليل سلطان مندوحة،
وعاش فنام وهو مغمض العينين بعد ان مات وعيناه مفتوحة،
فطوى بساط تردده، وتوجه ببسط امله نحو مقصده،
ولكن كان بينه وبين المراد خرط القتاد، والموانع التي ذكرها
صاحب الوصول الى الاسعاد، مع زيادة نهر سيحون وخدايداد
فواصل التاويب والاساد، حتى وصل الى خدايداد، فابتهج
برؤيته، واستنجح مقصوده بطلعته، ثم قطعا نهر خجند
وقصدا ضواحي سمرقند، ووصلا على حين غفلة وفترة الى
مكان يسمى تيزك، وقد شهرا للعدوان الحسام وشرعا للفتك
النيزك، فحاطا على جشار تيمور فنهباه، وتغلبا على ما وصلا
اليه من نقد وجنس فسلباه، واكثرا هنالك شرا وفسادا،
واشبها في ذلك تسعة رهط ثمودا وعادا، وكانت هذه
اول شرارة شرر بدت عن سقطة من سقط الزند، وبسطت
يدها بالفتن بعد قبض تيمور في ممالك سمرقند، لان اهلها كانوا
قد امنوا الشرور، ووقوع الفتن في حياة تيمور، فحين
دهمهم اولئك المفترون، اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون،
وذلك في شوال سنة سبع، وهو العام الذي خلا فيه من
تيمور الربع، وما امكن السلطان خليل تدارك هذا الخطب الجليل،

ذكر من خلفه الله داد باشارة من الطوائف
وما وقع بعده بينهم من التناكر والتخالف

واما من خلفه الله داد، في اشارة من طوايف الاجناد، فانهم
خافوا من المغول لطول حينهم، فتحزبوا واختلف الاحزاب من
بينهم، فمنهم فرقة قال قائلهم انا على عهدي قوي فلا اخون وامين
وقد استمسكت يدي بعروة عهد مكين، وارتبطت بحبل حلف
فلا اصير من اهل الشمال باليمين، وادى ذلك ان نصبر حتى
يصل من الله داد رسول او كتاب، وننظر ما يبين فيه من سلوك
سنة فنميز بصائب نظرنا الخطا في ذلك من الصواب، فان
وافق ذلك مرادنا امتثلنا ما يقوله، واتبعنا في ذلك الكتاب
والرسول، وتوجهنا في تلك الساعة سالكين السنة مع الجماعة
وان جالحنا في كلامه بخطاب اجلح، عادلنا الى الاعتزال ومال
كل منا في مصلحة نفسه الى القول بوجوب الاصلح، ومنهم شيعة
مالت الى رفض تلك الاراءة، والمبادرة الى الخروج من اشاره
وانتقلوا من تكرار هذه المجادلة الى القتال، وقطع راس احد
رؤس الخراسانيين في مصاف النزال، ومنهم طائفة اهمتهم
انفسهم فلم يلبثوا الا عشية او ضحاها، ثم تحملوا وخرجوا من
المدينة وتركوا الدار تنعى من بناها، فلم يسع الباقين الا
اتباعهم في الخروج، لان مقامتهم من اول الزمان هناك كانت
كبنيان القصور على الثلوج، فتحملوا ببعضهم وقضيضهم،
وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم، وتركوا البلاد بما فيه من غلات
ومستغلات، ونعم وخيرات، واموال واقمشة، ونفائس
مدهشة، ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونه، سوى ما عجزوا
عن حمله من اموال المشحونه، وسوى امراة واحدة مجنونه
ولحقوا بالله داد، وهو عند خدايداد، فلم يتخلف واحد منهم

رعاية

بما

١٢٠

بما فعل، واعتذر اليهم بان خدايداد منعه ان يتوجه الى سمرقند
ويجهز لهم البدل، وامرهم بالاقامة معه مستوفزين، وان
يكونوا الفرصة التوجه الى سمرقند اذا لاحت منتهزين،

ذكر ما تم لالله داد
مع خدايداد
وكيف ختله وخلبه
واسترق عقله وسلبه

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد، تاكد العداوة بين
خليل سلطان والله داد، فركن اليه بعض الركون، وجعل
يستشيره فيما يصير من امره وما يكون، وكان عند خدايداد،
طائفة من مماليك الاجناد، تخلفوا من العساكر في تلك البلاد،
وقد ضيق عليهم المسالك، واراد ان ينقلهم من مالك الى مالك،
فلم ينعم له الله داد بذلك، وقال ان عادة الاكياس استجلاب
خواطر الناس، خصوصا في مبادي الامور، وحدوث اوائل
الشرور، فلا تنفر عنك الخلق، وعاملهم اولا بالاحسان
والملق، واي فائدة في قتل هؤلاء وتمزيق اديمهم، سوى نفي
الصداقة وتاكد العداوة بيننا وبين مخاديمهم، وربما يكون في
خاطر احد من مخاديمهم نفرة من خليل سلطان، ويروم لذلك
ظهرا وملجا يلوذ به من رفيق ومكان، فتلجئه الضرورة الى ان
يقصد ممالك تركستان، فاذا اذيته في متعلقيه انى يبقى له
اليك ركون واطمئنان، واقل ما تفعل مع هؤلاء بالانسان
امساك بمعروف او تسريح باحسان، ومخاديم هؤلاء لنا رفقا
ولخليل سلطان اصدقاء، فان زرعت معهم الجميل ملكته كل
رفيق وجليل، والقيت العداوة بين من عاداك من صديق
وخليل، فلما سمع كلامه، القى اليه بيده من ذلك الامر زمامه،

فاشار عليه براحهم، واحسانه اليهم في غدوهم ورواحهم، فزاد في
نجاحهم، وراش محصوص جناحهم، وصرفهم بالعز في طريق
مراحهم، فدارت بالسعد افلاكهم، واجتمعت بهم املاكهم وسلاكهم،

ذكر ورود كتاب من خليل فيه لفظ رقيق نحل امر جليل

ثم ان وافد خليل سلطان وفد على الله داد يطلب منه السعي في لم
الشعث فيما وقع بينه وبين خدايداد، وان يستعطف خاطره
الى الرضى، ويستقبل الودة في الحال ويعفو عما مضى، ومهما
طلبه يتكفل به، ويعد قربه من فصل قربه، ويكون هو السفير
بينهما، ويتضرع بالصلح عنهما، فتوجه الله داد الى خدايداد وابلغه
هذه الرسالة، وبين له ما في هذا القول من رقيقه وجزاله،
وسبب العداوة التي كانت بين خليل سلطان وخدايداد، على
ما ذكر ان خليل سلطان كان في اوائل الزمان مجاورا لخدايداد
في تلك البلاد، وكان جده جعله ناظرا عليه، وفوض امور
تربيته اليه، وكان كزا جافيا، وجلفا جاسيا، فكان
يعامله بالفظاظه، ويقابله بالكثافة والغلاظه، وكان
خليل سلطان لطيف الذات، ظريف الصفات، نسيم اخلاقه
لا يحمل من خدايداد زعازعه، ويرد مزاجه اللطيف لرقه
حاشيته لا يثبت لمجاذبته المشاقة والمنازعه، فتولد من تلك
القساوه بينهما العداوه، وسعت بينهما الوشاه، الى ان دس
له مهلكا فسقاه، فكانه احسه، فتدارك نفسه، وتعاطى
علاجه، وما يصلح مزاجه، فقضى الزمان ان نصل من تلك
الداهيه، ولتيها كانت القاضيه، وبقي فيه من ذلك
اسج، واورثه العرج، فصارت العداوة الخاصة عامه،
وغدت هذه الفعلة لهذا المعلول علة تامه،

فصل

ثم ان الله داد حلف لخدايداد، الايمان الغلاظ الشداد، واكد
هذه الايمان، بان استصحب معه القران، واشار اليه، ووضع
يده عليه، وزاد تاكيدا بايمان الطلاق، وبالالتزامات والنذور
والعتاق، انه لا ينقبض عن طاعته ابدا، ولا يستحيل عليه
ابدا، وانه ان توجه الى سمرقند، يجهد في رأب ما انصدع
ورد ما انقدع، ورتق ما بين الجانبين انفتق، ورفع ما في
خواطرهما من الشحناء والعداوة انخرق، وان يجهز له تومان
احدى نساء تيمور، وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد الشرور
واصلاح الامور، وان عجز عن رفع الشان، ومحو سطور
العدوان، فانه لا يستحيل عن مصادقة خدايداد في السر
والاعلان، وصار يتملق ويترقق، ويتوصل بتمويهات
زخارفه الى مجاري فكره ويتسلق، ويشدد ايمانا ترجف
القلوب وتصدع، بالله الواحد ويثني بالطلاق الثلاث من
زوجاته الاربع، وكان مخيمهم على ساحل سيحون ممتدا، وهو
عن شاهرخية نحو من بريدين بعدا، فعبر سهم ختله الى سويداء
قلبه بمكر ودخل، وغربله اذ طحن معه نا عما ما زرعه بيمينه في ساحله
ونخل، الى ان سمح باطلاقه، بعد تاكيد عهده وميثاقه،
فرجع الله داد الى وثاقه، واحتمى بحاشيته ورفاقه،
وكاتبوا في شاه رخية، واخبرهم بهذه القضيه، وكان قد
هيا قبل ذلك الامر، واخذ من كل جهة اسلحته وحذره، ثم انه
شمر الذيل، وقطع سيحون بالمراكب تحت جنح الليل

ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان ودخوله مكرما معززا في الاوطان

وحين حصل على هذا الجانب، ولم يبق له في ذلك الجانب حاضر

ولا غائب، امر في الحال بعكم الاحمال، وشد الاثقال، واخذ
الاهبة قبل النهبة، فافرغوا عليهم سوابغ السلاح،
واذن بصلاة الرحيل قبل الفلاح، وقدم ضعفة اهله
والاثقال امامه، ونقض بهذا الاذان شروط الاقامة، وكتب
الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار، وما جرى بينه وبين
خدايداد وكان وصار، ويستنهضه باستقبال المدد، وارسال
العدد، لاحتمال ان خدايداد الابله، يتفطن لغائلة هذه
الفعلة، فيخطر بباله ردهم، ويرسل وراءهم من يصدهم، ثم
ساروا كالسهم الصائب، وطاروا كالنجم الثاقب، فما اصبح لهم
الصباح، الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح، وجازوا كل قاتم
الاعماق خاوي المخترق، وقطعوا على انوال المسير مما اسدته
مطاياهم من مزهر الرياض الوان الشقق، فوصلوا بالسير سراهم
فساروا نهارهم اجمع حتى غشيهم مساهم، وحين اخذ منهم اللغوب،
وكل الراكب والمركوب، وسدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح،
عدل بهم الى بعض البطاح، وحط عنه واستراح، ورسم ان لا توقد
نار، ولا يطمع احد في طعم النوم بغرار، ولا يشام في جفن
طرف سيف ولا سيف طرف، ثم انتهبوا ما يسد الرمق فصلوا
صلاة الخوف فعبدوا الله على حرف، وامهلوا ريثما قطعت
الدواب العليق، ثم امر فحملوا وركبوا متن الطريق

ذكر تنبه خدايداد بان الله داد
خلب عقله بانكال وانكاد

ثم ان خدايداد تنبه من رقدته، وارعوى من ليلته، وعلم
ان الله داد خلبه بزوره ذلك وسحره، وكسف شمس عقله ولعب
به في دست حلقه وقمره، فعض كف بعض الظالم على يديه، وعبى
في الحال عسكرا جرارا وانفذه اليه، فاسرعوا وراءه، والتمسوا

لقاءه، فلم يروا له عينا ولا اثرا، ولا وردوا عنه من احد حديثا ولا
خبرا، فلم يزالوا في طلبه حائرين دائرين، ثم غلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين، ووصل الله داد الى مقصده، فوجد وظيفة الوزارة
شاغرة فاستولى عليها بمفرده، اذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين
قد خرج، وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج،
فابتهج بقدومه خليل سلطان، وقدمه كما كان على سائر الوزراء
والاركان، فتمكن الله داد كيف شاء، وتصرف في معاني الملك ببديع
بيانه اخبارا وانشاء، وتعاطى في الحال تمهيد الامور، وتجهيز
السرايا وحفظ الثغور، فتراجع امر الناس وانضبط، وانتظم
عقد الملك بعد ما انفرط، واستقر حال الناس، وتمكنت القواعد
على الاساس، وكان هو وبرندق وارغون شاه، واخر يدعى بجول
يدبرون مصالح المملكة، ويسلكون بكل احد مسالكه، ولكن الله داد
هو الدستور الاعظم، والمشار اليه المقدم، وعليه مدار القبض
والبسط، ونظام عقود الحل والربط، واستمر شيخ نور الدين
وخدايداد، يغيران على البلاد، ويزيدان في الشرور والفساد،
واستوليا على اطراف تركستان، وممالك تلك البلدان، منها سيرام
وتاشكند، واندكان وخجند، وشاهرخية واترار وسغناق،
وغير ذلك مما في تلك الاكناف والافاق، فكانوا يقطعون
سيحون، ويتوجهون الى ممالك ما وراء النهر ويغيرون، فتارة
يتوجه اليهم خليل سلطان، وتارة يجهز لهم طوائف الجند والاعوان،
وعلى كل تقدير فانهما كانا لا يلتقيان وينهزمان، وسيأتي ذكر ذلك كما كان

ذكر ما وقع في توران
بعد موته من حوادث الزمان

واما المغول، فانه لما اتصل بهم خبر ذلك المخذول، وكان بلغهم
انه قد صوب احجار كيده الى هشم تلك الثغور، وفوق نبال قصده

الى خرق تلك البطون والخصور، ولم يشكوا في ان ذلك شرك مكيده
وأحبولة مصيده، فلم يقر لهم قرار، وتنادوا الفرار الفرار،
وتشتتوا في البلاد، وتشبثوا باذيال القلاع ورؤوس الاطواد،
ولجأوا الى الحصون والجروف، وتماوتوا في قعر المغارات والكهوف،
وكذلك كل ذي يمين من اهل الدشت والشمال، وتوزعوا في الاحقاف
والرمال، وصار اهل المشرق والخطا الى حدود الصين ومن في ذلك
الوجه يسرحون، لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا
اليه وهم يجمحون، والحق انه كان في هيبته وعتوه قد عرج الى
ان اهلك العالم شرقا وغربا بالارج، وصار كما قيل،

تكاد قسيه من غير رام ... تمكن في قلوبهم النبالا

تكاد سيوفه من غير سل ... تجد الى رقابهم انسلالا

تكاد سوابق حملته تغني ... عن الاقدام ركضا وابتدالا

فلما ترادف هذا الخبر، وتكرر سمرقند هذا الشكر، واشتهر
اسناده حتى ترقى من الاحاد الى التواتر، وتقرر هذا الحق عند
كل احد فلم يسع فيه جحود ولا تناكر، تراجع فؤاد كل الى جوفه،
وتبدل امنا من بعد خوفه، وتنادوا بالثارات، وشنوا غوائر
شن الغارات، وقصد كل مستحق استرجاع حقه، وكل مسترق
لسترق استفكاك رقه، فاول من نهض من الشرق المغول،
وقصدوا اشبارة واسي كول، واستدوا في تلك البلاد، حتى
جاوروا خدايداد، فهادنهم وصافاهم، وشرط لهم رد ما اخذه
تيمور من ماواهم، وان يكونوا يدا واحدة على من ناواهم،
واحسن كل منهم مع الاخر الجوار، واطمأنت بواسطة هذا
الصلح تلك الديار

ذكر نهوض ايدكو بالتتار وقصده ما وراء النهر وتلك الديار

ثم

ثم نهض من تلك الشمال، ايدكو بعساكر كالرمال، وتوجه بحزم
وجزم، الى ممالك خوارزم، وكان نائبها يدعى موسيكا فلما احس
بالتتار، وخاف على نفسه البوار، اخذ اهله ومتعلقيه وسار،
وذلك بعد ان هجمت التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه،
وعبروا جيحون وهو جمد، ورجع ارغون شاه الى ماواه، فوصل
ايدكو الى خوارزم واستولى عليها، واستطرد بخيله الى بخارى فنهب
ما حواليها، ثم رجع الى خوارزم وقد اذكى في الجغتاي اللهيب
والنكى، وولى من جهته في خوارزم وولاياتها شخصا يدعى انكا،
فتمهدت ايضا تلك الاماكن، واطمأنت الظواعن والسواكن،
بواسطة ان خليل سلطان، قابل كل من اساء اليه بالاحسان،
وصار يسترضي كل ساخط، ويستدني بمكارمه كل شاحط،
ويصطاد النفوس بالنفائس، ويفترس الاسود بالفرائس،
فاحبه الاجانب والاباعد، ورغب فيه كل صادر ووارد، غير
ان شيخ نور الدين وخدايداد، تماديا في الفساد، وتجافيا في العناد،
فخرب ما بين الطرفين من البلاد،

ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيته وما جرى بينه وبين خليل وولية

ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان، وهو الذي عهد اليه تيمور كوركان،
بعد فوت اخيه محمد سلطان، خرج من قندهار، وقصد سمرقند
بعساكر جراره، وارسل الى خليل سلطان، وساير الاكابر من الوزراء
والاعيان، بانه هو ولي عهده، وخليفة جده تيمور من بعده،
فالسرير حقه فاتى بغصبه، والملك ملكه فكيف يسلبه، فكل منهم
جاوبه بما يليق وخاطبه، واما خليل سلطان فتصدى
للمعارضة، وقابل كل مسالة من الخطاب بما ينافيها من المعاكسة
والمناقضة، وقال لا تحلو مسالتنا يا فلان، من ان الملك في هذا

الزمان، اما ان يكون بالانتساب، وتظفر به بطريق الاكتساب،
فان كانت الاولى فثم من هو احق به مني ومنك واولى، وذلك
ابي اميرانشاه وعمي شاه رخ اعني اخاه، فيكون بينهما بالسوية
نصفين، فالك كلام مع وجود هذين، وانا اولى ان اكون
صاحبه فارعى جوانبه واسلك مذاهبه، اما ان يقطع كل
منهما الناغية ويترك لي ما له فيه من ولاية المطالبة، ويقنع بما
هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه، واما بان يجعلني خليفته في
سلطانه فاصون نصيبه ونائبه، وان كانت الثانية
فكلامك لا يستقيم، لان الملك كما زعموا عقيم، ومن قبلي وقبلك
قيل في الاقاويل:

صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم، وشمروا انها ايام من غلبا

وان زعمت ان جدك عهد اليك، او عوّل في وصيته لك عليك،
فهو لم يستولي الا بطريق التغلب، ولم يحصل له ملك وملك
الا بالاغتصاب والتالب، وعلى تقدير التسليم، وان امر وصيته
مستقيم، فانه كان في حياته قسم بلاده، ووزع عليها اولاده
واحفاده، فولى والدي ممالك اذربيجان، وقرر عمي في ولايات
خراسان، وابن عمي بير عمر في عراق العجم وتلك الديار، وولاك انت
من جملة ذلك قندهار، وجعلك وصيه كما رسم وسار، وتحمل
هو المظالم وانتقل، فاين نصيبي انا من هذا التنقل، فاجعلوا
حصتي من ذلك ما استوليت عليه، وليقنع كل منكم بما تفرد به
وفوض اليه، ومع هذا ان تابعك ابي وعمي تابعتك، او
سادا فانك على الوصية وبايعاك بايعتك، وان سلكا في ذلك
طريق الحق، فالملك صيد والاولى به من حاز فيه قصب السبق،
وان الله ازاح علله ان ثبتني باسبابه، واباحه لي مباحا ومن
سبقت يده الى مباح فهو اولى به، هذا وان كلا من مدرسي

فقم

فقد الملك تابعني، ومن له في عقود السلطنة شركة ترك المضاربة
وطاوعني، وعقد عقد توليتي مراجحة ولما وقف على سيري التي
الى السلم وتابعني، واما الوزراء والاعيان فاجابوه بما لا طائل
فيه، سوى ما نجد اذن مستمعيه، غير ان الخواجا عبد الاول
وهو صدر صدور العلماء، والمتصرف في رؤساء ما وراء النهر
من السادات والكبراء، المنفذ بهم احكامه في جميع الامراء
والزعماء، اجاب فاجاد، واصاب وافاد، واختصر واقتص،
وهص من بير محمد وخليل سلطان انتص، فقال في جوابه
مجاريه في خطابه، نعم انت ولي العهد، وخليفة الامير تيمور
من بعده، ولكن ما صادف طالعك سعد، ولو ساعدك
البخت، كنت قريبا من التخت، والاولى بحالك، ان تقنع بمالك
ومالك، وتبقي على خيلك ورجالك، وتضبط ما في يدك من
ممالك، وان ابيت الا طلب التمام، ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى،
وخرجت من مملكتك الى هذا الفضاء، فانك تقع في العناء،
وتخرج ولا يبقى من يدك فتصير مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمنامرته وخروجه عن خليل سلطان وقبضه على امرائه ومخالفته

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بدقائق هذه الاقوال، واردفها
بحقائق الافعال، وامر بتجهيز جند مجنّد، الى استقبال بير محمد،
ولضافهم الى ابن عمة والده السلطان حسين، وعين فيهم من امرائه
الجغتاي كل رأس وعين، وضم اليه الظهور والاعضاد،
ومنهم كجوك وارغون شاه والله داد، فساروا سابغي العدة
كاملي العدة، وذلك في سنة سبع منتصف ذي القعدة
فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها، وانبثوا في اقطارها
ونواحيها، فبيناهم مرفهو الحال فارغو البال فبرزوا

وبيناهم

العين• تمارض السلطان حسين• ثم انه دعا الامراء، ليتفق معهم
فيما هو بصدده الاراء، وقد كمن لهم كمينا، وارصد لهم الرجال
شمالا ويمينا، وحين ولجوا خيمته، ودخلوا اكيسه، وثب عليهم
وثوب الليث على الفريسه، واغرى بهم اسوده فوقعوا فيهم
وقوع الجياع على الهريسه، ثم نادى من معه من الرفاق، ضرب
الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق، وكان كما ذكر ذا
طيش وشجاعه، وتهور ورقاعه، وصولة وجوله، يسبق
فعله قوله، فاهريق في تلك الساعه، دم واحد من تلك الجماعه
يدعى خواجا يوسف وكان في حياة تيمور، نائب الغيبة بسمرقند
وهو امير مشهور، ففي الحال قتل، والى الدار الاخرة نقل، ثم
استقل لنفسه بدعوى السلطنه، ودعا الخلائق من ههنا
ومن ثمه، فدهشت اولئك الرؤس، وعلموا انه قد حل بهم النحس والبوس

ذكر خداع الله داد سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين

غير ان الله داد ثبتت جاشه المزود، واستحضر تلك الساعة
عقله المفقود، فابتدر سلطان حسين مناديا، واستتبعه
في امرهم مناجيا، وقال له بعبارة فصيحه، اني لي اليك
نصيحه، ثم استخلاه وقال، انا كنت مترقبا منك هذه الفعال،
ومترصدا منك اظهار ما انت بصدده، ومن ابن خليل سلطان
ان يحتوي على الملك بمفرده، غير ان هيبة مولانا السلطان
باسطه، ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه،
ولو كان عندي من ذلك ادنى شعوره، لرتبت المصالح على
ما تقتضيه الاوامر الكريمة والامور، ثم ان الخاطر
الكريم، يشهد بصدق هذا الحديث وانا عبدك من قديم،
وسل من كان من المماليك والاجناد، الذين كانوا محصورين



في اسر خدابداد، من خلصهم من حبائل اسره، وانقذهم من ضرام
ضره، واطفأ عنهم ما التهب من شرار شره، اذ لولا انا لكان اباديهم
وابتم اولادهم، وفجع بهم طريفهم وتلادهم، فانك ان تسلهم
يخبرونك، وعلى حقيقة الامر وجلية الحال يظهرونك، وربما
اخبروك بذلك لما اتوك، ومع هذا استعقب قلبك وانا فتوك
وافتوك، ولا ازال يطفي بماء حر عبلاته شواظ نعرته ولهيبه
ويذكي في خياشيم رعونته عنبر احتياله متمسكا بمسكه وطيبه،
ويرمي عن قوس ختله الى سويداء احتباله نبال المكر انفذت فيه
نصال القضا والقدر لانها كانت مصيبه، فاشرب مكره، وتبع
امره، وجعله ظهره، واستفتح في اموره فكره، ثم انه بعد ان
امتن عليه باستبقائه، استشاره في قتل رفقائه، فقال له لا شك
ان خليل سلطان، ملك الناس بالانعام والاحسان، وهو وان
كان في الشجاعه، قاصر اليد قليل البضاعه، لكن استعبد ابطال
الرجال، بحسن الخلق وبذل الاموال غير ان المال، بمعرض الفناء
والزوال، وانت بحمد الله ماثرك مشهوره، ومنازل منازلاتك
الابطال معموره، ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكبائر
منشوره، ورؤس مناطحاتك نيران الوغى على قرون الزمان
ابدا منصوره،

قلت

فكم لززت شجاعا في البراز فمذ ▪ راى محياك ولى ضارطا وجرى
مذ كنت راسا وعينا في الحروب ترى ▪ في راسك الفتح بل في عينك الظفرا

وانا اعلم ان عامة الجند سيبتهج بطلعتك، ويرقص فؤاده
لحصول سكونه فرحا بحركتك، فانه لا بد لهم من رايس
يسوسهم، وضابط همام يصان بتدبيره نفائسهم ونفوسهم
وقرم كالليث الخادر، والسيل الهامر، بل كالبحر الغامر،
منصور ان دعا وان دعي فناصر، موصوف بما قال الشاعر،

اضاف الى التدبير فضل شجاعة ولا رأي الا للشجاع المدبر
وبما قال الشاعر
ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها
وهل ثم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت، وما
النجدة والكرم والحسب الا راحل اينما رحلت وساكن اينما سكنت،
ولو حدث شاه ملك وشيخ نور الدين، ان وراء ما يملك الحصن
الحصين، لا اسند اليك رواية السند السديد، ولا اوى من
جنابك العالي الى ركن شديد، وحاصل الامر انك مولى الكل
وجميعهم لك عبيد، واذا كان الامر كذلك فعند ملكتهم، فسواء
عندك ابقيت عليهم او ابدتهم، ولكن الابقاء اولى، ولا زالت العبيد
تترقب مراحم المولى، فان اقتضى الراي السعيد، ان نكون كلنا
موثقين في الحديد، مع زيادة قيد ايمان اكيد، فرايه اعلى،
واتباع ما يقتضيه احرى واولى، فاقتضى رايه، واتخذه علما
لاموره ورايه، فاستتبعه لحينه وقفا الاسلاك ورايه،

ذكر اخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق
ومشيه على خليل سلطان وهم معه في الايثاق

ثم انه احضر الامراء، وهم في قبضة سطوته اسراء، وقد ناوح
كل من متعلقيهم نهب ناحية، وتوجه الى دار كل المخبرون فقامت
عليهم النائحة والناعية، واوثقهم بقيدي الحديد والايمان،
بان يكونوا معه في السراء والضراء على خليل سلطان، فمد كل منهم
الى القيد رجله والى اليمين يده، وعاهده على ما يختار وان يقدم
له نفسه واهله وماله وولده، فحين استوثق منهم ازاح بالايماني
التشوف عنهم، وتركهم موثقين في البند، ونكص قاصدا سمرقند،
وارسل الى خليل سلطان يخبره بما دب من امره ودرج، فليستعد
لمبارزته فها هو قد عبر جيحون وخرج، وانه هو ايضا طالب من

ملك

ملك خاله حصنه، ومنازع خليل سلطان في السرير منصته،

ذكر تبرز خليل سلطان من سمرقنده
لملاقاة سلطان حسين بطوائف جنده
ورجوع سلطان حسين
مما يرومه بخفي حنين

فاستعد له خليل سلطان، وخرج من سمرقند لاستقباله في اسرع
زمان، ثم ان السلطان حسين احضر الله داد، ومن معه من الشياطين
المقرنين في الاصفاد، واستانف عليهم العهود، واكد عليهم قيود
العقود، واحل كلا منهم محله، واجاز عقده وحله، وخلع عليه
واجازه، واحترم حرم حقيقته ومجازه، وبش بانعامه الى
متعلقيهم وهش، وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش، والله
داد كان قبل ذلك بزمان، ارسل الى خليل سلطان، يخبره بوقوع
هذا الهم، وما جرى عليهم من شرور وغم، ثم قال له ان فالك
سعيد، وامرك حميد، فانهض براي رشيد، وعزم سديد،
وجناح حديد، فان صيدك مصيد، والله تعالى ناصرك قريبا
غير بعيد، فلا تخف من كيد مكيد، ان كنت طفلا فانك فتي
شبت اهواء القلوب نسمات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل
الانام لك مريد، فوصل خليل سلطان الى ذلك المكان، فعبى
السلطان حسين جيشه، واستعمل تهوره وطيشه، وجعل
الله داد على الميمنة، ورفيقيه على الميسرة، ولما تراآى
الجمعان، وتدانى الزحفان، وحقت الحقائق، وسدت
المضايق، وتعادت الاسود والغرانق، وبادر كل منهم من
مكانه، وقصد كل من الله داد واقرانه عساكر خليل سلطانه،
فتخبطن عساكر السلطان حسين، وسلب ثوب عزه فنبذ
بالعراء ملتحفا من ظنونه ثوبي خيبة وحين، ودهمه من البلاء

ما انساه سلبه فرجع بخفي حنين • ومر على وجهه قاطع الفلاه • حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ صاحب هراه • فلم تطل له عنده مده • فانما سقاه مهلكا وامامات حتف انفه عنده • فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين • ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبير محمد مما قصده من فرح دايم وكيف آل ذلك الى وباله وحزن فنقض ما تم

ثم ان بير محمد تمادى في خروجه • واستمر يرتع في روض الطلب ومروجه • وتكررت بينهما دروس المراسله • وتحررت مسايلها بعد مطاولة المقاوله • ان ينزلوا منازل المنازله • ويحلوا بروج المقابله والمقاتله • وكان متولي امور ديوانه • ومشيد قواعد ملكه وسلطانه • شخصا يدعى بير علي تاز • حامي حقيقة باب الملك وفارس المجاز • شمس بطحاء مملكته • وقطب سماء دايرته • وقدوة علماء عوالمه • وقوة خوافي عسكره وقوادمه • فجرد من عساكر قندهار كل طود لو مال على قندهار • وتوجه بعزم امضى من البتار • وحزم انفذ من الخطار • قايدا ذلك الخضم الهدار • والسيل الثرثار • والغمام المدرار • حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار • ثم امر ذلك البحر العجاج • ان يركب من جيحون الاثباج • ويصادم منه تلاطم الامواج • فمرج الله البحرين هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج • فمخروا منه بسفنهم البحر • وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر • وسار به للك الاخشب • حتى ارسى على صولجي خشب •

ذكر مقابلة العساكر الخليلية جنود قندهار بصدق نيته والقايهم بهزيمتهم اياهم في اشربيليه

وكان قبل ذلك خليل سلطان • قد تحرر امره كما كان • ونفث اعطار منه الايثار • وقوى العزايم على الملوك بالاستحضار • ليجنوا

من

من اشجار الجرايات وثمار الادرار • ما يستعدون به لملاقات شياطين قندهار • فلبى دعوته الخاص والعام • وكل بتار من عفاريت الجنود وغواص • واجتمع من اعيان اوليك الاعوان • كل مطيع مقتطف ثمر احسان • ذلك البستان • من انس وجان • وجاء ذلك البحر افواج امواج العساكر من كل مكان • وهم ما بين روس الجغتاي والجتا • وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا • وفوارس فارس والعراق وزبنهار • وجان قربانية خراسان والهنود والتتار • ومن كان تيمور • اعده لمضايق الامور • ولم يفارقه في سفر ولا حضر • وارصده لكل نايبة من خير وشر

شعر

فوارس لا يملون المنايا • اذا دارت رحى الحرب الزبون

فاستانف عليهم فواتح الفتوح • واستنجب منهم لادهاه كل صديق نصوح • واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات • وضاعف على قامة املهم من خلع انعامه المضاعفات • ففتحت عليهم الارض خزاينها • وصبت عليهم من معادنها وفلزاتها ظاهرها وباطنها • فصار لكل راجل منهم وفارس • وقد تحلى فيما تحلى به من تلك النفايس • يزري بحسن هيبته على مخدرات العرايس • فساروا وبسمات النصر من انفسهم فايحه • ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لايحه • والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحه • ولا زال ذلك البحر الراسي يرسي ويمشي • حتى حط على صولجي قرشي • وهي المدينة المذكوره • فاستقرت تلك العساكر المنصوره • وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان • سنة ثمانمائة وثمان • فبات كل من ذينك البحرين وقد ضم ذيله • وكف عن التبذر والتبدد سيله • وحفظ من الاغيار رجله وخيله • واحيى في معتكف المراقبة الى الصباح ليله •

صوابه وكامنها

قلت

إلى أن بدا لمع الضيا في ظلامه ❊ يلوح كموج الماء بحف طحلب
ولما سل النجم صارمه الفضي وأبرز إبريز ترسه، ومسح على لوح الجو
ماطرسه مسود الليل من دخان نفسه، تهيأ كل من أولئك
الأطواد للاصطدام، واشتعلت في قلوب تلك القبائل نار
الحمية للاصطلاء والاصطلام، فعبى كل عسكره، ما بين ميمنة
وميسرة، ومقدمة ومؤخرة، ثم تدانوا وتكانوا، وتعادوا
وتغانوا، وتزاجروا وتغانوا، وتعانقوا وتهانوا، وتناجزوا
وتفانوا، والتفت الرجال بالرجال والخيل بالخيل، وارتفع ظلام
القتام إلى رؤوس الأسنة فرأوا في صلاة الظهر نجوم الليل، وجرى
في ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل، ثم عند منتصف النهار،
انكشف الغبار عن أن طود قندهار، وسعد أولئك الكبار،
بار، وعليه غبار العثار ثار، وخبرهم بالانكسار سار، وصيت
خليل سلطان إلى الأقطار طار، وإلى الآفاق بالانتصار صار،
فولى بير محمد وعلى رأسه بحر الإدبار مار، وفي قلبه زناد البوار،
وار، حتى كأن في قلبه جمر الغضا والغار غار، أو في كبده نار
لهب المرخ والعفار فار، وجدلت رجاله، وأبطلت أبطاله،
ونهبت أثقاله، وتحولت أحواله، وسبي حريمه وعبيده،
وسلب طريفه وتليده، وتشبث بهوى أذيال الهزيمة، وعلم أن إيابه
سالمًا أنصف الغنيمة،

كما قيل

إيابك سالمًا أنصف الغنيمة ❊ وكل الغنم في النفس السليمة

ورجع خليل سلطان، وقد أسنى رب الكون والمكان، واسعرت
دولته واستطارت صولته، وشكر الله المليك، وأتم صيام
رمضان في مكان يسمى حكه ليك،

ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان وعجاهدتهم بالخروج وقصدهم الأوطان

ثم

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال، خرج من العراقيين الرؤوس والأبطال،
ومعهم حريمهم وأتباعهم، وأولادهم وأشياعهم، وكبيرهم شخص
يدعى حاجي باشا، وهم جاوزون بخاطره كيف شاء، وكانوا ذوي
صولة وجولة، وصحبتهم السلطان علاء الدولة، ابن السلطان
أحمد البغدادي لصلبه، وكان قد وقع في أسر تيمور فسجنه في سجن
محنته وكربه، فأفرج عنه خليل سلطان، وجعله عنده ذا مكانة
ومكان، فبينا الناس مشغولين بأمور العيد، رفع أيديهم أولئك
الصناديد، وكأنه كان تقدم لهم بذلك مواعيد، فخرجوا تحت
جنح الليل، وشمروا نحو عرائس العراق الذيل، وطلقوا مخدرات
ما وراء النهر وما الوا عنها كل الميل، لأنهم كانوا استمعوا أن دار
العراق انزلت بأبنائها، ومياه أنهر سلطنتها عادت إلى مجاريها، فلم
يقف أحد أمامهم، ولا مشى خلفهم، ولا قدر على أن يربط عن السير
رحلهم ونعمهم، فقطعوا جيحون ووصلوا إلى خراسان، فتصدى
لهم كل من سمع بهم من كل مكان، فانفرط نظامهم لعدم نفاقهم،
فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم إلى عراقهم، وأين إيران من توران
ودجلة من جيحان، فعقد خليل سلطان في ذلك المكان، ثم ولى
راجعًا إلى الأوطان

ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله إلى قندهاره

ولما وصل بير محمد إلى قندهار، واستقرت به الدار، تلملمت
أموره، وحامت حول قصوره صقوره، ودارت من سيارات
عسكره بدوره بدوره، وتسعرت سمومه وحروره، وتطاير
شراره وشروره، فتارق وتمزق، وتحرق أسفًا قلبه وتحرق
وتمزق غيظًا أديمه وتفرق، وكان ذا حماقة، وقلة لباقة،
فطير أجنحة مراسيمه، إلى سكان أقاليمه، واستنهض على خليل

سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه • واستطب لجريح قلبه كل قريح • الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه • فلبوا دعوته بالاطاعه • واجابوا نداءه بالسمع والطاعه • ثم سال اليه الاودية والجبال • بالخيل والرجال • وارسل الي خليل يقول ضمن كتاب مع رسول • ان اول مصافنا كان فلتة فتنة • وشرارة تسوهل في اطفائها فالتهبت وطمت • ولو اني استقبلت من امري ما استدبرت • وتحذرت ما استحقرت • واستكبرت ما استصغرت • لا انتصرت وما انكسرت • ولعثرت على مرادي وما عثرت • ولكن اضعت الحزامه • فحرمت السلامه • وتناولت امرك برؤس الانامل فاكلت يدي ندامه • مع ان صلابة جندك • وقوة ظهرك وعضدك • ونبال نبالتك وساعد سعدك • وعضب عضبك ورمح رشدك • وحد صارمك وصرامة حدك • انما كان رؤس العراق • وما حصل لك منهم من الاتفاق • واما الان فقد وقع منهم نفاق • واتفق لك منهم عدم اتفاق • وظهر بينا عدو شقاق فقت لذلك كبدك • واختل فكرك وجندك • وها انا قد جئتك بجد جديد • وبالجد والحديد • فاستعد للقاء • وتيقن عدم البقاء • فان الحرب كما علمت سجال • وكما اديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال

ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كره • وما حصل عليه في ذلك من كرة وفره • وتوليته الدبر كابدا اول مره

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان • وقطع جيحون ووصل الي المكان يسمى حصار شادمان • فتوجه اليه خليل سلطان • ومعه من عساكر الرجال والفرسان • وجراد الجيش وقمله وضفادعه ما يجري من الدم الطوفان • فمر بتلك الاطواد والبحار • وسري وهو

ما بين

ما بين راس وسار • حتى وافي جنود قندهار • وكان كما ذكر من قبل قد قدح في حراق احشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد النبل • فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جر الحبل • فقبل ان يزعق النفير ويضرب الطبل • نفر من كل فرقة منهم طائفه • ونادوا ازفة الازفه • ليس لها من دون الله كاشفه فالبس بير محمد خلعة الخالع • ولم يكن له بها طوق فاقلع الي القلعة القلع • واوصد الابواب واحكم الاسوار • ثم استعد في حصار شادمان للحصار • فاحاط به من العساكر كل جارح وكاسر • ودار عليه من بني يافث كل سام وحام • وجد في المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ورام • فندم بير محمد • علي ما قصد في ذلك وتعمد • وتذكر ما قال له اولا الخواجا عبد الاول • لكنه اعتذر بالقضاء والقدر • فرماه القضاء بسهم جواب اجاد فيه واصاب • وقال

وعاجز الراي مضياع لفرصته • حتى اذا فات امر عاتب القدرا

فانعكس منه كل راي وفال • وتغير عليه كل امر وحال • وذهب عنه منعطفا ما بيده من ملك ومال • ونفر عنه كل اسد اصلي للحرب نارا حاميه لما سطا علي حام وصال • ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذي قرابة حين لمع له بالاماني الكاذبة كل سراب وآل • وتمزقت شقق تدبيره • علي منوال تفكيره • شذر مذر وتشتت ايدي سبا فلم يبق له من دون الله من وال

ذكر ما صنعه بير محمد من حيله عادت عليه بافكاره الوبيله لان جدواها كانت قليله

ولما عدم حوله • اخذ في اعمال الحيله • فاستدعي عدة مصبوطه من الجلود المخطوطه • الجيدة الدباغ • المصبوغة بالوان

الاصباغ، ثم فصلها البوسا، ليحل بوسا، وسمر عليها المرايا المصقوله، وبعض صفاح معموله، وموّهها واحكمها بالمسامير، واحضر من سوقة بلاده رؤس الجماهير، واستكثر من الرعاع والهمج الجموع، ثم احضر تلك الدلاص والدروع، ووزع على تلك الرؤس والظهور هاتيك النطوع، فصار كلما صارت الشمس بازغه، اصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه، فاذا رآهم الناظر من بعيد، توهم رجالا ولم يعلم انهم بندق العبيد، واذا تراأى له ذلك الهباء، والخيشعور الذي ملاء الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، واستمر على ذلك مده، تقاسي معاناة ويعاني شده، وكان الذي تعاطى هذا المكر الجلي، دستور مملكته اعني بير علي، ومع ذلك كله لم تنفعه هذه الحيله، وعادت عليه افكاره الوخيمة ووساوسه الوبيله، وانكشف سره، وانهتك ستره، فضاق ذرعا وقصر منه باع المجال، ومد ينقص عدده وعدده وزاده الدهر النكال،

ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم وطلبه الصلح والقائه السلم

فبسط بساط التضرع، وطلب وسائط التشفع، وعلم انه لا عاصم من امر الله الا من رحم، فناشده خليل سلطان الله والرحم، وقال بمعنى ما قلت

يعطي الكريم ولا يمل من العطا والعفو شيمته اذا وقع الخطا

فاجابه خليل سلطان مقاصده، وتاكدت من الطرفين معاقدة المعاهده، بان لا ينقص احد منهم بلاد صاحبه، واذا كان الله تعالى رفعه لا يضيع من جانبه، ويسلم اليه ما في يده، ويبقى على الود الصداقة في يومه وغده، ثم تحالفا، ان لا يتخالفا، وتواثقا ان لا يتوافقا، وتصادقا ان يتصادقا، وتعارقا على ان لا يترافقا،

وتوافقا

وتوافقا ان لا يتنافقا، وراقبا الال والذمه، وراعيا القرابة والحرمه، وانشمر كل عن صاحبه بما معه من فئه، وذلك في سنة تسع وثمانمائه

ذكر مخالفة ونكد وقعت بين بير علي وبير محمد ازاحت ثوب الحياة عنهما واراحت مخالفيهما منهما

ولما وصل بير محمد الى وطنه، واستقر بين خدمه وسكنه، خرج عليه بير علي تاز، واستقل بدعوى الملك وامتاز، ثم قبض عليه وكبله، ثم انه خذله وجدله، وشرع يقول، وهو يصول ويجول، امور الدنيا اضطربت، واشراط الساعة اقتربت، وهذه دولة الدجالين، واوان تغلب الكذابين والمحتالين، مضى تيمور وهو الدجال الاعرج وهذا زمان الدجال الاقرع، وسياتي بعد هذا الدجال الاعور وان كان احد يجزع من قرع باب السلطنة فانا اقرع، فلم يجب احد من الرؤس والاذناب سؤاله، ولا انعم باله، اذ لم يوجد في تناول هذا الامر المحظور من مبيح، ولم يكن لذلك الوعد في سهام الملك غير المنيح والسفيح، فدعا ارباب ممالكها تضرعا وخيفه، فكشر كل في وجهه انيابه وجاذبه هذه الجيفه، فلم يبق له قرار ولا ثبات، فسل يده ومد رجله صوب صاحب هراة، فبمجرد وقوعه عنده في شرك الاقتناص، قبض عليه واجرى عليه احكام القصاص، وصفت له ممالك قندهار، من غير مضارب ولا مضار، واستراح خليل سلطان ايضا من الانكاد والمضار،

ذكر ما وقع من حوادث الزمان في غيبة خليل سلطان

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم، تتارُ الروم، ووصلوا بالعزم، وقطعوا جيحون بالرجل وهو جمد من خوارزم، وقصدوا بلادهم، فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم وابادهم، وحصل لهم من عدم الاتفاق، ما حصل لعساكر العراق، وايضاً في غيبة السلطان خليل، واشتغاله بهذا السفر الطويل، اغتنم الفرصة خُدايداد وشيخ نور الدين، فتوجهوا الي سمرقند مطمئنين، واخنوا عليها، ونهبوا ما حواليها، فتحصنت منهم، وترفعت عنهم فنهبوا خارجها ورجعوا، ونحو بلادهم انقلعوا،

ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد وتوجهه الي شيخ نور الدين وخدايداد

ولما رجع خليل الي سمرقنده، ازاح طوائف عسكره وجنده، ثم دعا اصحابه، ووجه نحوهما ركابه، وهيا انصاره واطلابه، وسار بتلك القبائل المنتظمة، والاسود الحوادر والفحول المغتلمة، واستمر ذلك الطود الركون، بين حركة وسكون، حتي وصل الي سيحون، وحين شرع ذلك الطود، والنار ذات النور، علي نهر سيحون في العبور، رايت البحر المسجور، فاذعن له شاه رخية وخجند، وتحصنت منه تاش كند، فتوجه لحصارها، وعزم علي هدم احجارها، فبعد ان حاصرها مده، واذاقها لباس الجوع والشده، لجات الي طلب الامان، وسلمت اليه القياد الاذعان، فاجاب سؤالها، ورجح بالصلح حالها، ثم قفا آثارهما طالبا دمارهما

ذكر انقياد شيخ نور الدين وخدايداد نارا للخليل لبحرناه فاطفاها الله تعالي ووقاه

وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمي، ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني عسي ولعلما، فتوجه وراءهما،

ورام

ورام اللقاء بهما، فجعلا يرحلان بمرآي منه ومسمع، وينزلان بما امل فيه ومطمع، وجعل يقتفيهما في كل منزل، فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل وكان خليل سلطان معتمدا علي عسكره، مستيقنا بحلول نصره وظفره، فكان في بعض الليالي غفل عن التحرس، وكان لهم في جيشه من دأبه التجسس والتحسس، فخيبه الظن وخانه، وحط علي مكان يسمي شيرابجانه، وكان قد تقدم علي الثقل، فطار جاسوسها اليه بما فعل، فانقذا كالسيل، وبيتاه بالليل، فخرج من عسكره جماعه، وكانما قامت القيامة في تلك الساعه، ثم تركاه وردا وفرّا عنه وندّا، وتشتتا في المهامه والموامي، ومر ابن السلطان اقتناص الحرامي، فكف عنها عنان الطلب، وقصد بالسلامة دياره وانقلب،

ذكر مفارقة شيخ نور الدين خدايداد وتقاسمهما تلك البلاد

ولما كانت مودة خدايداد وشيخ نور الدين كالفخار، واساس ما بينهما من الصداقة كمن اسس بنيانه علي شفا جرف هار، اختلفا وما ائتلفا، وتجاذبا اشقة الشقاق، ونفق في تبايعهما بضائع النفاق، ولم يعلم احد من راق، وظن انه الفراق، فتقهقر شيخ نور الدين نحو سغناق، واستولي علي تلك الاطراف والافاق،

ذكر رجوع شيخ نور الدين الي الاعتذار والتنصل عند خليله مما كان منه وصار

ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان، واعتذر عما صدر منه من العصيان، وطلب منه ان يقابل اساءته بالاحسان، ويرجع اليه عوائد صداقته كما كان، فاجابه الي سؤاله واسبل علي سوءة جرمه ذيل النسيان، وارسل اليه امرأة جده تومان،

فصل

ولم يزل على الوفاق ، وشق شقة الشقاق ، من تبغا رتعة الرفاق
حتى وقع خليل سلطان في الرباق ، وصفا لشاه رخ سمرقند
وراق ، فتوجه إليه شاه ملك مظهر الصلح مضمر النفاق ،
واستنزله بالكرم من قلعة سغناق ، بعد أن أحكم العهد والميثاق
ووقع بينهما الاتفاق ، وأن يتلاقيا ركبانا ويتباثا الأشواق
بعد السلام والاستلام والعناق ، وكان في جماعة شاه ملك
شخص يدعى ارغوداق ، ثم اقبل شاه ملك بجماعته ونزل
شيخ نور الدين من قلعته ، وسار شاه ملك وحده من غير
عدة وعده ، وتعانق هو وذلك المغرور ، وبثه ما نابه في
غيبته من أمور وسرور وشرور ، فأكد عليه الميثاق والعهد ،
ووصى كل منهما ما يفعله الآخر من بعد ، ثم ودعه وانصرف ، واتصل
بجماعته ووقف ، وسارع كل من جماعته بمفرده ، إلى مصافحة شيخ
نور الدين وتقبيل يده ، حتى أفضت النوبة إلى ارغوداق ،
فتوجه بما أضمره من الخداع والنفاق ، وكان في الشجاعة
أسدا ، وكالفيل قوة وجسدا ، فوصل إليه وقبل يديه ، ثم
التزمه عناقا ، وأحكم اعتناقا ، فاقتلعه من سرجه ، وأهبط
نجمه من برجه ، وقطع رأسه ، ونجع به ناسه ، ولما سمع بذلك
شاه رخ ، طفق يندب ويصرخ ، ولعن شاه ملك
ونهره ، وضرب ارغوداق وشهره ، لكن ما أمكنه وصل
ما قطعاه ، ولا غرس ما قلعاه ، كما قيل
وليس لما تطوي المنية ناشر ، واستمر مدة لا ينظر إليهما ، ثم
بعد ذلك رضي عليهما ، واستمر خدايداد ، متشبثا بأذيال
العناد ، مشتركا بين العتو والفساد ، غير مسلم إلى الصلح
القياد ، إلى أن أباده الدهر وأباد ، وسنذكر كيف جاد بأعدائه
وأجاد ،

ذكر

ذكر أمر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها جنكيزخان وتجهيزه العساكر لهذا الشأن

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائة ، أرسل خليل سلطان من الجنود
فئة ، وأضافهم إلى الله داد ، وضم إليهم من رؤوس الأجناد ، اليرو
خواجا وابن قاري منصور ، وتوكل قرقرا ودولة تيمور ، إلى
ترمذ مع آخرين ، ليعمروها فاستمروا سائرين ، حتى وصلوا إلى
ترمذ ، فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الأحجار والأخشاب والقرميد
ثم تقاسمت تلك الرؤوس بدانها ، وعلوا عن أن يتسوروا قلة
أسوارها وحيطانها ، وجعلوا يعملون ولا يلبثون ، ويبنون
بكل ريع منها آية يعبثون ، وتركوا بالنهار أكلا وبالليل نوما ،
فأتموا بنيانها في نحو من خمسة عشر يوما ، وحين ميزوا محلاتها ،
وفرزوا دورها وطرقاتها ، ورفعوا أعلام مساجدها ومنارتها ، أبنيتها
وبنوا مواضع أسواقها وبيوتها ، أمروا الباقين من ذرية
النازحين عنها من أهلها ، وكل من رحل من خرابها وعزها إلى عمران
سهلها ، أن يرجعوا إليها ، ويخيموا عليها ، وكان أولئك
المساكين ، قد استوطنوا منها البساتين ، وبنوا فيها أسواقهم
وبيوتهم ، وجمعوا فيها أسباب معايشهم وقوتهم ، واستمر ذلك
من وقت جنكيزخان ، إلى وقت تيمور كوركان ، فكانوا في
وطنهم آمنين ، وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين ، فلما
مات تيمور ، وحدث أمور وشرور ، أراد خليل سلطان أن
يحصنهم ، فأرسل من شيد حصونهم ، وكانت الجديدة عن
العتيقة نحوا من فرسخ ، فصارت العتيقة أحصن من الجديدة
وأرسخ ، لا سيما وقد علا البانون منارها ، ونهر جيحون
يصافح أقدام طود حمل أسوارها ، بخلاف الجديدة ،

فان قصور مساكنها غير مشيده، وهي عن النهر بعيده، فلما نادوا
الناس ان ادخلوا الي دار قراركم، فكانهم كتبوا عليهم ان اقتلوا
انفسكم او اخرجوا من دياركم، فلم يشقل الله داد عليهم، ولا
اكترث في ذلك ولا التفت اليهم، ولم يظهر في ذلك عنادا، ولكنه
حشر فنادي، ان كل من سبقت يده من اهل البلد الي شئ من
هذه الاماكن والعماير الجدد، فهو له من غير منازع، ولا
ممانع ولا مدافع، ثم امر بانتقال الخبازين، والقصابين
والطباخين، والسمانين، ومن يلزمهم من منازلهم وماواهم، ولم
يتعرض لمن سواهم، فجعلوا يبيعون علي العساكر ويشترون،
ويربحون في ذلك ولا يخسرون، فاختل نظام ساير الجمع، اذ
الانسان مدني بالطبع، فالجاهم الاضطرار، ان يتبعوهم
بالاختيار، فتفقد ما يليق به احوال الكل من كبيرهم وصغيرهم
وقرر علي ما اقتضته اوامره قواعد امورهم، ثم جمع رؤس
جنده، وقفل الي سمرقنده،

ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان في مقابلة ما فعله خليل سلطان

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان، جهز طائفة من
عساكر خراسان، وجعل يمد ذلك السحاب النجاب، من بحر
امراء امير يدعي مرزاب، وهو اخو جهان شاه، الذي كان
تيمور علي محاصرة قلعة دمشق ولاه، وامر رؤس تلك
الجنود، ان يبنوا قلعة تسمي حصن الصنود، وهي من اقصي
بلاد خراسان، يفصل بينها وبين ترمذ نهر جيحان، ففعلت
من البناء العساكر الخراسانيه، نحو ما عرفت عنه العساكر
الخليلية السلطانيه، وفي اثناء مدة البناء تراسل الله داد
ومرزاب وتصافيا، ولقوا صلا بالاحتشام والاحترام وتناديا

اشارة

اشارة الي ما حدث في اقاليم ايران وما جري من شئون الاما عند تصوب ذلك الطوفان

ثم ان السلطان احمد وقرا يوسف رجعا الي العراق، ووقع
بينهما علي سياسة الملك الاتفاق، واستقر السلطان احمد
في بغداد، ووثب قرا يوسف علي الجغتاي بالعناد، ليستخلص
منهم ما استولوا عليه من بلاد، وكتب الفتح علي راياته ايات نصر
من الله، فاستخلص ممالك اذربيجان بعد ان اباد طوائفهم وقتل
اميرانشاه، ومد عنان الكلام، في استيفاء هذا المقام،
يخرجنا عما نحن بصدده من المقام، الي ان وقع بينهما الشقاق — المرام
وتخبطت اذربيجان والعراق، ثم قتل قرا يوسف السلطان
احمد باشارة بسطام، وذلك في شهور سنة ثلاثة عشر
وثمانمائة من هجرة النبي عليه السلام، واما عراق العجم، فانها
كانت احصن اجم، فاستقل بدعوي الملك متوليها بير عمر
فنهض عليه ذو قرابة له يدعي اسكندر، فقاتله وكسره، ثم
قبض عليه وحصره، واستقل بدعواه، فتوجه اليه شاه رخ
صاحب هراه، فقبض عليه واباده، وفجع به اهله واولاده،
واستصفي بلاده، فخلصت لشاه رخ ممالك العجم كلها، وانثال
الي خزانته من امواله وابلها وطلها، من غير ان يعاني في ذلك
نصبا، او يقاسي في تحصيله تعبا ووصبا، مع ان مملكته كانت
اوسط الممالك، فلم يتطرق اليه احد بسوء اذ لك، وانه كان
حسن الجوار قليل الحركه، وابوه قد حسم عنه بقتله ملوك العجم
مادة كل شر وهلكه، فثبت في مكانه بين اسود شمخت ونبت،
وكبت ماله من الاعداء بماله من اصدقاء ونبت، فاهتزت
اراضي دولته بنبات النبات وربت، وكأن عيون السعد
كانت تراقبه، وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه،

بقوله شعر

نزّه فؤادك عن سوانا والقنا ... فجنابنا حل لكل منزّه
والصبر طلسم لكنز وصالنا ... من حلّ ذا الطلسم فاز بكنزه

ذكر خروج الناس من الحصر وطلبهم اوطانهم من ماوراء النهر

وفي اثناء هذه الحالات، فصل الناس من سمرقند التبدد والشتات، وطلب كل غريب وطنه، وتحرك يبغي سكنه وقطنه، إما باجازة واخفاء، واما بهزيمة واختفاء، فاول من استجاز من اهل الشام ورام المسير، شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير، ثم تفرقت الطوائف عجماً وعرباً، وتبددوا في الافاق شرقاً وغرباً، ووقع في سمرقند القحط وغلاء الاسعار، ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار، ثم حصل بعد ذلك الرفاهية، واجتمع للناس الرجاء والامنية، وطاب الزمان، وحصل الامان، وذهب المقت وصفا الوقت ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ذكر ما اثار الزمان الغدار من دمار وبوار القى به الخليل في النار

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير، وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير، فمال بكل جوانحه اليها، بحيث انه قصر نظره عليها، وصارت محبته كل يوم تزداد، وانست قصته قصة قيس وليلى وشيرين وفرهاد، فكان كما

قيل شعر

أعانقها والنفس بعد مشوقة ... اليها وهل بعد العناق تدانِ
والثم فاها كي تزول صبابتي ... فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي الذي به ... الى ان يرى الروحين يمتزجان

واستمر ذلك الى ان ران هواها على قلبه، واخذ بمجامع لبه، وربط

جواحه

جوارحه، وحل جوانحه، وفصّل قميصاً واسعاً فكانا يلبسانه، واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه، وصارا يتشدّان والى حالهما يرشدان.

أنا من أهوى ومن أهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا

بل كانت القضية بالعكس قلت

انما كانا بروح نفخت ... مذ براها ربها في بدنين

وكان لا يصدر امراً الا عن رايها، ولا يمضي في سياسة الملك الا بارائها، فسلمها قياده، واتبع مرادها مراده، وهذا من غاية البله والعته، وكيف يفلح من ملك قياده امرأته، وكان لها خادم قديم، ليس من بني الاحرار ولا بكريم، بل كان من اطراف الناس، يبيع في اول امره البز والكرباس، يدعى بابا ترمش، بطرف معمش ووجه منمش، وصورة قبيحة، وسيرة غير مليحة، وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها، قبل وصول خليل سلطان اليها، فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت، وحصلت لها الرتبة التي لغيرها ما حصلت، ارتفعت درجة خدمها، وزادت حشمة حشمها، واستفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم، وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم، فصار يترأس جماعتها ويسوسهم، وبمجالستها تحلى بخلعة هم القوم لا يشقى جليسهم، ثم ترقى حتى صار عليه مدار امرها، ثم تخطت قدمه الى التكلم في اسباب الملك وغيرها، ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانية، واجراء القضايا السلطانية، ثم ترفع الى التولية والعزل، وتعاطى ذلك على سبيل الجد والهزل، وانتهى في ذلك، فصار دستور الممالك، ولم يقدر احد على رد كلمته، لحدة شوكته، بقوة مخدومته، فبسط يده ولسانه كما اختار، وامتثل كل احد ما امر به واشار، واستطال على الله داد وارغون شاه.

واجب

فصار يُبرم ما ينقضانه وينقضُ ما ابرماه، وبلغ في قلة الادب الي
ان كان يمد رجله بحضرتهما، ولا يقيم بذرة من حرمتهما، ثم حجر
ان لا تنفصل قضيه الا بمشورته، وان كان غائبا فينتظر حضوره
او يتوجه الي حضرته، ومن حين نبغ الي ما بلغ كان نحوا من ثلاث
سنين، وعفاريت الجغتاي وجنهم لا اثنين معه في العذاب
المهين، فحصل لالله داد وارغون شاه من هذا التدرج، غاية
الضرر ونهاية التحرج، وبلغا الغايه، في الاهانة والنكايه،
واعضل داؤهما، واعجز دواؤهما، واستلذا بالعيش وزواله،
على البقاء في هذه الحاله

ذكر ما افتكره الله داد ودبره في مراسلة خدايداد

ثم ان الله داد استعمل فكره، ولكن اخطت اسنة الحفره، فطبخ قدرا
فانقلبت عليه، ونسج كدود القز شبكة حتفه بيديه،

قلت

اذا انعكس الزمان علي لبيب ‌‌ بحسن رايه ما كان فيحا
يعاني كل امر ليس يعني ‌‌ ويفسد ما راه الناس صلحا

فلم يجد لتبريد الاكباد، الا مراسلة خدايداد، فجليا عليه صورة
هذه القضيه، واخبراه بها عن وضوح وجليه، واشارا عليه
ان يتوجه بامل فسيح، ويقصد بعساكره سمرقند وخاطره،
مستريح، فنهض من ساعته، وتوجه بجيشه وجماعته،
ودب دبيب الدبا، ووصل الي مكان يدعي اورا تبا، فلما سمع بذلك
خليل سلطان، ارسل الي الجنود والاعوان، وتعجب من وقاحته
وتعوذ من كلاحته، وجهز الله داد وارغون شاه، مع العساكر
الجراره للملاقاه، فسارا حتي دانياه، فقاباله وما قاتلاه، ثم
ارسلا الي خليل سلطان، يستدعيان المدد ويقولان، ان هذا الرجل

بلغ

١٣٥

بلغ من ملاحاته، وشدة دعارته وقلة مبالاته، انه لم يتزعزع
من مناخه، ولا دخل ريح هيبتنا في صماخه، فامدنا بباقي
العسكر، وجعل يتشوف لما يكون من الخبر، فارسلا ايضا ان
هذا قد ادي وزاد فسادا، وجاري في عداوته ثمودا وعادا،
فامدنا بنفسك، وادركنا بحد باسك وحسك، فان هيبتك
اقوي، وطلعتك اضوي، وما ارتكب هذه الجراءه، وبلا
اقدم على هذه الجيئه، الا وقد اضمر شرا كبيرا، وطوي في
باطنه قارا وقيرا، فادركنا بباقي المقاتله، فان هذه المرة
تكون الفاصله، فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن، وخاطر عن
حلول الحوادث مستكن، وامل فسيح، وصدر منشرح،
معجبا بشبابه، مغرما باصحابه، متمايلا بين احبابه، متهاديا
بين اترابه، في شرذمة قليله، وطائفة نبيله، ابعد ما عنده
نزول هم، واشرد ما لديه حلول نكد وغم، يفديه الكمال،
ويناديه لسان الجمال، بقوله

لله دلا لأ فانت اهل لذا كا ‌‌ وتحكم فالحسن قد اعطاكا

فوصل بتلك العصابة السلطانيه، الي قصبة تسمي سلطانيه،
فارسل الله داد الي خدايداد ان الركاب السلطاني، خرج من سمرقند
في اليوم الفلاني، وفي الساعة الفلانيه، يحل كورة سلطانيه،

ذكر ما قصده خدايداد من الكيد ووقوع خليل سلطان في قنص الصيد

فقصد خدايداد المخاتله، وترك ثقله مقابل المقاتله،
ونبذ العساكر وراء ظهره، وتابط شر شراره وهراره هره،
واستصحب من ابطال القتال، ورجال النضال والنزال،
طائفه، حاشرة غير خائفه،

شعر

رزان اذا لاقوا خفاف اذا دعوا ‌‌ كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

والتحف ذيل الليل، ولطأ بظهر الجبل واستطرق إلى مطلوبه طريقا
عوجا، واستقود إلى مقصوده قواد الدجى، كما قيل شعر

لا تلق إلا بليل من تواصله … فالشمس نمامة والليل قواد

حتى وصل إلى السلطانية وهي قصبة أنشأها تيمور، ولم يكن لأحد به
شعور، فلم يفجأ خليل سلطان، إلا وقد جاءه موج البلاء من كل
مكان، فنهض كل من معه من الأصحاب، وأخذوا في الطعن والحرب
والضراب، وقاتلوا قتال الموت، وابقوا حلول الفوت،
فعضت عليهم الحرب العضوض، وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ
ومرضوض، فقتل حقيرهم وجليلهم، ووقع في يد عدوهم حبيبهم
وخليلهم، ثم رجع خدايداد إلى معسكره، فائزا بنجحه مستبشرا بظفره

فصل

ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان، بأشد ما يكون وأبلغ من أنواع
الأيمان، أنه لا يقصده بأذى، ولا يرمي في عين معيشته بخيال
قذى، ولا يؤذيه بقول ولا عمل، ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر
ودخل، وسيرى نتيجة ما حلف، وإن الله تعالى عفا عما سلف،

فصل

ثم التمس منه أن يرسل إلى الله داد، ومن دونه من الأجناد، أن
يستسلموا لخدايداد، وأرسل خدايداد أيضا إلى الناس، بأني قد
استوليت منكم على الرأس، فإن أطعتموني أطعته، وإن لم تصلوني
قطعته، ولما وقع خليل سلطان في هذا الكرب، تصور أن هذا
سهم غرب، ثم ظهر له مكان ذلك الكمين، وتحقق كيف أخذ في
الأمن، وعلم من بن صب ذلك البلاء عليه، وأنى أخذ من ذلك
الجانب الذي يأمن إليه، فقال بلسان الحال،

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا … ولا بينه ود ولا نتعارف
فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى … من الناس الا من نود ونعرف

ثم

ثم أرسل إلى سائر الأمراء، ورؤس الجيش والوزراء، أن يستسلموا
لخدايداد ولا ينازعوه، ولا يدافعوه فيما يريد ولا يمانعوه
فاستسلم الكل إليه، واستقبلوه وسلموا عليه، فاستولى على تلك
الجنود المجنده، وتحصن من غوائل المحاربة بالرماح المسدده،
والسيوف المهنده، وقدم جنود جند وخجند، واغنام تركستان
وطغام اوزجند، وأخر من سوى أولئك وتقدم إلى سمرقند،
ولم يلتفت إلى الله داد ومن دونه، وتحقق الله داد أن صفقته في
ذلك مغبونه، فسلخ الزمان عنه ما كان ألبسه من ثوب عزه وسلب
وفر من بين يديه ما كان من جاه ومال وذهب، وكان قيام ذلك
الحشر، في سنة ثمانمائة واثني عشر

ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خدايداد

فوصل خدايداد إلى سمرقند ودخل، فتغيرت تلك الرسوم والدول
وكأنه ظهر اختلاف الملل والنحل، وكان له ابن يدعى الله داد
فدعاه بالسلطان على رؤس الأشهاد، وتفحص عن ما من الخزائن
ونقب في أطواده عن الفلزات والمعادن، ونقر عن مضمرات
الصدور وبحث عن الخبايا والدفائن، وتغيرت الأوضاع،
وتبدلت بالفظاظة رقاق الطباع، وصاروا كما قيل

شعر

أما الخيام فإنها كخيامهم … وأرى نساء الحي غير نسائها

وتنكرت الصفات، حتى كأنما تحولت الذوات، أو بدلت الأرض
غير الأرض والسموات،

شعر

وتنكرت أرض الغوير فلم يكن … ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا

ذكر بلوغ هذه الأمور شاه رخ بن تيمور وتلافيه تلك الحوادث

وحسبه مادة هذه العوابث

ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر، عبس وبسر، وتضجر وزمجر،
وازور وازبأر، وكشر واكفهر، وتغير وجهه وتمعر، واستغاث
وتقلق، وولول واسترجع وحولق، وتحرق وتنكد، وتأوه
وانشد،

وانشد

لقد هزلت حتى بدا من هزالها / كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم طير بطاقات مراسيمه كل مطير، الى اطراف ممالكه بجمع العساكر
وامر شاه ملك، ان يسير غير مرتبك، ويستديم السير، ويسابق
بعتاقه عتاق الطير، فيتدارك ما انفرط من النظام، ويطارد
عن ورد المملكة الاغنام الطغام، فلا يدع رائدهم ان يجل،
ويعاجل مستعجل قدرهم ان يمل، فسار شاه ملك في الحال،
بعساكر في المدد كالجبال، وفي العدد كالرمال، ثم اتبعه شاه رخ
بسائر الاساورة، وكواسر الاكاسرة، وسار لا يلوي على احد،
ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد، فحين وصلوا جيحون
وعبروه، غطوا وجهه وستروه، فانبسط ذلك السيل على وجه
الماء، فكأن البحر غطي بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء،

فصل

ولما قطع البحر تلك الاطواد، واتصل الخبر بخدايداد، تيقن
انه لا طاقة له بلقائه وقروده، بذباب جنود شاه رخ واسوده
وان جل عساكره يفرغنه ويسلمه، ويقبض عليه ولشاه رخ
يسلمه، فاسرع في تنجيز مآربه، وبادر الى تجهيز مطالبه،
واخذ ما وصلت يده اليه من اموال، واوسق ما بلغت طاقته
من نفائس واحمال، واستصحب خليل سلطانه وتوجه الى
اندكان، واودع الله داد وارغون شاه وبابا ترمش في القلعه،
وانف ان يستصحب احدا منهم معه، وترك شاد ملك ايضا في

المدينه

المدينه، بفراق خليلها رهينه، وسلب ما كانت فيه من العز مهينه

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجتيه
وقبل وصول الشواهين الشاهرخيه

ثم لما رحل خدايداد وانفصل، ولم يكن احد من جهة شاه رخ
وصل، وما كان للناس ظهر ولا راس، اراد الله داد وارغون
شاه، ان يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه، فرفع خواجا عبد الاول
عليهما يده، واقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رصده، واستقل
بشطار المدينه، وكان الله داد قبل ذلك انكاه نكاية اورثته
ضغينه، كما قيل / من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
فلم يختلف في رياسته اثنان، ولا انتطح فيما يأمرهم به عنزان،
وصارت اشارته الامرة الناهيه، وحدا وليه مراسيمه فيما بين
الناس جاريه، واوامره المطاعة في تلك الايام الخاليه
والعام مرتع بينا الا عما دله، ولم يزل خواجا عبد الاول يسوس
الرعيه، ويوصي على الله داد ورفيقيه ويس معهم ويشد مضايق
القضيه، الى ان طلعت طلايع شاه ملك واعقبتها العساكر الشاهرخيه

ذكر بدو بدور الدولة الشاهرخيه
في سماء ممالك ما وراء النهر بعد غروب شمس النوبة الخليليه

فخرج اهل المدينه لاستقباله، مستبشرين برؤية جبين هلاله،
فنزل كل احد في منزلته، ووضع كلا من الناس في مرتبته، ثم قبض
على الله داد ورفيقيه وعاقبهم بانواع العقاب، وصنف في
تعذيبهم واستخلاص الاموال منهم انواع العذاب، ثم قتلهم
صبرا، ونقلهم من الدنيا الى الاخرى، الا بابا ترمش فانهم
عاقبوه، وبانواع العذاب الهبوه، ففي بعض الايام وقد
انكت فيه من العقاب الالام، اخذ الموكلين عليه ليطلعهم
على قضيه، او يذهبهم الى خبيه، فرواه وهو في قيد

وثيق على حوضها عريض عميق • فاستل من قراب ابدانهم عضب
يده الدلق • ورمى بنفسه وزج في ذلك الماء على عقبيه فغرق

فصل

ثم ان شاه رخ زار اباه • واقام شرائط عزاه • وجدد ترتيب
القراء على تربته والقومه • واستانف معالم المرتبين في ذلك
والخدمه • ونقل الى خزائنه جل ما كان على حضرته • من اقمشة
وامتعة واسلحة • وعمر بيادر الخزائن • وحفر تخوم تلك
الكمائن • وشرع في تمهيد القواعد • وترتيب مراتب الاقارب
والاباعد

فصل

وقبضوا على شاد ملك واهانوها • وشانوها ابتذالا لمن
صانوها • وعصروها بالعذاب عصب السلمه • وهزوها
لاستخراج الاموال منها هزات اعوان الظلمه • ثم بعد ذلك
الابتذال • واستخلاصهم منها انواع الاموال • حزموها
وشددوا منها الوثاق • وشهروها منادين عليها في الاسواق •
واستقرت على شاه رخ الامور • وارتفعت صدور وانقضت
ظهور • وعلا انسان • وانحط انسان • فسبحان من هو كل
يوم في شان • عز شانه • وتعالى سلطانه • يغير الدول ويقلب
الاحوال • ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال

ذكر ما قصده خدايداد
من اثار النكد والفساد
وكيف آل ذلك النكال
الى ان جرى عليه وبال

واما خدايداد فحين حل في مكانه • وخلا بخليل سلطانه في
اندكانه • جدد معه عهوده ومواثيقه • انه آمنه مكره
وبوائقه • وذكر ان ذلك النكال والنكاد • انما فعله معه

ارغون

ارغون شاه والله داد • مع احسانه اليهم • واسباله ذيل انعامه
عليهم • وانهم كافوه مكافاة التمساح • وتبلوا بافساد ما لم منه
الاصلاح • ثم قال له اذكر صنيعك معي اولا وظاهرا •
وانظر ما افعله معك باطنا واخرا • وسافعل معك ما يتحقق
به خلوص الطويه • وصدق النيه • بحيث يذهب الكدر
ويبقى الصفا • وينمحي الجفا • ويثبت الوفا • ونعيش باقي
عمرنا متصافيين • وفي رياض الهنا متوافيين متكافيين
فنمحو بما نكتب في الواح صدورنا من المحبة والشفقه •
مساطير الاساطير المكتنة في باب الحمامة المطوقه • وساردك
ان شاء الله تعالى الى دار عزتك • واجتهد في تحصيل ما يعيدك
الى نشاطك وهزتك • ثم خطب باسمه في اندكان • وامر بذلك
في اطراف تركستان

تتمة ما جرى بين خليل وخدايداد من المعاقدات
وتاكيد العهود والمودات
الى ان ادركهما هادم اللذات

ثم تاكدت بينهما وثايق الايمان • وذهب خدايداد بتسميه المغول
لخليل سلطان • وترك خليل سلطان باندكان • وكان
المغول لما بلغهم موت تيمور المخذول • سلبوا قرارهم
واخلوا ديارهم • ولجاوا الى الحصون • وتشبثوا باذيال كل
كهف مصون • كما ذكر اولا فلما تحققوا موته • واستبشروا
فوته • تنادوا بالامن والامان • وجاوروا خدايداد في ذلك
المكان • وارسلوا يهنئون خليل سلطان • وبعثوا اليه
هدايا سنية • وتحفا فاخرة ملوكية • من جملتها كرسي
من ذهب • افرغه صائغه في قالب العجب • فاكرم خليل
سلطان رسلهم • واعظم نزلهم • واجمل معهم جوارا واجرا •

وجازاهم بكل حسنة عشرا، **قلت**
الخير ابقى وان طال الزمان به، والشر اخبث ما اوعيت من زاد
ولا زالت خلع المودة بينهم تنسج، ووجوه المكارمة والمجاملة
يوما فيوما تتبهج، حتى عرى له ما عرى، وجرى عليه من بحر
القضا والقدر ما جرى، فساعة وصول خدايداد اليهم
قبضوا عليه، وارسلوا الى خليل سلطان ينهون صورة
الحال اليه، وقالوا انت تعلم ما بيننا وبينك من خالص الوداد،
وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد، وانه كان السبب
في تبدلك، وخروج ملكك من يدك، وقد جاء يستمدنا
لك، فارسم لنا ما بدا لك، فان رسمت قتلناه، وان اشرت
امددناه، وفي الجملة مهما امرتنا به امتثلناه، فارسل يقول قد
علمتم كيف اذاني، ومزق عرضي واخزاني، واخرجني من ملكي
وسلطاني، وغربني عن اهلي واوطاني، واذلني اذ ارسلني
بمفارقتي اوطاني، والا فقد جعلني ترسا يتقي بي
الحوادث والباسا، وقد عرفتم كيف يريد ان يتصرف، وعلى
كل حال فالعارف لا يعرف، ومع هذا مهما رأيتم في ذلك من
المصلحة فافعلوه، ففي الحال قطعوا راسه واليه ارسلوه

واخواني

ذكر عود خليل سلطان
من ممالك اندكان
وقصده عمه شاه رخ
ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ

واستمر خليل سلطان في ذلك المكان، واطراف
تركستان يرسل بالفارسي الاشعار الفراقيه، ويتشبب في
حبيبته ما ينسي القصايد الزيدونيه، ويذكر ما فيه من
الغربه، وما جرى عليه من الفراق والكربه، فيصدع بذلك

القلوب

القلوب ويفتت الاكباد، الا ان ملّ المقام في تلك البلاد، فنفض
منها ذيله، وضم رجله وخيله، وقصد عمه، وركب الطريق
وامه، فاكرم عمه مثواه، ولم يذكر له اخبار ما انشاه، وضم اليه
حبيبته، وكر الى خليل خليلته، وقرر عنده ذلك الاقليم
وشيده، وولى فيه اولوغ بيك ولده، وقفل الى خراسان
مستصحبا معه خليل سلطان، ثم ولاه ممالك الري، فلم يقم
بها الا ادنى شي، وانتقل الى رحمة الله، وكان عمه دس له شيئا
فسقاه، فدفن بمدينة الري، وطوي نشر ذلك الحاتم اي
طي، وحين وقعت شاد ملك في هذا الخطب الجليل، واشتعلت
احشاؤها بنار الخليل، قالت لا ادفن بعدك، ولا عشت بعدك
وانت دفنت، وانشدته وغنت،

شعر

كنت السواد لمقلتي ، فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت ، فعليك كنت احاذر

ثم اخذت خنجرا فوضعته في لبتها، واتكأت عليه بقوتها، فنفذ
من قفاها، واحرقت بنارها كل من رآها، فدفنا في قبر واحد،
وامسى لسان حالهما ينشد،

شعر

اجارتنا انا غريبان ههنا ، وكل غريب للغريب نسيب

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان، وخوارزم
وجرجان، وعراق العجم ومازندران، وقندهار والهند وكرمان
وجميع بلاد العجم الى حدود اذربيجان، والى يومنا هذا الذي سنة
ثمانمائة واربعين ونسال الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه
والحمد لله رب العالمين

اعني

فصل
في صفات تيمور البديعه
وما جبل عليه من سجية وطبيعه

وكان تيمور طويل النجاد، رفيع العماد، ذا قامة شاهقة، كانه من
بقايا العمالقة، عظيم الجبهة والراس، شديد القوة والباس،
عجيب اللون ابيض اللون، مشربًا بحمرة، غير مشوب بسمرة،
ضخم الاطراف، عريض الاكتاف، غليظ الاصابع، سميك
الاكارع، مستكمل البنيه، مسترسل اللحيه، اشل اعرج
اليمنا وين، عيناه كشمعتين غير زهراوين، جهير الصوت
لا يهاب الموت، قد ناهز الثمانين، وهو مع ذلك بجاش مكين،
وبدن مستمسك متين، صلبا شهما، كانه صخرة صما، لا يحب
المزاح والكذب، ولا يستميله اللهو واللعب، يعجبه الصدق ولو
كان فيه ما يسوءه، لا ياسى على ما فات ولا يفرح بما يجيئه، وكان
نقش خاتمه راستي رستي، يعني صدقت نجوت، ومبسم دوابه
وسره سكة على الدرهم والدينار ثلاث حلق هكذا. ∴ لا يجري
غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم، ولا من سبي
ونهب وغارة وهتك حرم، مقداما شجاعا، مهابا مطاعا،
يحب الشجعان والابطال، ويستفتح بهم اقفال الاهوال، ويفترس
بهم اسود الرجال، ويستهدم بهم ويتصدماتهم قلل الجبال، ذا
افكار مصيبه، وفرسات عجيبه، وسعد فايق، وجد موافق،
وعزم بالثبات ناطق، ولدي الخطوب صادق، قلت
لكم قدحت اراؤه زند فتنة / حمته لدى الباسا واردت قبايلا
محاجا دراكا للمحجة وللمره، مرتاضا مستيقظ الرمز، لا يخفى
عليه تلبيس ملبس، ولا يتمشى عليه تدليس مدلس، يفرق
بين المحق والمبطل بفراسته، ويدرك الناصح والغاش
بدرية درايته، يكاد يهدي بافكاره النجم الثاقب، ويستتبع
باراء فراسته سهم كل كوكب صايب، قلت
يشاهد اعقاب الامور بعقله / كما شاهد المحسوس بالعين ناظر

اذا

١٤٠

اذا امر بامر او اشار لشيء لا يرد عنه، ولا يثني عنان عزيمته عن
شيء منه، لئلا ينسب الى قلة الثبات، وركاكة الراي والحركات
قلت
اذا قال قولا او اشار اشارة / ترى امره في ذاك كالنص قاطعا
وكان يقال له في الغايه صاحب قران الاقاليم السبعة وقهرمان
الماء والطين، وقاهر الملوك والسلاطين، يحكي ان قاضي
القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي قاضي القضاة
بمصر كان صاحب التاريخ العجيب، والسالك فيه الاسلوب
الغريب، على ما ذكر لي من راه، واطلع على لفظه ومعناه، من
الاذكياء المهره، والادباء البرره، مع اني لم اره، وكان قد قدم
الشام، مع عساكر الاسلام، وحين ولت العساكر الادبار،
انشبته في مخاليب تيمور الاقدار، قال له في بعض مجالسه،
وقد انس بتوانسه، بالله يا مولانا الامير ناولني يدك التي هي
مفتاح فتوح الدنيا حتى اتشرف بتقبيلها، وقال له ايضا لما اراد
ان يستصحبه معه وقد سرد عليه شيا من تواريخ ملوك الغرب
وكان تيمور مغرما باقراء التواريخ واستماعها فاعجبه ذلك غاية
الاعجاب، ورغب منه في الاستصحاب، يا مولانا الامير مصر
حرسها ان يتولى فيها نايب غيرك، او ان يجري فيها غير
امرك، ولي فيك عوض عن طريفي وتلادي، واهلي واولادي
ووطني وبلادي، واصحابي واخداني، واقاربي وخلاني،
وملوك الناس، وعن كل ظهر وراس، بل وعن كل الورى، اذ كل
الصيد في جوف الفرا، وما انا اسف ولا اتلهف، الا على ما مضى
من عمري، وانقضى من عصري، كيف تقضى ذلك في غير
خدمتك، ولم تكتحل عيني بنور طلعتك، ولكن القضا
جار، وما استبدلت الحقيقة بالمجاز، وما اولاني ان اكرر

على لساني ، قوله

جزاك الله عن ذا السعي خيرًا ، ولكن جئت في الزمن الاخير

فلا سنا نفس في ادراك عمر اتانيا ، ولا عدة الزمان بابعادي عن
عدوتك عاديا ، ولا انا ادركت ما مضى من عمري بصرف ما بقي في
خدمتك ، والتشبث بغرزك ، ولا احسن ذلك اعز اوقاتي
واعلى مقاماتي ، واشرف حالاتي ، ولكن ما يقصم ظهري ، الا
كتبي التي افنيت فيها عمري ، وصرفت جواهر علومي في تصنيفها
وظمئت نهاري وسهرت ليلي في ترصيعها ، وذكرت فيها تاريخ الدنيا
من بدئها ، وسير ملوك شرقها وغربها ، ولئن ظفرت بهن
لاجعلنك واسطة عقدهم ، وخلاصة نقدهم ، ولاطرزن
بسيرك خلع دهرهم ، ولاصيرن دولتك هلال جبين عصرهم
اذ انت ابو المقاحم ، والبازغ بدر نصره في شرق الغرب من
دياجير الملاحم ، والكاشف به على لسان كل ولي ، والمشار اليه في
الزوايج والجفر المنسوب الى امير المؤمنين علي ، وصاحب القران
المنتظر في اخر الزمان ، وهي في القاهرة فلو حصلت عليها ما فارقت
ركابك ، ولا هجرت اعتابك ، والحمد لله الذي رزقني من يعرف
قيمتي ، ويجبر خدمتي ، ولا يضيع حرمتي ، مع كلام فصيح
صادع ، بديع مليح خالب خادع ، فاهتز فرحًا اعطافه ،
وتراقصت مرحا اطرافه ، واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب
التواريخ والسير ، واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي
ذكر ، حتى شده عما خلبه ، بسحر هذا البيان البديع وسلبه ، ثم
انه استوصفه بلاد الغرب وممالكها ، واستوضحه اوضاعها
ومسالكها ، وقراها ودروبها ، وقبائلها وشعوبها ، كما هو دابه
وشانه ، والقصد في ذلك امتحانه ، لانه لم يكن محتاجا لذلك اذ
في خزاينه تصوره صور جميع الممالك ، وانما اراد بذلك معرفة

مقدار علمه ، وكيفية ابداء نصحه له وكتمه ، فاملى كل ذلك من طرف
لسانه ، كانه يشاهده وهو جالس في مكانه ، وشرح تلك
الامور ، كما في خاطر تيمور ، ثم قال له كيف تذكرني وبخت نصر مع
الملوك الاكابر ، ولم يزل في النسب تلك المفاخر ، وما نحن من
يعاسيب النحل ، فاني تعيننا مع النحل ، فقال افعالكما البديعة
اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة ، فاعجبه هذا الكلام ، وقال الجماعة
اقتدوا به فانه امام ، ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده ،
وما جرى بين ملوك الارض واجناده ، ولا زال يذكر له اخبار الناس
حتى ورد عليه اخبار متعلقيه واولاده ، فتحير القاضي من ملاءته ،
وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه ، ثم ان تيمور عاهد القاضي ان
يتوجه الى القاهرة ، ويأخذ اهله واولاده وكتبه الزاهرة ، ولا
يلبث اكثر من مسافة الطريق ، ويرجع اليه بامل فسيح وعهد بنيل الاماني
وثيق ، فتجهز الى صفد ، واستراح من ذلك النكد ،

الغرب

فصل

وكان تيمور محبا للعلماء ، مقربا للسادات والشرفاء ، يعز العلماء
والفضلاء اعزازا تاما ، ويقدمهم على كل احد تقديما عاما ، وينزل
كلا منهم منزلته ، ويعرف له اكرامه وحرمته ، وينبسط اليهم
انبساطا ممزوجا بهيبة ، ويبحث معهم بحثا مندرجا فيه الانصاف
والحشمة ، لطفه مندرج في قهره ، وعنفه مندمج في بره ،

شعر

متفرق الطعمين مجتمع القوى ، فكانه السراء والضراء

وقيل

مر المذاق على اعدائه بشع ، حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل

وكان مغرما بارباب الصناعات والحرف ، اذا كان لها خطر وشرف ، اي صناعة كانت
يبغض بطبعه المضحكين والشعراء ،

ويقرب المنجمين والاطباء • وياخذ بقولهم • ويصغي الي كلامهم •
مُلازمًا للعب بالشطرنج لكونه مُشحذا للفكر • وكانت عليّ همته
عن الشطرنج الصغير • فكان يلاعب بالشطرنج الكبير • ورقعته
عشرة في احدى عشر • وفيه من الزوائد جملان وزرافتان
وطليعتان ودبابتان ووزير • واشيا غير هذه وسياق وضعه
والشطرنج الصغير بالنسبة الي الكبير كلاشي • مُواظبا لاقراء
التواريخ وقصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام • وسير الملوك
واخبار من مضى من الانام • سفرا وحضرا كل ذلك بالفارسي •
ومما تكررت قراءتها عليه • وطنت نغماتها على اذنيه • قبض زمام
ذلك وملكه • حتى صارت له ملكه • بحيث ان قارئ ذلك اذا اخطا
رده الي الصواب من الغلط • وذلك لان التكرار • يُفقه
الحمار • وكان اميا لا يقرا شيا ولا يكتب ولا يعرف شيا من
العربيه • ويعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغوليه •
حسب لاغير • وكان مُعتقدا للقواعد الجنكيزخانيه • وهي
كفروع الفقه من الملة الاسلاميه • ومُمشيا لها على الطريقة
المحمديه • وكذلك كل الجغتاي واهل الدشت والخطا وتركستان
واولئك الطغام • كلهم يُمشون قواعد الملعون جنكيزخان
علي قواعد الاسلام • ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا
حافظ الدين محمد البزازي رحمه الله • ومولانا وسيدنا وشيخنا
علاء الدين محمد البخاري ابقاه الله • وغيرهما من العلماء
الاعلام • وايمة الاسلام • بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد
الجنكيزخانيه • على الشريعة الاسلاميه • ومن جهة اخرى انهم
وقيل ان شاه رخ ابطل التورة والقواعد الجنكيزخانيه •
وامر ان تجري سياستهم علي جادة الشريعة الاسلاميه • وما
اظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة الصريحه

وان عساك

والاعتقادات الصحيحة • ولو اتفق ان يجمع مرازبه وموابذه في
دسكره • ويغلق ابوابها ويطلع عليهم من منظره • ويفتح عليهم
شيا من هذا الباب • لحاصوا حيصة الحمر الي الابواب •

فصل

وكان فريد الطور • بعيد الغور • لا يُدرك لبحر تفكيره قعر •
ولا يُسلك في طود تدبيره سهل ولا وعر • فلا قعد في ممالكه
نواميسه • واقام في سائر الممالك جواسيسه • ونم ما بين امير
كاطلاميش احد اعوانه • وفقيه نعمان مسعود الكجاني عين
اصحاب ديوانه • وكان ذلك في القاهرة المعزيه • وهذا بدمشق
احد الصوفية بالشميصاتيه • وما بين متسبب وتاجر • ومصارع
شرير وبهلوان فاجر • ومكد وصانع • ومنجم وطبائعي • ع
وقلندري قوال • وحيدري جوال • وبحري سباح • وبري
سياح • وسقاء ظريف • وحذاء لطيف • وسعلاة دلاله •
وشيخة محتاله كذلك المحتاله • ومن حرفت به التجارب •
اكباد الابل مشارق ومغارب • وبلغ فيما هو بصدده من المكر
والاحتيال • منزلة الكمال • والف بلطيف حيله وده بين الماء
والنار والهدي والضلال • وجاوز في الحيل والكيد • ياساه
وابازيد • والزم في حكمته وجدله ابن سينا • واسكت في منطقه
اليونانيين • اذ عكس عليهم القضايا • فجمع بين المتنافيين •
والق بين المتعادين •

قلت

فان من قاد للعدي كل جيش • بكلام نفي البعد قريبا
مزج العقل في الفساد بعقل • فهدى عاشقا واهدى حبيبا
فكانوا ينهون اليه جواسيس الاطراف واخبارهم • ويكتبون اليه
ما قدموا واثارهم • ويذكرون اسماءهم واوزانهم واسعارهم •
ويصفون منازلهم وامصارهم • ويصورون سهولهم واوعارهم

ويخلون بيوتهم وديارهم ، ويبينون مدى ذلك بعدًا وقربا ،
وما في ذلك ضيقًا ورحبا ، وجهات واقطار الشرق وغربا ، واسامي
الامصار والقرى ، والقاب المنازل والذرى ، واهل كل مكان
ورؤساءه ، وامراءه وكبراءه ، وفضلاءه وشرفاءه ، واغنياءه
وفقراءه ، واسم كل ولقبه ، وشهرته ونسبه ، وحرفته
وسببه ، فكان يطالع بفكره ذلك ، ويتصرف بتفكيره في سائر
الممالك ، وكان اذا احل ببلد ، واجتمع به من اعيانها احد ، شرع
يساله عن فلان وفلان ، وما جرى لفلان في الوقت الفلاني
مما زانه من امر وشان ، والى م آلت تلك الواقعة ، وكيف فعل فلان
وفلان فيما كان بينهما من المنازعة ، فيبهت ذلك الرجل ناظرا
ويظن ان تيمور كان في تلك الحالة حاضرا ، وكان كثيرا ما يطرح
عليهم من اغاليط المسائل ، ويحكي صور ما كانت جرت لهم من
دقائق ومسائل ، فيتصورون ان له في ذلك العلم قدما ، او كان منه للعلماء
خادما ، ولذلك تصور بعض الناس ، ان ذلك الوسواس الخناس ،
كان متقيدا بالسلاطين ، وبعض بالغ حتى قال انه رآه في فقراء
الشيخ الشمسية

فصل

ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن سيواس ، وقد حصنها اولو
النجدة والباس ، قال لعسكره اعملوا الحيله ، انا فاتحوا هذه في
ثماني عشرة ليله ، فكان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج ، كان
ملهما او مستدرج ، وكانت له مغالطات ، وحكايات لا مغاورات ،
اذا دهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه ، وربما يظهر
الرغبة عن شيء وهو مريد حصوله ومشتهيه ، وقد مر نظائر
هذا كله ، فمن مغالطاته انه اذا كان له في مكان رزم ، او اراد
ان ينزل بساحة قوم ، قصد الاخفاء والتعميه ، وطلب الايهام

والنوريه

والنوريه ، ومع عسكره لا يخلو من تمساح متجسس ، او سرطان
متحسس ، ولو لم يكن لاحد في عسكره عين ، فان بزوغ العين لا يخفى
على ذي عين ، فانه يجمع اركان دولته ، واعيان مملكته ، وذوي
ارائه ومشورته ، بحيث انه لا يتخلف منهم احد ، ولا يخبر مولود
عن والد ولا والد عن ولد ، ثم يظهر لهم خفية اموره ، ويطلب
منهم المشورة في جهة مسيره ، ويطلق لهم عنان الكلام ، ويقول
لا تثريب على من خاض في ذلك من خاص للانام ، ناظرا في عواقب
الامور ما بين يوم وعام ، فليتكلم كلا ولا حرج ، فسواء يهوي
الى حضيض الخطا او الى درج الصواب عرج ، فان اخطا فلا
نقصان ، وان اصاب فله اجران ، فيبذل كل جهده ، ويعاني
في ذلك كده وكده ، ويبدي في ذلك ما ادى اليه اجتهاده ،
ويتصور ان ذلك يوافق مراده ، فتتفق الاراء على ناحية
من الانحاء ، ثم ينفض ذلك المجلس ، ويجتمع بخصائصه ويجلس
كشاه ملك شاه وقمارى وسيف الدين ، والله داد وشاه ملك
وشيخ نور الدين ، ويحصون القضية محصا غير ذلك ، ويبحثون
فيها بجنان دقيق المسالك ، فيقع آخر الامر الاتفاق ، على
التوجه الى بعض الآفاق ، ثم يدعو رائدهم ، وسائقهم في
ذلك وقائدهم ، ويامرهم بالتوجه اليه ، ويتصدعون
على ما عول في ذلك عليه ، وحين يقوض الظلام خيامه
وينشر رائد الصبح اعلامه ، ويضرب الكوس للرحيل ،
وياخذ الناس في التحميل ، ويتوجه الناس الى الجهة التي
امرهم بالسير اليها ، ووقع الاتفاق عليها ، دعا حاشيته
بعد ما حملوا واخذوا في السرى ، وامرهم ان ينادوا ويرحلوا
الى جهة اخرى ، لم يكن ابدا لاحد من الجماعه ، الا في تلك
الساعه ، ولولا الضرورة لما افشاها ، ولا اعاد سره لاحد

ويرحلوا

ولا ابداهما، فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا، ويأخذ العساكر
شرقا ويأخذ غربا، فتضطرب تلك الاطواد وتختبط، وتنفرط
عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط، وتنحل قوائم مواثيقها عن
المسير وترتبط، ويموج بعض الناس في بعض، وينعكسون
سماء في ارض، وطولا في عرض، ويتولّه كل احد ويتدله، ولا
يدري كل الي اين يتوجه، فان كان في عسكره ربيئه، ومن يراقب
ذهابه ومجيئه، فيحمد ما رأى بحيلهم، وشاهد تحويلهم وحلهم،
طار الي مخدومه، واظهر له ما في معلومه، من توجه العساكر
الي الجهة التي اتفقوا عليها، وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا
اليها، فيأخذ واحذر اهل ذلك الجانب، وتطمئن سائر
الجوانب من النوائب، فلم يشعروا الا وقد دمّر على الجانب الذي قصده
وحطمه، ونبذه من نار العذاب الموقدة في السعير والحطمه،
وكم كان له من دهاء، ومكر خفي وذكاء، ومن جملة ذلك انه لما
كان بالشام، وقد قابلته عساكر الاسلام، اشاع ان سوار
اساورته تخلخل، وتأخر قليلا الي وراء وتخلخل، واذاع انه
اعوزه خيله ورجله الزاده، وانه صائب صوب بغداد، ثم
اسفرت القضيه، عن ان انهزمت العساكر المصريه، وكان قصده
بذلك تثبيت جاشهم، واستقرار رؤسائهم واوباشهم، وان
يكن كل منهم علي ما ازم، فيربض في مكانه ولا ينهزم، فيحيط بالكل
كيده، ويصير المجموع صيده، **وما** يحكى من شدة عزمه،
وثباته علي ما يقصده وحزمه، وحلول نقمته ممن يعارضه،
ويعاكسه فيما يرسم ويناقضه، انه لما توجه بالجنود الي
بلاد الهنود، بلغ الي قلعة شاهقه، افراط الارتفاع باذان
مراميها عالقه، ورجوم النجوم الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة
سهامها الراشقه، كأن بهرام في مهواه احد نواطيرها، وكيوان

في مسراه

في مسراه خادم نواطيرها، والشمس في استوائها غرة جبينها،
وقطرات السحاب في الانسكاب تترشح من قعر معينها، وشقة
الشفق الحمراء علي اذان مراميها، وانوف ابدانها سرادق، وكرات
نجوم القبة الخضراء العيون مكاحلها وافواه مدافعها طابات
وبنادق، فيها من الهنود طائفه، ثابتة الجنان غير خائفه،
جهزت اهلها وما تخاف عليه الي الاماكن المحرزه، وتثبتت هي في
تلك القلعة حافظة لها متحرزه، مع انها شرذمة قليله، وطائفة
ذليله، لا خير عندهم ولا مير، ولا فائدة سوي الضير
والضير، ولا للقتال عليها سبيل، ولا لاحوالها لاحد مبيت
ولا مقيل، بل هي مطلة علي المقاتله، مستمسكة من المقاتله،
فابي ان يجاوزها، دون ان يناجزها بالحصار ويناجزها،
واللبيب العاقل، ما يترك لخصمه وراءه معاقل، فجعلت
المقاتلة تناوشها من بعيد، ونصب كل من اهلها عليهم من
اسباب المنايا ما يريد كما يريد، فكان كل يوم يقتل من عسكره
ما لا يحصى، والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا، وهو
يأبى الرحيل عنها، الا ان يصل الي غرضه منها، ففي بعض ايام
المحاصرة مطروا، وبواسطة المطر انحصروا، وصار بعضهم علي
القتال، وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك الحال، فلم ير نفر
افعالهم، لا عكست اوجالهم احوالهم، فدعا منهم رؤس الامراء،
وزعماء العسكر والكبراء، ولجذ ايمرق اديم عصمتهم بشفار
شتمه، ويشقق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه، ونفخ
الشيطان في خيشومه، فالهب فيهم نيران غضبه وشومه،
وقال يا لئام، واكلة الحرام، تتقلبون في نعماي، وتتوانون
عن اعداي، جعل الله نعمي عليكم وبالا، والبسكم بكفرانها
جبة ونكالا، يا فاجري الذمم، وكافري النعم، وساقطي الهمم،

ومستوجبي النعم. المنطوا اعناق الملوك باقدام اقدامي.
ونظروا الى افاق الدنيا باجنحة احساني واكرامي. وتفتحوا
مغلقات الفتوح بحسام صولتي. وتسرحوا في منتزهات
الاقاليم سوايم تحكم بترعية دولتي. بي ملكتم مشارق
الارض ومغاربها. واذبتم جامدها واجمدتم ذائبها.

شعر

ألم أك نارا يصطليها عدوكم ... وحرزا لما الجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه ... وقابض شر عنكم بشماليا

ولا زال يهمهم ويغمغم. ويهدر ويبرطم. وهم مطرقون
لا يحيرون جوابا. ولا يملكون منه خطابا. ثم ازداد حنقا.
وكاد ان يموت خنقا. فاخترط السيف بيده اليسرى. وهم به
على اولئك الاسرى. وهم ان يجعل رقابهم قرابه. ويسقي من
دمائهم فرنده وذبابه. وهم على تلك الحال. في الخزي والاذلال
باذلوا نفوسهم ناكسوا رؤوسهم. ثم تراجع وتماسك. وملك
نفسه قليلا وتمالك. فاغمد عن تشريحهم حسامه. ولم يلق
لامره قبله ولا دبره. فعلق غربه وشامه. ثم نزل عن مركبه.
واستدعى الشطرنج الكبير للعب به. وكان عنده شخص يدعى
محمد قاوجين. وهو لديه ذو مكانة مكين. ومقام امين.
مقدم على كل الوزراء. ومبجل دون سائر الامراء. مسموع
القول. مقبول الراي. ميمون النقيبة. محبوب الشكل.
فتشفعوا اليه. وعولوا في حل هذا الاشكال عليه. وقالوا
ساعدنا ولو بلفظه. وراقبنا ولو بلحظه. واعلمنا
بهذا المعنى.

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا ... فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

وبما قيل

واهون



واهون ما يعطي الصديق صديقه ... من الهين الميسور ان يتكلما

وبما قيل

وان امرأ قد ضن عني بمنطق ... يسد به من خلتي لضنين

فاجابهم والتزم. ان يرده عما انا زم به وازم. وراقب محال
الفال. وراعى فرص المجال. واخذ افكار تيمور. تفور في
امور القلعة وتغور. وجعل يستضوي اضواءهم. ويستوري
اراءهم. واحسن كلا منهم الا القبول. لما يستصوبه رايه
ويقول. ففي بعض الاحايين. اتفق ان قال محمد قاوجين.
وقد زل به القضاء. واحاطت به نوازل البلاء. اطال الله
بقاء مولانا الامير. وفتح بمفاتيح ارائه وراياته حصون كل امر
عسير. هب انا فتحنا هذه القلعة. بعد ان اصيب منا جانب
من اهل النجدة والمنعة. هل يفي هذا بذا. ويوازن هذا النفع
بهذا الاذى. فما احتفل بخطابه. ولا اشتغل بجوابه. بل
استدعى شخصا من المرفدارية. فظا قبيح المنظر ذا حالة زرية.
يدعى هرملك. داعرا في سمك. ووجه بالسواد سدك. اوسخ
من في المطبخ. واسخم من في المسلخ. لعاب الكلب طهور عند
عرقه. وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه. فحين ما حضر
لديه. ووقع نظره عليه. امر بثياب محمد قاوجين فنزعت.
وبخلقان هرملك فخلعت. ثم البس كلا ثياب صاحبه. وشد
وسطه بحياصته. ودعا دواوين محمد ومباشريه. وضابطي
ناطقه وصامته وكاتبيه. ثم نظر ماله من ناطق وصامت.
وذائب وجامد. وملك وعقار. واهل وديار.
وخدم. من عرب وعجم. واوقاف واقطاع. وحشم
وضياع. ومماليك واتباع. وبساتين
وخيل وجمال. ولحمال واثقال. حتى زوجاته وسراريه. وعبيده وجواريه. فانعم بذلك على

الوسيع• وامسى نهار وجود محمدقاوجين ويوم من ليل فلك النعمة
منسلخ• ثم قال تيمور اقسم بالله وآياته• وكتابه وصفاته•
وارضه وسمواته• وكل نبي ومعجزاته• وولي وكراماته• وبراس
نفسه وذاته• لئن آكل محمدقاوجين احد او شاربه او ماشاه•
اوصادقه اوصافاه• او آوى اليه او آواه• او راجعني في امره•
او شفع عندي فيه او اشتغل بعذره• لاجعلنه مثله•
ولاصيرنه مثله• ثم طرده واخرجه• وقد سلبه نعمه واحرجه
فصار مسلوب النعم• قد حلت به نوائب النقم• وسحبوه
بالحلوق• ورأى نعمته على اقل الخلق• واتصل عبره بالحلق
وقطع منه الحلق• فقلقت حبة قلبه اي قلق• واستمر على ذلك
في عيش مر وعمر حالك• وحاشا ان تشبه قصته قصة كعب بن
مالك• فكان يستحلي مرارة الموت• ويستبطي اشارة الفوت•
وكل لحظة من هذا الحيف• اشد عليه من الف ضربة بالسيف• فلما
مات تيمور احياه• ورد عليه خليل سلطان ما سلبه جده اياه•

فصل

وكان من هيبته وعظمته• وشدة شكيمته وعتوه وحرمته•
ان ملوك الاطراف• وسلاطين الاكناف• مع استقلالهم
بالخطبه• واستبدادهم بالسكه• وانفرادهم بالزعامة
والرياسه• وقيامهم بامور الايالة والسياسه• كالشيخ ابراهيم
ملك ممالك شروان• وخواجا علي بن المؤيد الطوسي سلطان
ولايات خراسان• واسفنديار الرومي وابن قرمان• ويعقوب
ابن علي شاه حاكم كرمان• وحاكم منشا وطهرتن امير ارزنجان•
وسلاطين فارس واذربيجان• وملوك الدشت والخطا
وتركستان• ومرازبة بلخشان• ومراجيح مازندران• وعلى
الجملة فالطيعون من ملوك ايران وتوران• كانوا اذا قدموا

عليه• وتقدموا بالهدايا والتقادم اليه• يجلسون على اعتاب
العبودية والخدمه• نحوا من مد البصر من سرادقاته قائمين
بشرائط الادب والحرمه• فاذا اراد منهم واحدا• ارسل اليه
من الفراشين او نحوهم قاصدا• فيهيب ذلك القاصد وهو
بعيد وكالبريد• وينادي ذلك الواحد باسمه يا فلان من مكان
بعيد• فينهض في الحال من مجثاه• مجيبا لبيك لبيك دعواه•
ويعدو نحوه متعثرا في اذياله• متلقيا ما برزت به مراسيمه•
بقبوله واقباله• مطرق راس التذلل والخضوع• مصغيا
باذان الخنوع والخشوع• مفتخرا على اضرابه• لكونه اهله ودعاه
واعتنى به• **وقيل** كان اناس من جماعته يلعبون بالنرد
فافترقوا فرقتين• واختلفوا في نقش الكعبتين• فقال احد
اللاعبين وراس الامير تيمور كذا وكذا نقش الكعبتين• فرفع يده
خصمه ولطمه• وسبه ولعنه وشتمه• كانه ذبح يحيى او زكريا
نشر• او كفر بمحمد او قدم موسى على البشر• وقال يا ابن الفاعله
والغاسل بن الغاسله• بلغ من انتهاكك الحرم• ان تذكر الامير
تيمور بفم• وانى لك ان يجول خدك موطئ مداسه• فضلا
ان تحلف براسه• انه لا يجل ان يتفوه مثلي ومثلك باسمه• او
يتلفظ بشيء من حدوده ورسمه• وانه لاعظم من كيخسرو وكيكاوس
وكيقباد• الذين ملكوا المشارق والمغارب والكفر من بخت نصر
وشداد• **وقيل** انه قصد في بعض الاوقات الاصطياد•
وارسل يمنة ويسرة على العادة طوائف الجيش والاجناد• ورسم
ان يخرج مشاة تلك الرقاع• ورجالة هاتيك القرى والبقاع
فيمدوا في الوهد والبقاع• وحين تلتئم على الوحوش
حلقة الكيد• ويصح ان يتنازع فعلا ارمي واصمي كلا من عمرو وزيد•
لا يشير احد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيده• بيد انهم يردونه

اوابد تلك البيداء الي بهرة ذلك البيد • فامتثل كل ما به امر • وحين
صار كالبنيان المرصوص صف تلك الاحزاب والزمر • واحاطة
صافات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر • ما جت بحار
الوحوش في ذلك البر • ولم تجد لها من دردور تلك السيول
الهامرة من مخرج ولا معبر • فدارت ومارت • وحارت وجارت •
وثارت وبارت • واستجارت بعد ما جارت • واستكانت بعد ما
زارت • وانطوت ارضها التي طالما عليها انتشرت • وطربت
خلع اعلامها باعلام واذا الوحوش حشرت • فبينا هي على تلك
الحال • في اشد ما يكون من الاهوال • امر بان تضرب الطبول من كل
الجهات • وينفخ في صور المزامير والبوقات • فدق الكوس
وزعق النفير • وامتلأت الدنيا من الشهيق والزفير • ورجت
الارض رجا • ومارت الاقطار هرجا ومرجا • وحين سمعت
السباع صوت الطبول • ورات الوحوش هذا الامر المهول •
سقطت قواها • وتقطعت كلاها • وجثت وما انبعثت • ثم
تقاربت وتلاءمت • وتقاربت وتضامت • وتصورت ان
القيامة قد قامت • فاخذ بعضها بعنق بعض ونامت •
فعانق الثور منها اللبوه • وضاجع الاسد فيها الظبيه •
واختفى السرحان بين الغزلان • واستجار الثعلب ببنات
الارنب • ولاذ بالاروى النعام والارنب بالعقاب • وعاذ
الضب بالنون واليربوع بالغراب • فعند ذلك امر الاطفال
من اولاده • واولاد الامراء واحفاده • ان يرموا ويضموا
ويغنموا • مهما ارادوا ولا يظنوا • وجعل ينظر اليهم
ويتفرج عليهم • ويتنزه لافعالهم • ويتهقه على احوالهم
ويجريهم على الاقدام والنضال • ويشجعهم بذلك على صيد
الابطال • وجعلت حواشي الجيش تتجر على ما اصموا • ويجهز

على

على ما انموا • وصار ذلك الفسحة • يترنم وينشد • **شعر**
صيد الملوك ارانب وثعالب • فاذا ركبت فصيدي الابطال

فصل

وكان يحمل اليه البلخش من بلخشان • والفيروزج من نيسابور
وكازرون ومعادن خراسان • والياقوت من الهند • والماس منها
ومن السند • واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا • والبيش والمسك
وغيره من الخطا • ومن سائر الاقطار خالص الفضة ومصفى النضار

فصل

وانشأ في سمرقند بساتين عديده • وقصورا شوامخ مشيده •
كل له ترتيب غريب • ووضع انيق عجيب • احكم اساسها • وطعم
بافخر الفواكه غراسها • سمى احدها بستان ارم والاخر زينة الدنيا •
والاخر جنة الفردوس والاخر بستان الشمال والاخر الجنة العليا •
ثم انه هدم مصرا • وبنى في كل بستان منها قصرا • وصور في بعض
هذه القصور مجالسه • واشكال صورته تارة ضاحكة واخرى
عابسه • وهيآت مواقعاته • وصور محاضراته • ومجالس
صحبته مع الملوك والامراء • والسادات والعلما والكبراء •
ومثول السلاطين بين يديه • ووفودها بالخدمات من سائر
الاقطار اليه • وحلق مصايده • وكائن مكائده • ووقائع
الهند والدشت والعجم • وصورة انتصاره وكيف انكسر عدوه
وانهزم • وصورة اولاده واحفاده • وامرائه واجناده •
ومجالس عشرته • وكاسات خمرته • وسقاة كاسه • ومطربي
ايناسه • وتغزلات مقامانه • ومغامات تغزلاته •
وحظايا حضرته • وخواتين عصمته • الى غير ذلك مما وقع
له من صورة حادثة في الممالك • مدى عمره المتقارب
المتدارك • كل ذلك كما وقع ووجد • ولم ينقص من ذلك شيأ

ولم يزد • وقصد بذلك الافاده • لمن كان في عالم الغيب عن احواله بالشهاده • فكان اذا توجه الى مكان • وخلت سمرقند من الطلبة واعوان الشيطان • تخلو تلك البساتين • ويتوجه اليها اهل المدينة الاغنيا والمساكين • فلا يوجد اعجب متنزها منها ولا احسن • ولا اوفق مرتفقا ولا آمن • واما ثمارها الطيبة فانها مسبله • بحيث انه لا يباع قنطار منها بخردله • وانشا في ضواحي سمرقند واطرافها قصبات • سماهن باسما كبار البلدان والامهات كمصر ودمشق وبغداد • وسلطانية وشيراز عرائس البلاد • وانشا بستانا في ضواحي سمرقند على طريق الكس وبنى به قصرا سماه تخت قراجا يحكي ان بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمر ترعى في البستان ستة اشهر حتى وجدها •

٢ فصل

نساؤه الملكة الكبري • وهي اقدم واكمل • والملكة الصغري • وهي احسن واجمل • وهما من بنات ملوك الخطا • وتومان بنت الامير موسى امير نخشب المار ذكره في اول الكتاب • وجلبان كانت كالبدر عند الكمال • وكالشمس قبل الزوال • قتلها في حياته لشيء بلغه عنها • وكان غير واقع وانما فعل ذلك معها لانه قيل ان صدقا وان كذبا • واظنها كانت من الخطايا • واما السراري والحظايا • فاكثر من ان يحصين • فالملكتان المذكورتان سمتهما شاه ملك خوفا منهما على خليله • وتومان ارسلها خليل سلطان الى الشيخ نور الدين بسغناق كامره وبعده جاءت الى سمرقند • وسمعت انها عزمت في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة على الحج والله تعالى اعلم

٢ فصل

اولاده لصلبه المخلفون من بعده اميرانشاه قتله قرا يوسف

كما

١٤٨

كما ذكر وشاه رخ وهو المتملك في يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليمان شاه كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما افسدها النسا البغداديات قدمن سمرقند ولها تواريخ سوء اخفاده غالبهم انقرضوا الا اولاد شاه رخ وامثلهم اولوغ بيك حاكم سمرقند وابراهيم سلطان حاكم شيراز وباي سنقر حاكم كرمان ماتا كلاهما في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة • وجوكي وهو الذي مشى على اسكندر بن قرا يوسف وشتت شمله بعد موت قرا يلوك وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ثم مات في اواخرها

٢ فصل

امراؤه ووزراؤه لا يحصون واشهرهم من ذكر في هذا الكتاب دواوينه الخواجا محمود بن الشهاب الهروي ومسعود السمناني • ومحمد الساغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة واحمد الطوسي وغيرهم • منشي ديوانه وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضي زمانه • وفاضل ابانه • فارسيا وعربيا يعرف اخبار الانشا • كيف شاء • كان قلمه في فتح اقاليمه • انفذ من سنان مخدومه • ولما مات تيمور احتجب • وطوى بساط الادب • فقيل له ضحكت البشرة الابناشر • وصفت العشرة فهلا تعاشر • فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي • فانا الان ازهد في خدمة الاحداث حرمتي • ائمته عبد الجبار بن النعمان المعتزلي • صدور مملكته مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه الخواجا عبد الاول وغيرهم • قارئ قصصه وتواريخه مولانا عبيد • اطباؤه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام وغيرهما • وكان دائما يستعمل معاجين الاحجار • وفي سنة ذلك يجني باكورة الابكار • مجموعة

لا يحضرني اسماؤهم

فصل

حصل في ايام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك
وهو من اولاد صاحب الهداية انه كان يلقي الدرس ويلعب الشطرنج
والنرد وينظم الشعر في حالة واحدة، ونعمان الدين الخوارزمي
ابو عبد الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان اعمى،
والخواجا عبد الاول بن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة
في ماوراء النهر بعد ابن عمه، ومولانا عصام الدين بن عبد
الملك انتهت اليه الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عمه عبد الاول،
ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرم الحرام
سنة احدى وتسعين وسبع مائة بسمرقند، والسيد الشريف
محمد الجرجاني توفي بشيراز، ومن المحدثين الشيخ شمس الدين
محمد بن الجزري كان اخذه من الروم وكان قد هرب اليها من مصر
بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز، والخواجا
الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخاري فسر القران
الكريم في مائة مجلد توفي بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم سنة
اثنين وعشرين وثمانمائة، ومن القراء بها مولانا فخر الدين
ومن حفاظ القران المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف
الدامغاني، ومولانا السيد الشريف الحافظ الحسيني، ومحمود
المحرق الخوارزمي، وجمال الدين احمد الخوارزمي، وعبد
القادر المراغي الاستاذ في علم الادوار، ومن الوعاظ
والمتكلمين مولانا احمد بن شمس الائمة السراي كان يقال له
ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا وكان اعجوبة الزمان،
ومولانا احمد الترمذي، ومولانا منصور القاغاني
ومن الكتاب المجود بن السيد الخطاط ابن بنه كير، وعبد القادر

المذكور

المذكور، وتاج الدين السلماني وغيرهم، ومن المنجمين اناس برعوا
لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النحاس المستخرج،
قال لي استخرجت من زايجة الطالع الى مائتي سنة، وكان هذا
الكلام في سنة ثمان وثمانمائة، ومن الصواغين الحاج علي
الشيرازي، والحاج محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما،
ومن الحكاكين طائفة جمة وامثلهم التون وكان ابنة في فنه
ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط احسن من ياقوت
ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الخيمي، وزين اليزدي وغيرهما
وعلامة ذلك علاء الدين التبريزي الفقيه المحدث كان
يحط الزين البزدي بيذقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا ويركبه
ولقد داخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا، وقهر في دست
مصافاته كل سلطان وكل شاه مات عنده جدا ولعبا وكان
يقول له انت في ملك الشطرنج فريد، كما اني في سياسة الملك
وحيد، وكل مني ومن مولانا علي شيخ في فنه ذو كرامات لم
يوجد له نديد، وله في لعب الشطرنج وعلم مناصبه شرح
وما كان احد يقول انه يبتح ولا دكره في لعبه معه من غير
طرح، وكان فقيها شافعيا، محدثا ريحيا، حسن البهجة
صادق اللهجة، حكي لي انه رأى امير المؤمنين عليا كرم الله
وجهه في المنام، وانه ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه احد
بعد ذلك من الانام، ومن اوصافه في لعبه انه كان لا يتفكر
وبمجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر والتامل الطويل ينقل
من غير ان يتدبر، وكان يلعب على الغائب مع خصمين ويغلب
مع الطرح لمن هو في جهته على الجهتين، وكان يلعب هو
والامير بالشطرنج الكبير، ورايت عنده شطرنجا مدورا
وشطرنجا طويلا والشطرنج الكبير فيه من الزوائد

ما مرّ ذكره، وطريقة تعلّمه بالفعل اقوى، وليس في شرحه بالقول
كثير اجدوى، ومن المطربين عبد القادر المراغي المذكور وولده
صفي الدين وختنه نسرين وقطب الموصلي واردشير الجنكي،
وغيرهم، ومن النقاشين كثير، واعلاهم عبد الحي البغدادي
وكان ماهرًا في فنه، ومن النجارية شهاب الدين احمد الزردكاشي
ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى، وهؤلاء
كل منهم كان علامة دهره، واعجوبة عصره، ولو رصعت حلى
الالفاظ بجواهر اوصاف هؤلاء الاعيان، لملأت الاكوان من
فرائد الجمان، وقلائد العقيان، وهؤلاء من حضرني ذكره
ممن اعرفه واما من لا اعرفه او اعرفه ولا يحضرني ذكره فاكثر
من ان يحصى، واعز من ان يستقصى، وحاصل الامر ان تيمور
كان جنى كل نخبة، وجبى الى سمرقند ثمرات كل شيء، فكان بها من
اهل كل فن عجيب، واسلوب من الصنائع غريب، من هو على
جبين الفضل شامة، وبرز على اقرانه فصار في فنه علامة،

فصل

وكان في سمرقند انسان، يسمى بالشيخ العريان، فقير ادهمي،
بشكل بهي وعزم سمي، قيل ان عمره على ما هو فيهم شائع، وبين
اكابرهم واصاغرهم ذائع، ثلاث مائة وخمسون سنة
مع ان قامته مستوية وهيئته حسنة، كان المشايخ الهرمون
والاكابر المعمرون، يقولون لقد كنا ونحن اطفال، نرى هذا
الرجل على هذا الحال، وكذلك نروي عن ابائنا الاكرمين،
ومشايخنا الاقدمين، ناقلين ذلك كذلك عن ابائهم، والمعمرين
من كبرائهم، وكان اطلس وله قوة ناهضة وحده، من
راه يتصور انه لم يبلغ اشده، ولم يكن للكبر بوجهه تجعيد
ولا اثر، وكان الامراء والكبراء، والاعيان والصلحاء والفضلا

والرؤساء

والرؤساء، يترددون الى زاويته، ويتبركون بطلعته، ويلتمسون
بركة دعوته، وفي سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط، يهب لمن
يدخله الانشراح والانبساط، والروح والنشاط، وقيل ان
احد فعلته كان وليا، يسمى الشيخ زكريا، هو معتقد تلك
البلاد، ومزاره في مكان مشهور على طود من الاطواد، وقبره
يستجاب عنده الدعا، وهو عن سمرقند نحو يوم في المدى،
وهو بالكرامات موصوف، وفي كرخ هذه المقامات معروف
وهو في ربوة ذات قرار، فيها جنات تجري من تحتها الانهار،
محفوف باليمن والانس، كانه اقتطع من حظيرة القدس،
يحكى انه لما كان فاعلا في ذلك البنيان، وقع في جبهته قطعة
من الطين، فرآى ذلك احد المباشرين، واستمر ذلك الطين على
هذه الحال، نحوا من ثلاث ليال، فلما ارادوا وضع المحراب،
وقع الاختلاف في الخطا والصواب، وكثر في ذلك الصخب
والاضطراب، فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه الفقرة،
ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسرة، فقال ذلك المباشر، لمن في
ذلك المكان حاضر، يا للعجيبة، والقضية الغريبة، رجل
لم يغسل وجهه ثلاثة ايام، يرشد الناس الى معالم الاسلام
فقال ذلك العابد الزاهد، او رجل هو من لم يتم ثلاثة ايام
بوضوء واحد، ولكن تعال ايها الجاحد، قف مكانك،
وثبت جنانك، ولا تكن ممن انكر وتولى، وانظر الى عروس
الكعبة كيف تجلى، فنظر ذلك الذي انكر، فاذا الكعبة
امامه تتبختر، ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه، وطلبوه
ارضا وسماء فلم يجدوه، وهذا المسجد فيه شيء عجب،
عدة اسطوانات من خشب، من جملتها سارية شمخت
ارتفاعا، نحوا من خمسة عشر ذراعا، وغلظ جسمها

بالصواب نقطة

وبدنها، فلا يقدر الرجل يحتضنها، وباقي السواري بها قد حطن
قبالها شجرة قطن، ولها خاصية عجيبة، طريقة غريبة،
من كان به وجع الضرس، يضع عليه مقدار حبة من خشب
ذلك الترس، فانه ينفعه، ويسكن في الحال وجعه،
جربته فصح ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأى فيها من
العجائب، وشاهده من علامات الظرف والغرائب، فان
اخبر برؤية هذه السارية الفائقة، كانت رؤياه صادقة،
واعتدله بصدق الكلام، والا كانت رؤيته اضغاث احلام

فصل

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يقصان، ولا يجري على جنس
المكيلات فيها بالكيل حسبان، وانما معرفة حساب ذلك عندهم
بالميزان، ورطل سمرقند اربعون اوقية، كل اوقية بالمثاقيل
مائة، فيكون رطلهم اربعة الاف مثقال، كل مثقال درهم
ونصف من غير زيادة ولا اخلال، فعلى هذا رطلهم بالدمشقي
عشرة ارطال، حكى لي مولانا محمود الحافظ المحرق الخوارزمي
ولقب بالمحرق لان سهام ترجيعاته كانت تصيب حبات حشاشات
اذ ترمي، وتفوق رنات اوتارها نحو آذان القلوب فتصمي
طائرها ولا تنمي، فان صدعت من القلوب حجرا، تطاير من
اقتداحها في الارواح شررا، فتحرق برناته الارواح، وتشعل
بنغماته الاشباح، قال استصحبني تيمور في بعض اسفاره،
فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره، فنزلت عساكره على حصن
لحصاره، وضرب خيمته على مكان عال، ليشرف منه على القتال
ويتفرج في صنع الرجال، ففي بعض الزمان حضرت عنده انا
ورجلان، وكان قد حصل له حمى، اورثته كربا وغما،
وكانت سماء النزال ذات حبك واحبال، ورماح القتال

في النواء

في النواء واشتباك، فاراد ان يطالع احوالهم، ويشاهد
افعالهم، وافرطت شهوته الى العيمة، فقال احملوني الى باب الخيمة،
فدخل ذانك الرجلان تحت ابطيه، واوقفاه بباب الخيمة وانا بين
يديه، فجعل يشاهد حربهم، ويتميز طعنهم وضربهم، ثم اراد ان
يامرهم بشيء، فقال لي يا محمود ادن، فاسرعت اليه، ودخلت
تحت عضده، فارسل احد الرجلين الى عسكره، يامرهم بما عن
له من عجره وبجره، فكانه لم يبرد غليلا، ولم يرو عليلا، فقال لنا
دعاني، وعلى الارض ضعاني، فوضعناه فسقط كانه رمة
بالية، او لحمة على بارية، ثم ارسل ذلك الرجل الاخر اليهم
وامره بما اقتضته اراؤه واله عليهم، فبقيت انا وهو وحدنا، لم
يبق احد عندنا، فقال لي يا مولانا محمود انظر الى ضعف بنيتي
وقلة حيلتي، لا يد لي تقبض، ولا رجل تركض، ولو رماني الناس
هلكت، ولو تركوني وحالي ارتبكت، ولا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا، ولا اجلب خيرا ولا ادفع شرا، ثم تامل كيف سخرني الله
تعالى الى العباد، ويسر لي فتح مغلقات البلاد، وملأ رعبي
الخافقين، واطار هيبتي في المغربين والمشرقين، واذل لي الملوك
والجبابرة، والان بين يدي الاكاسرة والقياصرة، وهل هذه
الافعال الا افعاله، وهذه الاعمال الا اعماله، ومن هو انا غير
سطيح ذي فاقة، لا باب لي في الدخول الى هذه الافعال ولا
طاقة، ثم بكى وابكاني، حتى ملأت بالدموع ارداني، فانظر الى
هذا الوبر، كيف سلك بهذا القول مسلك القائلين بالجبر
وانشد وافيه بالفارسي بيتين وهما

نيم تني ملك جهان را كرفت ∴ چشم كشا قدرت يزدان ببين
پاي نه وتخت بزير قدم ∴ دست نه وملك بزير نكين

ترجمته فقلت دوبيت

قد اظهر قدرةً بها في حكمه ** من ملك شقا الّا نجا في قسمه
لا كفؤ له والملك في خاتمه ** لا رجل له والتحت موطئ قدمه

فصلٌ

واما عساكره وطرائق سلوكهم، فانهم على دين ملوكهم، كانوا استُدرجوا من حيث لا يعلمون، ورُزقوا من حيث لا يحتسبون، مُسخّرًا لهم مخفيات الدفائن، مفتوحًا عليهم خبيات الخزائن، مُيسّرًا لهم مكامن المطالب والمعادن، كل طرفة منهم قد جال وسطا، وصار بطرق اللوم اهدى من القطا، قد دبروا الامور، وجربوا احوال الدهور، وقاسوا معاصر العصور، وكابدوا المكائد، وعالجوا الشدائد، ومارسوا الاشيا، وذاقوا الناس والدنيا، وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه، وادركوا مداركه ومعارجه، لا يدهيهم داهيه، ولا يطغيهم طاغيه، ربما يمرون بقفراء، ويجتزون بمهمهٍ صحراء

شعر

لا يفزع الارنب اهوالها ** ولا ترى الضب بها ينجحرُ

فيقف بعضهم ثم تراه، ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه، ثم يقول ليس هذا الثرى، من هذا الثرى، ثم ينزل عن دابته وياخذ من ذلك التراب ويشمه، ثم يلتفت الى جهة من الاربع فيقصدها جانبًا ويؤمّه، ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان حتى يصلوا الى المكان، فيحفرون ويخرجون كمين الدفائن، وما في ذلك من المغلات والخزائن، وكذلك اذا وصلوا الى عمائر، او مروا على مقابر، يتوجهون الى الخبء كانهم وضعوه بايديهم او اوحت شياطينهم ذلك اليهم، وربما يجيئون الى مقام، مرّ على ساكنه فيه ايام، ومضى عليه فيه شهور واعوام، وفيه شيء مطمور، لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور، فبمجرد دخولهم اليه يفتح ذلك عليهم ويطلعون

عليه

عليه، وحين يطلع ساكنه على ذلك ياكل ندامة وحسرة يديه، وكان لهم درايات في دهرهم عجيبة، وسهام آراء في عمرهم مصيبة، وكانوا يحلبون البقر ويركبونها، ويسرجون الحمر ويلجمونها، ويسابقون على ذلك اصحاب الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها، ويطعمون الجمل لحم الكلب والحمل، ويعتاضون عن شعير الفرس، بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس، وربما اعوزهم ذلك في السفر فاطعموا دوابهم لحاء الشجر

حكى لي القاضي برهان الدين ابراهيم القوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان قازان والتتار، لما قدموا هذه الديار، خرج من له قوة الفرار، فارًّا من الشرور، كما فعلوا في قضية تيمور، ومن جملتهم تاجر بالصالحيه، كان في عيشة رضيه، وله اموال وافرة وفيه، جمع ما له من صامت المال، ووضعه في قدرة بهال، ثم عمد الى بركة ما فحفرها، ووضع تلك القدرة تحتها وطمرها، ثم ردها الى مبانيها، واعاد مياهها الى مجاريها، وحين استتب الوثوب، وقدمت الدواب للركوب، قالت له امراته قد نسينا قرطين، واخاف ان يحدث عليهما في الطريق شين، فانظر لهما مكانا، وحصّل لنا بذلك امانا، فقال اما الآن فلا مكان، ثم اخذهما ووضعهما في سقف سقيفه، على خشبة لطيفه، ثم ركبا، وتركا الديار وذهبا، فلما حل بدمشق التتار، نزل منهم فرقة في تلك الدار، فجعلوا ياكلون ويشربون، وهم في خوضهم يلعبون، فبينما هم في بعض الايام في النشاط، قرض الفار احد تلك الاقراط، فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط، فبادرت الجماعة اليها جاريه، كانهم يتسابقون الى قرطي ماريه، فسبقت الجماعة، ودخلت البلاعه، فكشفوا عن وجه الارض ستر خدرها، فوجدوا الاموال كامنة في قدرها، فاخذوها واللؤلؤة واخرجوها، وقصدوا باقي القرطين واقتسموها،

وجماعة تمور ايضًا كذا كانت • وكل معضلة من القضايا اذا
وصلت اليهم هانت • وكل منهم كان على دين ملكه وفي فتنه الى غايته
عرج • فاذاكنت محدثا عن احوالهم واخبارهم فحدث عن البحر ولا حرج

فصل

يحكي ان واحدًا منهم من اهل الذكاء والكيد • اراد في فصل الشتاء
التنزه فقصد الصيد • فاخرج مركوبه وهو بقره • فشد عليها
سرجه وهو خشبه مكسره • غرزه قضيب مدور • وحزامه
حبل مبتر • وتجمل بلباسه وهو جلد فروة منهوش • وتاجه
وهو طرطور من لبد منفوش • وشد كنانته وهي جلود ممزقه
مشدوده بحبل وعليها خروق ملزقه • سهامها قد التوت • وحنيتها
قد استوت • ومعه بازي قد نتف القرناص ريشه • وقلع عن حقل
بدنه زرع خوافيه وحشيشه • ثم ركب جواده • وحمل بازيه
وقصد اصطياده • فراي جماعة من البط • على ساحل غدير
حط • فرفع يده بالبازي ساعه • حتى عاين تلك الجماعه • ثم
وضع يده لا بخفض • وارسل البازي على الارض • فصار يحجل
رويدًا • قد اضمر للبط كيدا • اذ لم يكن له قوة الطيران • ولا
جناح عليه به يستعان • فوصل الى الطير بسكون • وهي آمن
ما يكون • لانها لا تتوقع البلاء • الا من جهة السماء • فدخل
بينها فما نفرت منه • ولا هربت عنه • فلم تشعر الا وقد وثب على
واحدة وقلبها • فادركه صاحبه واخذها • ولما رحلوا عن
دمشق • وقد شققوا اوراق نعمها من اغصان وجودها اي
مشق • وكان مع بعضهم بقرة نهبها • وحملها ما اخذه من
الاموال التي سلبها • واركبها اسيره • وسار بها مدة يسيره •
فبعد سيرها يومين او ثلاثة قلقت • ونادت بلسان حالها انها
ما لهذا خلقت • فلما لم تجد ملجا ما شكت • توكلت على الله وبركت •

فانزلوا الراكبة عنها وصاحوا عليها فلم تقم فحلوا احمالها وضربوها
فلم تتحرك فاوجعوها ضربا • واشبعوها العنا وسبا • وتلك
المباركة باركة فادموها وهم يضربونها • الى ان كادوا يهلكونها • فمن
ناخط بمقدمها • ومن جاذب بمؤخرها • ومن متعلق بقرنها
ومن متشبث باذنها • وهي جاثمة مشبهه • فيل ابرهه •
فعجزوا عنها • وايسوا منها • فبينما هم على ذلك • وقد ضاقت
عليهم المسالك • واذا هم بشيخ كوسج • كانه شجرة عوسج • قد
سلك المشارق والمغارب • ومرت به انواع التجارب •
وقاسى برد الامور وحرها • وذاق حلوها ومرها • وعرف خيرها
وشرها • مر بهم • وهو يتفكر بهم • فلما راهم اساري • عاجزين
حيارى • سكارى وما هم بسكارى • قال تنحوا عنها اي جنبه • ثم
دنا منها دنو الراقي من ذي جنه • واخذ كفا من تراب • انعم من
عيش الشباب • ثم قبض على قرنها • وصبه في اذنها • ثم هز راسها
في صماخها • حتى وصل التراب الى صماخها • فوثبت قائمه • وهي
من ذلك الرغام راغمه • وجعلت تنفض راسها • وزادت
اضطرابها وشماسها • وطلبت المسير وكادت تطير • فاعادوا
عليها احمالها • وزادوا اثقالها • فصارت تلك البليها • تعدو ولا
يقدر عليها •

فصل

وكان في عسكره من الترك عبدة الاصنام • وعباد النار من المجوس
الاعجام • وكهنة وسحره • وظلمة وكفره • فالمشركون يحملون
اصنامهم • والكهان يسجعون كلامهم • وياكلون الميتة والدم
المسفوح • ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح • وناس
خراولة • ومن واجرحراصون • ينظرون في الواح الضان •
ويحكمون بما يرون فيها على احوال كل مكان • وما حدث في كل بقعه •
من الاقاليم السبعه • من الامان والخوف • والعدل والحيف •

والرخص والغلاء، والسقم والشفاء، وسائر ما يكون، فلا يكادون
يخطئون، ولهم ايام وشهور واعوام، كل عام منسوب الى حيوان
يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتاتى فيه زيادة ولا نقصان،
وفي الخطا لهم خط يسمي دلبرجين، رايت حروفه احدا واربعين،
وسبب زيادته انهم يعدون النفاخيم والامالات حروفا
وكذلك البين بينات، فتتولد الزوايد، وكل حرف زائد،
واما الجغتاي فلهم قلم يسمى اويغور، وهو بالقلم المغولي مشهور
وعدته اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا
العدد ان حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك
تلفظهم بها ومثل هذا الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء
والفاء ومثل الزاي والسين والصاد ومثل التا، والدال،
والطا وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم
ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم وتواريخهم واشعارهم
وقصصهم واخبارهم، وسجلاتهم واسفارهم، وجميع ما يتعلق
بالامور الديوانية، والتورة الجنكزخانية، والماهر في هذا
الخط لا يبور بينهم، لانه مفتاح الرزق عندهم،

فصل

وكما كان فيهم من جبل على الفظاظة، والقسوة والغلاظة،
ومن هو قليل الرحمة بل وعديم الاسلام، كفرة فجرة او غادة
انذال طغام اغتام، قد اتخذوه من دون الله ربا ونصيرا،
واستكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا، استحوا لهم كفرهم
وحبهم اياه، الى انه لو ادعى النبوة او الالهية لصدقوه في
دعواه، كل منهم يتقرب الى الله تعالى ببره، بنذر له اذا وقع في
شدة ويفي بنذره، واستمر على اعتقاده الباطل وكفره،
مدة حياته وبعد موته بنقل النذور وتقرب القربان الى قبره،

وكان

وكان ترقى معه في المصاحبه، حتى وصل الى المقام المراقبه،
قيل انه كان في السفر، فرأى واحدا من العسكر، كان الكري
عطفه رقبته، او التري امال شقته، او على حال لا يتوجه عليه فيها
لوم ولا عتب، فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب، فقال تيمور تري
ما ثم احد قاطع، يقطع راس هذا الفاعل الصانع، ولم يزد على
هذا الكلام، فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام، اسمه دولة
تيمور، وهو امير كبير مشهور، قد البسه الله ثوب النقمه، ولم
يشمه شيا من روايح الرحمه، ففي الحال سل راسه من بين كتفيه،
وحمله الى تيمور ووضعه بين يديه، فقال تيمور ويلك ما هذا
الامر الافظع، فقال هذا الراس الذي اشرت ان يقطع، فاعجبته
هذه العباره، وابتهج بان امره يمتثل بادنى اشاره، وكان فيهم
الظرفاء والادباء، والاذكيا والشعراء، ومنهم في الفضل
اعلام وعلماء، وفيهم المحقق، والباحث في العلوم والمدقق،
ومن شارك في كل العلوم، وبحث فيها بحثا شافيا من طريق
المنطوق والمفهوم، وتقرر مذهب الصوفية واحيا العلوم
ومع هذا فبعضهم مضى على مقتضى ما علمه، وكان من الذين امنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمه، وبعضهم كان مع رقة
الحاشيه، واللطافة الفاشيه، والعلم الوافي، والظرف
الشافي، والجمال الفائق، والكمال الشائق، والكلام الرائق
قلبه اقسى من الحجر، وفعله انكى من ضرب الصارم الذكر، يقولون
من قول خير البريه، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرميه، واذا وقع مسلم في مخاليبهم، او ابتلى غريب بتعذيبهم،
صنف ذلك العالم المحقق، والحبر المدقق، في استخراج المال
انواع العذاب واصناف العقاب، واستخص في فنون
تعذيبه كتبا ومسائل، وسرد في علوم تتريبه خطبا ورسائل.

فيصير ذلك المسكين يتكوى، ويستغيث ويتلوى، ويستجير
بالله وآياته، ويستشفع بكل ما في ارضه وسمواته، من ملك
ونبي، وصديق وولي، وذلك المليح يضحك ويتظارف،
ويتمايل ويتلاطف، وينشد لطايف الاشعار، ويتمثل بطرايف
النوادر والاخبار، وربما تحزن وبكى، وتاوه لما يفعل بذلك
من التعذيب وانتكى، وصار كبعض قضاة الاسلام، المستولي
على مال الايتام، يخطب ويبكي، وفعله في قلوب المسلمين
ينكي، ولما كانوا في دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان
برفاق العجم، واذا هو مملوء من النفائس والخيرات والنعم،

شعر

قصر عليه تحية وسلام، خلعت عليه جمالها الايام

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه، وبانواع العذاب
والعقاب عذبوه، ثم احكموا عليه شدا وعلقوه، واستخرجوا
النفائس، واستجلوا من حسانها العرائس، واحضروا لذيذات
المطاعم والمشارب، وقصدوا من التفكه والتنعم ما لهم من مارب،
وجعلوا ياكلون ويشربون، ويلهون ويطربون، واذا تحرك
في واحد منهم الخبث، او تمل واحده في سكره العبث، عمد الى
ذلك المسكين وهو في شدة النكاد، فسقاه الماء والملح وسففه
الكلس والرماد، وكان فيهم عالم متقشف، عن تناول المسكرات
متعفف،

كما قيل

عجبت من شيخ ومن زهده، وذكره النار واهوالها،
يكره ان يشرب في فضة، ويسرق الفضة ان نالها،

وكانوا اذا داروا القدح المزعفر، احضروا له السكر المكرر،
ووضعوه له في صيني الخوافق، وصبوا عليه الماء الرائق،
فيسكرون هم بالاقداح القوادح، ويسكر ذلك الفاسق المحروم

من

من الروائح، ثم يتوجه الى صاحب المنزل، ويضحك عليه ويوفي اشد
ما يكون من العذاب ويسخر منه ويهزل، ثم يتمايل على صوت
المثاني والمثالث، ويتناول من تلك الماكل والمشارب ويقول
بشر مال البخيل بحارث او وارث، وكان في عسكره كثير من النساء
يلجن معامع الهيجاء ووقايع الباساء، ويقابلن الرجال
ويقاتلن اشد القتال، ويصنعن ابلغ ما يصنع الفحول من الرجال
في النزال، من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال،
واذا كانت احداهن حاملا واخذها وهم سائرون الطلق
تنحت عن الطريق واعتزلت الخلق، ونزلت عن دابتها ووضعت
حملها، ولففته وركبت دابتها واخذته ولحقت اهلها، وكان
في عسكره ناس ولدوا في السفر، وبلغوا وتزوجوا وجاءهم
اولاد ولم يسكنوا الحضر، وكان في عسكره ناس صلحاء عباد،
ورعون زهاد، اجواد امجاد، لهم في الخيرات اوراد،
وردها اصدار وايراد، دابهم خلاص ماسور، او جبر
مكسور، او اطفاء حريق، او انقاذ غريق، او اصطناع
معروف، او اغاثة ملهوف، مهما امكنهم، ووصلت اليه ايديهم،
اما بقوة وايد، واما بنوع خديعة وكيد، واما باستيهاب
واستشفاع، او تعويض وابتياع، وكانوا سائرين معه
بالاضطرار، ودائرين معه لهذه المعاني بالاختيار،
حكى لي مولانا جمال الدين، احمد الخوارزمي احد القراء
المشهورين المجودين، وكان امام محمد سلطان في حياته
وامام مدرسته بعد وفاته، ثم خطيب بروسا وبها
ادركته المنية، سنة احدى وثلاثين وثمانمائه،
رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد سلطان
أعلم مماليكه واولاد الامراء القران، فارسل اليه جده الظلوم

وهو متوجه الى بلاد الروم • ان يتوجه اليه • وينفذ هو والامير سيف
الدين عليه • فامتثل ما به امره • واخذ في اعداد اهبة السفر • وقال
لي هيئ مرافقتك • واقطع علايقك • وخذ اهبة سفرك •
واعمل مصلحة رهطك ونفرك • ووافقنا في المرافقه • فان
من حسن المرافقة الموافقه • فاستعفيته من الذهاب • وفتحت
له في سد خوخة السفر كل باب • فقلت له يا مولانا انا رجل من
اهل القران والفاقه • مالي بفتح باب السفر من طاقه • لاني ضعيف
البنيان • رخو الاركان • لا احتمال لي على الحركه • وان كان في صحبة
مولانا الامير كل خير وبركه • خصوصا على هذا السفر البعيد
الشقه • الكثير المشقه • ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقه •
لا جمل لي في مناخ السفر ولا ناقه • واما انتم فالسفر عليكم حتم
لازم • وحق ملازم • ولا يسعكم فيه التخلف • ولا يفسح لكم فيه
التطلب والتشوف • فلم يعفني • وتعلل لي بعلل عللني فيها ولم يشفني •
فلم ارتد من الاستعداد • وتحصيل الرفيق والزاد • ثم سرنا حتى
وافينا جده • وقد ركب في الجادة جده وجده • ورأينا من
تلك العساكر • بحارا لا اول لها ولا اخر • اذا انفرط احد من
سلك جماعته • وضل معتزلا عن سنن سنته • لا يصل اليهم بالسرج
والشمع • ولا يهتدي الى جماعته الا ان كان يوم الجمع • فبينا
انا معهم اسير • وقد وهن مني العظم الكسير • واثر في التعب •
واخذ مني النصب والوصب • ومللت السري • وعدمت الكرى •
نفضت يدي من الرفيق • واخذت على نحوة من الطريق • فلما
ان خلوت • هيمنت بالقران العظيم وتلوت • ثم استهواني
الذوق والشوق • فحلقت بمراشيق حلقي الى فوق • وكان صوته
الطيب من رقيق المقطوع على رخيم الموصول • والامرخيم سمول
على كاس شمول • بنسيم الشمال معلول • وبرضاب الحبيب مشمول •

قال

قال واذا برجلين ضعيفين • كالعود البالي نحيفين • اشعثين
اصفرين • ذوي طمرين اغبرين • يبصراني عن جنب • وعلقا بي
علوق الوتد بالطين • فجعلا يراقبان احوالي • ويستمعان
اقوالي • فلما زمزمت زمزمتي • وكفكفت هينمتي • وكتمت في خزانة
صدري جواهر كلماتي • وختمت بطابع دعائي زواهر اياتي •
بكيا لمناجاتي • وامنا على دعواتي • ثم اقبلا نحوي وسلما •
واهتزا لما سمعاه من تلاوتي وترنما • وقالا احيى الله قلبك كما
احييت قلوبنا • ومحوت باسطرة في الواح صدورنا بحسن تلاوتك
ذنوبنا • ثم انهما انساني بالخطاب • وجاذباني بالسوال والجواب •
واذا انهما من صميم الجغتاي وخالص عسكر تيمور • ومن مصنفي النقاد
ونبح الغش والزور • ثم سالاني عن مجاري ومجاري • وعن رفيقي في
هذا السفر وجاري • فاخبرتهما عن مولدي ومحتدي • ومسقط
راسي من بلدي • واني من اهل القران • واني مع محمد سلطان • فقالا
لي يا سيدنا الشيخ انما جئنا اليك لتحسن الينا • وانا سائلوك عن شيء
فلا تحجر علينا • فقلت قولا وطولا • فلن تجداني ملولا • فقالا
يا مولانا • هذا شيء يعنينا وان كان قد عنانا • وكل من اشتغل بما لا
يعنيه • فقد ترك ما يعنيه • ووقع فيما يعنيه
• ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه •
فبالله يا سيدنا قل • من اين ناكل • فقلت على خوان محمد
سلطان • فقالا ماكول هذا العسكر حلال • ام حرام ووبال •
فقلت الغالب عليه الحرام • بل كله والله مظالم واثام • لانه من
التاراج والنهب • والغارات والغصب • والاختلاسات والسلب
فقالا والله يا امام • لقد اسانا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام
ولكن انتم اهل العلم • شيمتكم العفو عن الجاني والحلم • وانتم اولى
بجبر الكسير • وفك الاسير • وتيسير الامر العسير • فقابلنا

هذا المحض بالصبح • ولا تعامل هذا الالحاف باللغ • فقلت سلا
ولا تسلسلا • فقال اسالك بالله الذي اعطاك كلامه • الذي
تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم حلاله وحرامه • لا تواخذنا بما
تهجنا به عليك • فان الشيخ المرشد كالوالد الشفوق لا يواخذ ولده
بقلة ادبه • فقلت كلا سلاما شئتما • وسلسلا مهما اردتما •
فقالا يا سيدنا اما كان لك مندوحة عن مرافقة هولا اللئام
والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام • فقلت اني دخلت فيهم وانا
مضطر • وخرجت معهم وانا كاره مجبر • واكرهني محنة سلطان
وحاباني بما حباني من الاحسان • فصحبتهم وعيني ذا لي من كحل الراحة
مرتها • وحملتني فرسي في سفري كرها ووضعتني كرها • فقالا
ارايتك لو امتنعت عن الخروج اكانوا يريقون دمك • ويأسرون
اولادك ويسبون حرمك • فقلت لا والله وحاشا لله • فقالا
اكانوا يحبسونك ويضربونك • وفي مقام المصادرة يجلسونك
فقلت انا امنع جانبا • ان يسوموني خسفا وعذابا • لاني
حافظ القرآن • والقرآن حافظي من هذا الخسران • قالا فغاية
فعلهم معك • اذا ارادوا تعززك وتمنعك • انهم كانوا يشتمونك
ويحدون الى معلومك يقطعونك • ويسخطون عليك • ويمنعون
برهم الواصل اليك • قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا • وتعززي
وتمنعي يحط من مكانتي عندهم الى هذا الاذى • ولكنهم حابوني
فاستحييت وخادعوني فانخدعت وليتني ابيت • فقالا
لا يصلح هذا لك عذرا وحجة • ولا يسلك بك الى صحة الاعتذار
بين يدي الله تعالى سواء المحجة • فهلا جلست في مكانك •
واشتغلت بتلاوة قرآنك • ومطالعة علمك ومباحثة اخوانك
وفرغت بدنك عن الكلال • وملأت بطنك من الحلال • واحتميت
في حمى دينك عن هولاء اللئام • واسترحت من الاضطرار الى

تناول

١٥٨

تناول الحرام • مع انا سمعنا من امثالكم • ما قد ضرب في امثالكم • اهل
القرآن وقاصته • اهل الله وخاصته • وانهم عتقاؤه بين
خلقه • وببركاتهم ادر سحائب رزقه • وان السلاطين ملوك الناس
اجمعين • وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين • واذا اعتقكم الله
واعفاكم الناس • وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب والكبد والراس •
ولم يبق لاحد عليكم سلطنة • ثم القيتم انتم انفسكم بايديكم الى هذه
الورطة • وتهافتم على المهالك تهافت الفراش على النار • وتشبثتم مع
كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضرورة والاضطرار • فكيف يصح هذا
الاعتذار • واني ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك الجبار • وصل
صح الا كما قيل ::

معاشر القراء يا ملح البلاد • ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فقلت اما اذا جرت القصة • فكلنا في هذه المصيبة سوية
مصراع :: بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي ::

وقيل

بي مثل ما بك يا حمام البان • انا بالقدود وانت بالاغصان

فبكيا وانتحبا • وتاوها والتهبا • وتنفسا تنفس الصعداء • وقالا
اين ما بين قصتنا وقصتك في المدى • فورب الخافقين ان بين
القصتين لبعد المشرقين • ولكن ما للمقال مجال • وما كل ما يعلم يقال
واين السر من الاعلان • وان الحيطان لها اذان • فقلت هذا ايضا
ليس بحجة • فلا تعدلا عن سواء المحجة • فقالا نحن المضطرون
جبرا • الماخوذون قهرا وقسرا • وانا مكتوبون في الديوان •
مضافون الى واحد من اعيان الاعوان • اذا ورد علينا مرسوم
بالبروز في يوم عيد مثلا او نوروز • ويكون الخروج وقت
الظهر • وتاخرنا واحدا الى وقت العصر • لم يكن له جزاء فيما ارتكبه
الا الصلب وضرب الرقبة • فضلا عن ضرب وشتم وشناعه • او

رفع عدل او تقديم شفاعه • واين انت عن قعود ما او تخلف • او
استتار بذيل توار او توقف • فنحن مدى الدهر لمثل هذا
مستوفزون • وعن مثل ماجرى على اضرابنا من هذا البلاء متحرزون
مصحون ابدًا لما اشار وما امر • عاملون بمقتضى رحم الله من
راى العبرة في غيره فاعتبر • ويا ليتنا امكننا التحويل عن
مملكته • والرحيل عن اقليم ولايته وسلطنته • وكيف لنا بذلك
وهي مسقط راسنا • ومحل اناسنا • ومحط ايناسنا • وايلاف
رحلتنا • ومزدرعات معيشتنا ومدرج ابائنا • ومخرج ابنائنا
ومقام قبائلنا وعشائرنا • ومثابة قاطننا وغابرنا • ولو غاب
من هوام قبائلنا جدجد • فضلًا عن بلبل او هدهد • لجحف
البافين سيل الظلم والحيف • ولتحكم في رقاب سائرنا صائل الموت
بالسيف • واما اذا برزنا وعزمنا • على المسير معه وتجهزنا • فساد
كرسته تغيب • واي جهة يريد ذلك المريد المريب • فنأخذ اهبتنا
لذلك المقدار • وكل منا ابن عم الاخر وجاره • وله جراب فيه سويقه
ومعه كلفة نفسه وفرسه وعليقه • يصوم مدى الدهر ويفطر
على ما يسد به الرمق • ويلبس ما يستر العورة من رث الثياب
والخلق • كل ذلك من ربع ايدينا وكدنا • وما بذلنا فيه عرق
جبيننا والحلال غاية جهدنا • لا نتعرض لمال احد ولا لعرضه
ولا نتقدم في طريق ابرامه ولا نقضه • ولا لاحد عندنا تبعة
ولا بيننا وبين احد علاقة ولا سبب • ولكن يا مولانا البلاء
الطام • والمصاب العام • ثم رقصا رؤسهما يمينًا وشمالًا •
وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالًا • وابيضت شفاههما
واسودت جباههما • واخذا في البكاء والعويل • وانتحبا
الانتحاب العريض الطويل • فوالله لقد ذابت نفسي لهما
واستصغرت كبار المشايخ بالنسبة اليهما • وتفكرت فيما دهاهما

من

من شدة الامر • وعلمنا انهما القابضان بكفيهما على الجمر • ثم
تاوهت اهًا بعد اه • وقلت بالله يا اخوتاه • وما هذا البلاء
الطام • والمصاب العام • الذي ذكرتماه • قالا الخيول ومواشينا
وحوامل ازوادنا وغواشينا • نرفق بها في التحميل • وما نركبها الا وقت
الاعيا في الرحيل • وامر قصها قصم ظهورنا • واعجز امورنا • واضطرنا
الى الخوض في دماء المسلمين واموالهم • والجاتنا الى رعي زرعهم ونخلهم
وبالهم • وما ندري كيف المخلص • واني نخلص من ذلك المقنص •
فبالله يا سيدنا الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر الغالي رخصة • او
هل من قطرة برد تطفي هذه الحرارة وتسكن حرق هذه الغصة
فقلت لا والله الا عناية الله • وايم الله لقد اشبعتماني شرا •
وجرعتماني صبرا ومقرا • واوسعتماني نكدا وضرا • وكان همومي
ما بي • من نصبي وعذابي • يكفيني الى يوم تكفيني • فقد زدتماني
بلاء على بلائي • وعناء على عنائي • فبالله من انتما وما اسماؤكما •
وفي اي قطر ارضكما وسماؤكما • ومع من انتما تحيتنا ما حييتما •
نخبراني ولا تخبراني لاجي في كل وقت البكا • واقوز بالسلام
عليكما • فقالا يا مولانا الحمد لله الذي برؤيتك حيانا • ان
معرفتنا لا تجديك شيا ولا تبرك • وعدم المعرفة بنا لا يؤذيك
ولا يضرك • والغالب على ظننا يا مولانا انك بعد اليوم لن
ترانا • وان قدر اجتماع فنحن نسعى على رؤسنا اليك • وخليفتنا
الله والسلام عليك • ثم ودعاني وما وقفا • واودعاني الم
الفراق وانصرفا • هذا من البحر قطره • ومن الطود ذره •
ونسال الله سبحانه وتعالى ان يصون عن الزلل اقوالنا • وعن
الخطل والخلل افعالنا واحوالنا • وحسبنا الله ونعم الوكيل •

خاتمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ادب عبده احمد فاحسن تاديبه، وخصه اذ رباه
يتيما وانشاه غريبا بكل يتيمة وغريبه، واظهر له في بيان
بديع المعاني منهج كل فن واسلوبه، فاعجب اهل زمانه اذ اعجزهم
بما اتاهم به من كل اعجوبه، احمده حمدا تتفتق في رياض بلاغته
انوار فصاحته، واشكره شكرا تتفتق في رياض نعمائه ازهار
بلاغته، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
طابق خبرها الواقع والاعتقاد، واسندته الى حقيقة الصدق
فصارت حقيقة الاسناد، فتنطق الايمان باقوالها، وتعلق
الاسلام بافعالها، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي
انشا اخبار بعثته على التوحيد، وقصر فصل رسالته على وصل
الاخلاص بالتعبيد، صلى الله عليه صلاة باقية ببقاء اعجازه،
موصولة بطنب الاطناب وصل فصيح الكلام بايجازه،
وعلى اله واصحابه شموس سماء الفصاحه، وبدور افلاك
البلاغه، وسلم تسليما كثيرا اما بعد فيقول العبد المفتقر
الى مولاه، المعترف بتقصيره وخطاياه، المغترف من بحار
كرمه وعطاياه، الراجي في حدائق المغفرة ثمرة العفو مما
جناه، احمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا، العجمي لقبا،
الانصاري نسبا، الدمشقي مولدا، السني معتقدا، عامله
الله بما كان اهله، وحفظ عليه دينه وعقله، لما كانت الدنيا
دار انقلاب، ومحل تغير واضطراب، قدمت على الاخرى
للاكتساب، اما لجزيل الثواب، واما لوبيل العقاب، وكان
سيرها سبيل الاجتياز، واذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من
ثلاث، اردت ان يخلد لي ذكر، ويجول لي في خواطر الاخرين
فكر، لعل رحمة تنفعني، او دعاء صالحا ينفعني، فنادى
لسان الحال، لا خيل عندك تهديها ولا مال، واما الاولاد فليت

مالهم

١٦٠

مالهم كفاني شره، ووازن في حياتي نفعه وضره، فلم يبق الا علم
ينفع، او افادة ترفع، وقد صنف العلماء في كل فن من العلوم
ما بلغوا فيه الغايه، وتدرجوا في تقريره وتحريره من البداية
الى النهايه، وعنوا معانيه متونا وشروحا، وبينوا الخاويه
خفاء ووضوحا، مع ان دروس العلوم قد درست، وحدائق
رياضها ذبلت ويبست، وصار الكلام فيها عبثا، والمستوي
في تحقيقها وتدقيقها نبا، ولم يبق لطالب العلم به انتفاع،
الا انه اذا احتاج الى القوت عرض كتبه لتباع، غير ان بعض كبراء
العصر، ورؤساء الدهر، وبقايا الاكياس، متشوفون
لتواريخ الناس، ومتطلعون لمعرفة احوال من ساس،
ذنب وراس، ومستشرفون لسالف الاخبار، كيف كان امر
الناس وصار، ولم يكن فيما مضى، من هذه الامة وانقضى،
من متغلبها وبغاتها، ومتمرديها وطغاتها، مسلمها وكافرها،
مقسطها وجائرها، عاتيها ومواتيها، مصادقها ومعاديها،
صالحها وطالحها، سانحها وبارحها، غابرها ودارجها،
عابرها وخارجها، مثل تيمور الاعرج، ولا اعبر منه في العتو
ولا اخرج، سيره كلها عبر، وكل عبرة منها فيها سير، اموره اظهر
من ان تخفى، وما اضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا اعظم من ان
يطفا، فقصدت ما ذكرته، وذكرت ما قصدته، وانوخيت
الافادة والاعتبار، لا التفاخر والاشتهار، فاعترضتني
نوائب الخطوب، وكشرت دون مرامي انياب القطوب،
وجهتني يد الردع، وصدمتني قارعة المنع، بان اكبر الكبائر
في هذا الدهر الدائر، ادب اديب، او فضل اريب،
علم عالم الاسما غريب، لتذكره الادب والفقه، كراهة او
التحريم لا التنزيه، وقد تقرر هذا في الاذهان ورسخ، وكم

الادب اذ بدا لهم او كنا وقومهم نتغ، ثم ذكرتني شاني وخاطبتني
بلساني،

شعر

انصرف غض العمر في طلب العلى ... فتنطمي اكبادا وتسهر اعينا
تقاسي صروف الدهر فقرا وغربة ... وتبعد عن الاوطان للفلب موهنا
وعيلة اطفال ضعاف كانهم ... جوازل زغب انهكتها يد الضنا
ففي مثل تلك الحال ما كنت ضايعا ... وكنت بنفس فقرها واسع الغنى
الى ان حباك الله فضلا ورفعة ... وحزت فنونا من علوم لها سنا
فصرت عزيزا في البرايا مكرما ... وطار الى الافاق من صيتك الثنا
وقد سل فوق الراس سيف مشيبه ... وهل بعد هذا غير معترك الفنا
اتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة ... فترهب من فقر وترغب في الدنا
فتبذل وجها طالما صنت ماءه ... لك الله لا تفعل وكن متمكنا
وهل في الورى من يرتجى للملمة ... وان قيل من للمكرمات يقل انا
فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل ... على الله مولى لم يزل بك محسنا

فيا ثم ذو فضل بصدر منشرح، فحط عنك واسترح، فتضاعف الحال تشتيتا، وزاد الكبد تفتيتا، وارتبكت في عزمين، واشتبكت بين همين، بين ان اسكت فاضيع، او ان اقول فلا اسمع، فقدمت رجلا واخرت اخرى، واستنهضت جواد فكري كرا وفرا، فقوا صدق النية فيما هممت، وخلوص الطوية على ما عزمت، وجمعت من بال متفرق، والفت من فكر متمزق، من قضايا بيمور الطويلة العريضة نبذه، ووجدت بكف الافكار من حكاياته جذه، تثلت في بيانها من بديع المعاني العجيبة، وسلت وقد صرفت نحو مشرق النطق سنان الكلام عضبه وشحذت غربه، فجاءت بحمد الله تعالى طريفة المعاني كاملتها، لطيفة المباني فاضلتها،

قلت في مرآة الادب

بالفاظ الحافظ تشير الى النهى ... تعلم فن السحر كيف يكونه



جوته دقة الجزل ودقته، ورياقة الغزل ورقته، ولطافة الادباء، وظرافة الشعراء، وفصاحة البلغاء، وبلاغة الفصحاء، وحقائق الحكماء، ودقائق العلماء، مع الامثال الفائقة والاستشهادات اللائقة، والاستطرادات الرائقة، والتشبيهات الغريبة، والاستعارات العجيبة، ونوافث السحرة من علماء البيان، ونوادر المهرة من ارباب الديوان، ومزجت جليل التحمس فيها برقيق التغزل، ونسجت جديد الجد بعتيق التهزل، وطرزت طلع ذلك كله باعلام الايات الشريفة، ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفة، اصبت بكل ذلك محز القصد، وطبقت بحسامه مفصل الضرب،

قلت في مرآة الادب

كان النهى قد كان عني ناعسا ... فمر على اذنيه ما انا لفظ
فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة ... ففتح عينيه وجا يتلمظ

فمن اراد التنزه في التواريخ فعليه بمداومة تكرارها، ومن قصد التفكه في رياض الانشا فليقتطف من بهي ازهارها، ومن سلك طرائق الادب فليجن من حدائقها جنا ثمارها، ومن رام التسلق الى ذروة العلو فليتشبث باذيال استارها، ومن طلب الاعتبار بتقلبات الزمان فليتأمل حقايق اخبارها، ومن عني بسياسة الملك فليتدبر دقائق اسرارها، مع انه لم اوفها حقها في التهذيب، ولم تنل استحقاقها في حسن الترتيب والتشذيب، لان الكلام كالدر المنتظم والدر المنسجم، لا بد ان يتطابق لفظه ومعناه اولا واخرا، ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا، والا اختل نظمه واعتل فهمه، وانحطت منزلته، وسقطت من سلم الفصاحة درجته، وهذا يحتاج الى بحر ذهن صاف، ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود جواهره واف، وذوق احلى من العسل، وفكر امضى من الاسل، ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاونة

صاح من النبه، فان غروب الالسنة ربما جاوزت الي ما يثبت علي القايلين الحجه، ومن لي بذلك، واني بتيسر لي سلوك هذه المسالك، وكنت طالما افوق سهم النظر في ابداء التامل نحو قنص معنى دقيق، واصوب غواص الفكر في دأماء التدبر، الي جوهر قصد رقيق، حتي اذا قلت فاز القناص، وحاز الغواص، واذا بتقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل، والحوادث علي سهم خاطري الطريق، وبتمساح الهموم التهم غواص فكري فاذا هو في بحر الغموم غريق، فتسد في وجه قصدي المسالك، واصير من ها رايز هرالي ليل حالك،

قلت

فاني انتهي للنظم دار ولم تظفر يدي منه بودعه

لكن لما كان الشروع ملزوما، واتمام ما شرعت فيه متحتما، لم ارينا من الحام ما اسديته، واصماء ما انميته، فصرت في وعوره اقع واقوم، وفي بحوره اغطس واعوم، ان راق راكد الخاطر، او حمي الفكر الفاتر، تذكرت من الكلام اوايله، والحقت بكل منه ما شاكله، واذا ازعجه من الزمان الجفا، تكدر منه ما صفا، وتبلدت الافكار، وتولدت الاخطار، وتساوي عند بصر البصيرة الليل والنهار،

قلت

اكمل كل سطر بعد شهر واثني كل بيت بعد عام

فلا اضع المحمول الا وقد حل الموضوع، ولا اذكر الخبر الا وقد نسي المبتدا، قلت مضمنا شعرا،

والفكر كالبحر يبدي لي جواهره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

فتنخرم القاعده، ويختلط راس المال والفائده، فقل لي اني ينتظم حال، وقد انفرط نظام الحال، هذا وان الكلام له مقامات، ولكل من الفصاحة والبلاغة درجات، قلت قديما مترجما

ما استوى في موقف افصاح منطيق ولو

قد

قد سحبا سحب سحبان واصمى الاصمعي

فافتكر فيما ترى في منزل اعيى الورى

هل ترى تنبت تجادي قيل يا ارض ابلعي

واين من يوفي المقامات حقها، ويعطي كل مستحق منها مستحقها، ولقد سلكت في هذا الكتاب مسلك ابناء العصر، وطريقة اولاد الدهر، فان الناس بزمانهم، اشبه منهم بابائهم، ولو اخذت فيه اخذ العرب العرباء، والبسته في الفاظه ومعانيه ثوب الاستعصا والاباء، فابرزت ما قصدته من المعاني الجزلة العجيبه، في قوالب لحلة غريبه، لما التفت اليه، ولا عول لقصور الفهم والافهام عليه، ولما كانت المجازات المشهوره، خيرا من الحقايق المهجوره، والغلط المستعمل، اولي من الصواب المهمل، ابرزتها في اشارات رشيقه، وعبارات رقيقه، وعملت في بعض المواضع بقوله ثم

عمدا كسوته مرهبا مغشيا ولو اشا حكته محبرا

وقد قيل

اذا احسست في لفظي قصورا وخطي والبراعة والبيان

فلا تعتب لفهمي ان رقصي على مقدار ايقاع الزمان

ثم ان بين هذا الكتاب، وبين ما صنعه قبله ذووا الاداب، لبونا مديدا، وامدا بعيدا، بوجوه منها ان زمانهم كان بالرفاهية يساعد، وانا في عصر لا ساعدني فيه ولا مساعد، ومنها ان وقتهم كان فيه من يربي الفضل واهله، ويحل كلا منهم محله، من الملوك والاكابر، وذوي الفضايل والماثر، وارباب المناصب والمفاخر، واقل من فيهم كان يحب السماع، ويميل الي الفضل والادب بالطباع، فكان الفضل فضيله، والادب خصلة جميله، واما الان، فقد انقلب باهله الزمان، فصار حامل الفضل والادب من رهطه، والمنتظم من العلم في سلكه وسمطه، كانه سارق علقة

تحت ابطه • ومنها ان الافهام كانت مدركه • وكانت كذلك قريحة
المتكلم متحركه • لقد صارت الافهام جامده • والقرائح خامده
ونارها هامده • ومنها ان غالب ما صنف اخباره كاذبه • وسهام
اغراض غير صائبه • لانه لا واقع يطابقه • ولا خارج يوافقه
فهم مصنفه الى ما عقدته مخيلته وتوهمته مفكرته • فالف
حسبما اراد • واسس على مقتضى اختياره ما شداه وشاد •
واما هذا الكتاب فاخباره صادقه • وكلماته بالصدق ناطقه •
اذ هي في الواقع للخارج مطابقه • فابداها منشئ الخاطر واعاد •
على طبق ما اريد منه ووفق ما اراد • وليتني في هذا وهذا كفافا •
من خيرها وشرها معافى • ولئن ساعد الزمان بترفيه الحال • وخلا
من سكان الهموم ربع البال • لاتتبعن اثاره • ولاسترن بقدر الامكان
عواره • ولابذلن الجهد في ترقيحه • واصلاحه وتنقيحه • والا
فالصفح مأموله • والعذر عند خيار الناس مقبول • والمسئول
من اصدقائه ذوي الادب • البالغين في البلاغة اعلى الرتب •
ان يسبلوا ذيل الاغضا عليه • وينظروا بعين الافادة والاستفادة
اليه • ويقيلوا العثار • ويقبلوا الاعذار • فيشدوا اسره •
ويجبروا كسره • ويرقعوا خلله • ويحققوا امله • راجين من
لطف الله ما ارجوه منهم لعل الله سبحانه ان يعفو عني وعنهم •
مع انا كلنا في الهوى سوا • وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى •
الحمد لله حمدا يملأ اركان الامكنه • ويعطر خياشيم الازمنه • وصلى
الله على سيدنا محمد صلاة تبلغ قائلها منه • وتحله بشفاعته في
جنة الفردوس الاعلى مسكنه • وعلى اله واصحابه الذين استمعوا القول
فاتبعوا احسنه • ونستغفر الله من حصائد الالسنه • وحسبنا الله
تعالى ونعم الوكيل • ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •
تم في يوم العاشر من المحرم افتتاح سنة ١٢٧٢ اللهم اغفر لمن دعا لكاتبه بالمغفرة

